

892.709:M47uA

مزروع، عبد العزيز
الاسس المبتكرة لدراسة الادب الجاهلي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01033084

892.709:M47uA

مزروع، عبد العزيز.

الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي

892.709

M47uA

JAFET LIB.

2 AUG 1975

MY 27 59

JUN 11 59

JAFET LIB.

- 3 SEP 1975

JUN 1 59

الاستشراف لبيتكارة

لدراسة الأدب الجاهلي

تأليف

عبد العزيز مزروع الأزهرى

حقوق الطبع لل المؤلف وحده

الطبعة الأولى

ذو الحجة ١٣٦٩ هـ — سبتمبر ١٩٥٠ م

العدد ٢٠

طبعة العلوم ١٦٢ شارع الخليج بصر

تَجَرِبَةُ الْمَسِيحِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ

سُورَةُ

الْمَائِدَةِ

مَكِّيَّةٌ

مَكِّيَّةٌ

٥٠٦١٦ - ٥٢٦١٥

٥٠٦١٦

الأهداء

إلى باعث النهضة الأدبية الحديثة في الشرق
وحامل لواء الآداب العربية خفافا في ميدان الثقافة الانسانية
وأول أديب شرقي أجمع الغربيون على تقديره ، وتسكريمه
وأول مثقف سن للأدباء مقاييس جديدة ، لتذوق الأدب ونقده ،
فأيقظهم من سباتهم برسائله السامية ، وصيحاته المدوية فاستأنفوا حياة
جديدة في البحث ، والحكم واتجهوا إلى الأمام قشما ، يزاحمون بمباحثهم
المبتكرة مواكب الآداب العالمية ، بعد أن كانوا يقفون والركب يسير ، مغلفة
بصائرهم ، حرجة صدورهم ، هواء أفتدتهم ؛
إلى العصامي الذي عرف كيف يصرع الجهل والضعف ، والتقاليد
الزائفة فاذا به بعد حر السكفاح ، كبير من وزراء الأمة ، مزود ثقة فاروق
العزيز . مؤيد بإعجاب الشعب ، وزعيمه مصطفى النحاس
إلى الأملعي العبقري الابن ، الذي ما برحت الأمة تسكرمه لأنها تشرف
بتسكريمه ، وما فتئت تلهم بالشئام عليه ، لأنه صورة صادقة لأمالها ،
وما انفسكت تحوطه بقلوبها ، لأنه قبس من طمرحها . وما زال الآباء والأمهات :
فتيانهم وفتياتهم يهتفون بذكره ، لأنه ذلك عقبات التعليم وعالمه ، فجعله للجميع
حقا شائعا ، بعد أن كان أملا ضائعا .
إلى العميد الوزير : إلى الدكتور طه حسين وزير المعارف بالمملكة المصرية :
أهدى كتابي :
سيدى الوزير :
إن هذا الكتاب أثر من توجهكم ، وقبس من تعاليمكم ، ولولا آراؤكم في
الأدب وفي النقد وفي التجديد ، ما جرؤ مثلى أن يقتحم على الصحراء العربية
صمتها الرهيب ، ولا على الأدب الجاهلي غفوته السرمدية
فهل أجد من وارف ظلكم ، ما يسعدنى بقبوله ، ويشرفنى باطلاعكم عليه .
ذلك أول آمالى فى معاليمكم والسلام ؟

شكر وتقدير

المسكرة الجديدة لبنة ذهبية في صرح الثقة الإنسانية ، فإذا سجدت
شكراً لله الذى وفقنى ، فابتسكت تلك النظرية التاريخية الأدبية ، فسأذكر
دائماً أنى فى كثير من الأوقات - عند تألبنى هذا الكتاب - كنت أجد نفسى
أمام عقبات تضيق بها الصدور ، فأتصور رحب الفضاء أمامى وقد أخذ
يضيق رويداً رويداً ، فهاهى حتى تهب نسيمات من تشجيع العلماء الذين
اتصلت بهم لأن الموضوع - فى نظرهم - بكر ، والروض أنف ، فيعود الأمل
مخضراً ، والافق فسيحاً ، فأمضى قُدماً إلى الأمام ، وما زلت هكذا :
بين طي ونشر ، وبأس وأمل ، حتى وجدت نظريتى وقد دنت قطوفها ،
وامتدت ظلالها ، واتسع سلطانها على كل ما صادفها من الآثار الأدبية
فى الجاهلية .

وأنت إذا رددت النظر فيها لانجد إلا شواهد عدل على قدم تلك الأمة
العريقة ، وقدم آدابها التى انبثقت من سفوح الماضى السحيق .

وليس أندى على كبدى ، ولا أطيب لنفسى ، من الاعتراف بالجميل
لذويه ، والفضل لمسديه ؛ فلا بدع أن أشيد بذكر حضرة صاحب العزة
نخر العمداء الأستاذ البحاث الثقة (ابراهيم بك مصطفى) عميد كلية دار العلوم ،
بجامعة فؤاد الاول بمصر ، وأخى الأديب الكبير النقادة (محمد بنى السقا)
الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول ، وحجة الباحثين فى الأحاديث
النبرية الأستاذ (محمد نوار عبر الباقي) وصديق الأستاذ العالم (محمد برانور)
المفتش بالتعليم الثانوى

وتلبية لتواضعهم سأكتفى بالإشارة إلى ما أمدونى به من أمهات المراجع
غربية وشرقية ، ولم يبق إلا أملى فى الله أن يعم النفع بما ابتسكت ، وأن
يثير همم الباحثين بما سجلت .

جزيرة العرب

بسم الله الرحمن الرحيم
 بيان بعض الأماكن ووضع القبايل التي ورد ذكرها
 في تاريخ الفتح الإسلامي

وتمت بحمد الله في شهر ربيع الأول سنة ١٢٠٠



أرض السودان

أرض الحبشة

البحر الهندي

مصر

عراق

دول الروم الشرقية

أرض الحبشة

حجاز

أرض الروم

أرض الروم

أرض الروم

بلاد الكوفة

مكة

بغداد

البحر الأحمر

البحر الأحمر

البحر الأحمر

البحر الأحمر

البحر الأحمر

البحر الأحمر

البحر الأحمر

البحر الأحمر

البحر الأحمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدته سبحانه لأنه أخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الثقافة الإنسانية ، وأصلى وأسلم على خاتم رسله أول من هتف بحرية البحث ، وحرص المفكرين أن يكتبوها ما بين أيديهم وما خلفهم لعلمهم بهتدون .

وبعد

فاذا كان « المرحوم محمود باشا الفلكي » قد استعان علم الفلك لتحقيق في رسالة له :

(١) تاريخ موت إبراهيم بن سيدنا محمد (ص) بكسوف الشمس

(٢) وعين وقت الهجرة بعد أن تضاربت فيها الآراء

(٣) وضبط وقت مولده ، ومقدار عمره (ص)

فإن قد استخرت الله ، وإياه استعنت ، فوفقني إلى « نظريتي » لتحديد أزمان الجاهلية العربية ، فأمكن أن أعين قبل الهجرة تاريخ أي شاعر ، أو خطيب أو حادث ، أو يوم من أيامهم السكثيرة التي نثروا على سفوحها أروع أشعارهم وأسير أمثالهم ، وسكبوا في ظلالها أبلغ حكمهم ، وأدسم آدابهم ،

معتمدا في تحديد تلك الأزمان على (شجرات الأنساب) و (عمر الجليل) و (دليل الصحابة) إلى (عدنان) عند قبائل ربيعة أو مضر ، وإلى (قحطان) عند قبائل كهلان أو حمير ، مستأنسا (بأجيال العشيرة) ، و (دليل المعاصرة) ؛ فاذا أمكن بعد هذه الدعائم أن نجد صلة لذلك الشاعر مثلا (بدليل السجلات الملكية) للفرس ، أو المناذرة ، أو الروم ، كان في ذلك أقرب ما نريد من الدقة لتحديد علاقته بدورة الفلك ، وتعيين تاريخه قبل الهجرة ، أو بعد الميلاد ، وتعمقه في الجاهلية .

وكم أرق جفنى وأقضى مضجعى أن لا أجد لعصر الجاهلية ساحلا يرسو عليه الأدباء ، أو منارا يهتدى بهديه الباحثون ! وكم من مرة وقفت فيها مشدوها أمام قول علماء العصر العباسي :

١ - إن أول من حملوا راية الشعر في الجاهلية كانوا من ربيعة أولا ، ثم من قيس ، ثم من تميم ..

٢ - وأول من قصد القصيد (مهمل) ثم أبو ذؤيب التيمي ، ثم ضمرة السكناي

٣ - وعمر الأدب الجاهلي لا يتجاوز الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة ، في الوقت الذي يقول فيه الأصمعي في بعض رواياته : إن بين أوائل من قصدوا القصيد وبين الهجرة ٤٠٠ سنة !!

٤ - وأغرب مما تقدم ادعاء بعض المؤلفين المعاصرين لنا أن كل اللهجات العربية ذابت في لهجة قريش بعد ظهورها ! فما ينسب إلى تميم مثلا ، أو قيس من اللهجات التي نفهمها إنما هو من لغة قريش في لسان تميم ، أو لسان قيس إذ ليس في لغة الأدب التي بين أيدينا شيء من لهجات تلك القبائل ، ولا نستطيع العثور عليها إلا في معاجم اللغة !

٥ - وأن القرآن إنما نزل بلغة قريش !

٦ - وما يشير الأسى أن بعض هؤلاء لم يتسع وقتهم لتحقيق هذا ، ولكن راقم بعض ما يديه متعصبة الغربيين فاحتطبوا في حبلهم ، محسنين الظن بهم ، والكريم يخدع !

فإزاء هذه المشكلات الأدبية لم تسمح نفسي في عصر نهضتنا أن نأخذها قضية مسألة مع ما فيها من تناقض وتردد ، فتجردت منذ سنوات لسبر غورها واكتناه حقائقها ، ونشرها بين الباحثين ، ولم يكن هذا ممكنا إلا بجهاز كالذي ابتكرته ، ودعمت قواعده بقواعد خمس سيأتى إيضاها عند ذكر تلك النظرية ، ثم طبقتها على كثير من حوادث التاريخ قديمها وحديثها ، عربيها وعجميها فجاءت صادقة الخبر ، شبيهة الثمر :

من نتائج نظريتي :

١ - وقد استطعت به - هذه النظرية المبتكرة أن أضع جداول منظمة كالجداول الرياضية لضبط أزمان المعاصرين في الجاهلية من الشعراء والأدباء في القبيلة الواحدة ، ثم في كل القبائل ؛ وبذا تستطيع أن تجمع في الجيل الواحد آثار الأقدمين المعاصرين ، وفي الأجيال المختلفة آثار الأدباء مرتبة بترتيب أزمانها .

٢ - وأن تعرف بالتالي ميلاد كل معنى مبتكر ، وتسلسله ، وهجرته من أديب إلى آخر ، ومن قبيلة إلى أخرى ؛ وما طرأ عليه في رحلاته العقلية في أذهان الأدباء اللاحقين من سمو ، أو انحدار ؛ أو جمود ، أو فناء .

٣ - ومن السابق منهم بهذا المعنى المبتكر ؟ ومن المسبوق ؟ وأي القبائل كان لها شرف الابتكار ؛ لما تقرر من أن نبوغ النابغ لا يقتصر عليه وحده ؛ بل يتعداه إلى أسرته ، لقبيلته ، فشعبه ، فجنتسه .

٤ - وأن تحدد الزمن الذي ذابت فيه لغة القحطانيين في لغة العدنانيين .

٥ - ومبدأ تلك اللغة الأدبية العامة التي صارت لسان الشعراء جميعاً في العصر الجاهلي لافرق بين قحطانيين وعدنانيين ، أو ربيعين ، وقيسيين ، وتميميين ، بعد أن كان كل فرد منهم يتعصب لقبيلته ، ولهجتها ، بل لا يعرف سواها ، بل لا يطاوعه لسانه أن ينطق بغير لهجتها ، كما لا يشيد بغير مآثرها .

٦ - وبيان وجه الحق في قولهم : « أول من قصده القصائد مهلهل بن ربيعة ، وأقدم الآثار الأدبية التي بين أيدينا لا يتجاوز الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة ، إلى آخر ما مر من تلك المشكلات التي مازال عشاق الحقائق في حيرة من أمرها » - وتحديد أقدمية « اللهجة القريشية » التي يزعم كثير من الأدباء أن القرآن نزل بها !!

٨ - ولم حكمنا بكذب الشعر المنسوب لعاد وتمود ، وآدم وحواء .
ولكثير من الشعر المنسوب المعمرين .

٩ - ولم اعترف بما ينسب لطسم وجديس من شعر مع أنهم من العرب العاربة ؟

١٠ - وكيف اهتديت إلى أن أطول قصيدة عربية في الوجود كانت قبل الهجرة بثلاثة قرون وست سنوات قريية .

١١ - وهذا غير ما ابتكرته عما سمعته ، الجليل المملوكي ، لتحديد المتوسط لحكم كل ملك ، مما لم يسبقني إليه أحد من المستشرقين وعلماء التاريخ الغربيين .

١٢ - وكيف انتصرت على البجائية الألمانى (غلازر) فى تحديد عمر الجليل بخمس وعشرين سنة ؛ إذ لم يقارب الجليل النسبى ، ولا الجليل المملوكى ، فضلاً عن أنه لم يعين لنا أى الجليلين يريد وإن كان السياق يدل على أنه يعنى الجليل النسبى ؛ إذ أن الجليل المملوكى لم يكن للعلماء به علم قبل ابتكاره .

١٣ - وبم صححت إجماع مؤرخى العرب على الخطأ فى قولهم إن عدنان ، عاصر ، بختنصر ، وحاربه .

١٤ - وكيف برهنت على أن القحطانيين أقدم من العدنانيين بالأرقام لا بالحدس ، ومتى ابتدأ تاريخ كل .

١٥ - واستدللت بنقشين على قدم اللغة الأدبية عند العرب ، وعلى أن لغة النقوش كانت غير اللغة الأدبية ، وأن لهجة القرآن تناسب لهجة النقش الأدبى ، ولهجة كثير من الشعراء قبل قريش ، فليست لهجته من آثارها .

١٦ - وأن فيما حوته كتب الأدب والتاريخ التى بين أيدينا نصوصاً قيّمة بحق فى القرن السابع بل الثامن قبل الهجرة ولسكن الأدباء لا يدرون .

هذا بعض ما حققته بنظريتي ، أزجيه بين أيدي الباحثين فإن قاربت الحقيقة ، ومهدت السبيل ، فذلك من فضل الله ، وإن كانت الأخرى خسبي أنى أثرت الشك فى بعض تلك المعلومات التى بلغت من نفوسهم مبلغ القداسة ؛ والشك أول اليقين .

لماذا لا نرغم بتراث أجدادنا ؟

لا مرية في أن الغربيين في العصر الحديث سادة الباحثين في كل ما يمت إلى الحضارة الإنسانية بصلة !

فهم يبحثون الآن عن (سفينة نوح) في جبل أرات وليس بينهم وبين نوح صلة معروفة !

ويبحثون من سنوات في السموات عن (سكان المريخ) وبعض السكواكب الأخرى ، وليس نوعهم من نوعنا ، ولا أجناسهم من أجناسنا ، ولا يرتبط كوكبهم بكوكبنا إلا بصلة الجاذبية العامة !

ومن قبل بحثوا ولا يزالون يبحثون عن (مدنات الأمم القديمة) كابل وآشور ومصر وليسوا بأصول لهم .

أفليس جديرا بنا - نحن حفدة العرب - أن نبحث عن تاريخهم وهو جزء من تاريخنا ، وأن نربط آدابهم بدررات الفلك الزمنية وهي آدابنا ، ونوضح صلتها الزمنية بالتاريخ الهجري ، والتاريخ الميلادي ، وقد صار الأول نقطة التحول في تاريخ العرب كافة ، والمسلمين عامة ، واتخذ الثاني مركز الدائرة التاريخية للعالم ، ولحوادثه القديمة والحديثة !

إنى لأزوى حياء عندما أجدنا - نحن الشرقيين - عالة على الأجانب حتى بعد نهضتنا الحديثة ! فما لنا لا نثبت دعائمها بالبحوث العصرية في ميادين الثقافة العربية وماذا يحول بيننا وبين إعطاء الآداب حقها ، والتواريخ قسطها ، ولغائنا الأثرية نصيبها ! ألا نخذو حذو المستشرقين ، وعلماء اللغات والتاريخ والآداب لانه يكون مستغربين ، أو يحسبونه في ثقافات الغربيين ، بل حفدة بررة ، لبعث ماضينا الخالد ، ونشر تراثنا الماجد !

فالمستقبل مازال يهيب بنا في مثل جلجلة الرعد

(ألا أبها النوام ونكمو هبوا) !

العرب

درج المؤرخون القُدَامَى على تقسيم العرب في الجاهلية إلى ثلاثة أقسام:

البائدة ، والعاربة ، والمستعربة ؛ وقد استحسن تقسيمهم قسمين :

(العرب العاربة) و (العرب المستعربة)

(١) وإذا قلنا (العرب العاربة) فالمراد بهم العرب الخُلَاص الذين لم

يلقحوا بجنس معروف من القبائل السامية التي لقح بها العرب المستعربة .

ويدخل في العرب العاربة (العرب البائدة) كشمود الذين أهلكوا

بالطاغية ، وكعاد من أهلكوا بريح صرصر عاتية ، وكطسم وجديس

الذين تفانوا وصدقوا بينهم عطر « مَسْنَم »

ويؤيد استحسان قول « حمزة الأصفهاني » (١) .

العرب العاربة عشرة : عاد ، وئمود ، وطسم ، وجديس ، وعماليق ،

وعبيل ، ووبار وجاسم ، (وقحطان) . . .

وقد بحثت عن (عبيل) و (جاسم) فوجدت في الفيروز آبادي :

« بنو (عبيل) بن عوص بن إرم بن سام (كأمر) قبيلة من قبائل العرب العاربة

انقرضوا ، وفي مادة جاسم : « وبنو جاسم حي قديم ، وليس كل هؤلاء من

قحطان خلافاً لزعم الألوسي » (٢)

ومن هذه القبائل من كانوا يسكنون الجنوب مثل عاد ووبار وقحطان ،

ومنهم سكان الشمال كشمود - بعد هجرتها من الجنوب - وطسم وجديس .

أما فلول العرب البائدة - وهم الذين « نَجَّوْا » بما حل بإخوانهم فقد اندمجوا

فيمن بقي من قومهم من القبائل العربية الأخرى : قحطانية أو عدنانية -

(١) تاريخ سني ملوك الأرض من ٨١

(٢) بلوغ الأرب ج ٣ : ٨٠

فليست من أبناء إسماعيل ، بل من العرب العاربة ، فشأنهم شأن أبناء حمير وسبأ ؛ لأن سقوط (الدولة السبئية) بانهميار سبيل العرم في القرن الثاني قبل الميلاد ، وسقوط (الدولة الحميرية) بالاحتلال الحبشى كان في أوائل القرن السادس الميلادى ، فلا يقتضى إحماء الشعب السبئى أو الحميرى ، فإن الشعوب باقية لاتفى ، إنما تندمج ، أو تسمى بأسماء جديدة ، أو تتشكل بأشكال مغايرة كما سبق ، لظروف حربية ، أو اجتماعية ، كما يتشكل الماء ثلجاً ، أو سائلاً ، أو بخاراً على حسب اختلاف درجة الحرارة .

(٢) وإذا قلنا « العرب المستعربة » فالمراد بهم العرب الذى صاروا عرباً بعد أن لم يكونوا ، إذ الهمزة والسين والتاء للهيرونة ، ويدخل فى العرب المستعربة « العرب الاسماعيليون » ثم « العرب العدنانيون » بعدهم ، وفيما يلى بيان موجز مرتب ترتيباً زمنياً بدول العرب من أقدم عصورهم فى الجاهلية :

دول العرب العاربة

امتازت العرب العاربة بدولها المتحضرة ، وحضارتها الخالدة ، وخلودها الذى كشفت عنه قصورهم ، ومدنهم ونقوشهم وخطوطهم وعلومهم وقوانينهم فى بلاد اليمن ، وفى العراق ، وفى مدائن صالح (الحجر) .

كما امتازت العرب المستعربة بآدابها ، وبدانيتها وأيامها التى خلدها آدابها . وقدم العرب العاربة أتاح لها فرصة الاستيلاء على أخصب البقاع العربية فى اليمن والعراق قبل المستعربة والتاريخ مابرح يحدثنا أن المدينات القديمة إنما قامت على ضفاف الأنهار ، والسبب فى هذا خصب أرضها ، وقد انطبق ذلك على عرب بابل فى العراق

[مدينة اليمن] :

فكيف قامت مدينات اليمن وليس بها أنهار ؟ قامت لأن أرضها خصبة ،

لكثرة أمطارها ، ولما لم تُسعفهم هذه الأمطار بما يريدون لتأسيس مدنيانهم
الباذخة المرجوة، أثاروا همهم مهندسهم، فوجدوا أن للأمطار موسما محدودا في
السنة ، وفي أكثر أيامهم لا تجود أرضهم . فوق أن الأمطار في موسمها يذهب
أكثرها بددا في جوف رمالها ، أو تتجمع فتسكون سيولا تهددمدنهم وقراهم
ومحافدهم ومزارعهم، فاستعانوا بالسدود لحزن هذه السيول ، كما تفعل الأمم
المتحضرة الآن بإقامة الخزانات على الأنهار ، وقد كانت هذه السيول بمثابة
الأنهار الطبيعية في غير اليمن : يستفيدون من مياهها في أى وقت، فوق وقايتهم من
هجماتها، ولما لمسوه من مزايا السدود أكثرها منها حتى تجاوزت المئات .
يدل على ذلك ما سجله الهمداني أنه كان في « يحصب » وحدها من
مخاليف اليمن ثمانون سدا أخذوا من قول شاعرهم « أبى العباس السلمي » :
وفي البقعة الخضراء من أرضهم يحصب ، ثمانون سدا تقذف الماء سائلا (١)

أشهر السدود :

ومن كبار السدود « سد عاد » ، و « سد الحَجَج » ، و « سد شحر » و « سد
ذى رُعَيْن » .. ولكن أشهرها وأكبرها « سد مأرب » .

(سد مأرب) :

وعند ابن الخائف الهمداني أنه على كَنَتِوا المأزمين .
وعند الباحثين حديثا أنه في الجنوب الغربي من مأرب حاضرة سبأ ،
وهو سد أصم طوله من الشرق إلى الغرب نحو ٨٠٠ ذراع ، وارتفاعه بضعة
عشر ذراعا ، وعرضه نحو ١٥٠ ذراعا ، وطرفه الشرقي على الجبل الشرقي ،
وطرفه الغربي على الجبل الغربي ؛ وهذان الجبلان متفرعان من جبال السراة
في الجنوب الغربي من السد ، وكلها بعدا عن السد انفرجا ، فأتسع الوادي
بين السد ومدينة مأرب ، وبلغ ما يحيط به من سفوح الجبال نحو ٣٠٠ ميل (٢)

(١) الأكايل ج ٨ ص ١٣٥ .

(٢) نقله كتاب العرب قبل الإسلام عن 127 (1397) O. M. O.

مربع كانت جرداء قاحلة ، فأصبحت بعد إنشاء السد بساتين على سفوح الجبلين ، وبساتين هذين السفوحين هي المرادة بقوله تعالى :

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية : جنتان عن (يمين) و (شمال) . . . »

موارد المياه :

وتتجمع المياه في الخزان خلف السد في (وادي أذنته) ، وهذا الوادي ملتقى عدة وديان خلفه أصغر منه ، منحدره من جبال السراة الممتدة مئات الأميال من الجنوب الغربي ، فإذا تساقطت الأمطار على جبال السراة انحدرت في هذه الوديان ، وساحت إلى الشمال الشرقي ، وحينئذ تتجمع كلها خلف السد في واد واحد هو (وادي أذنه) كما تقدم .

تاريخ سد مأرب :

دلت النقوش التي عثر عليها في القرن الماضي على أن «سميعي بنوف» بنى هذا السد ، وتاريخ هذا الملك يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، أي بعد قيام دولة سبأ بأكثر من قرن . أما تهدمه فلم يحدث مرة واحدة ، بل حدث عدة مرات ، وفي كل منها كان يرمم ، ولكن أكبرها هو الذي حدث في القرن الثاني قبل الميلاد ، فهو الذي بسببه عمت الكارثة بسبيل العسرم ، وزوال مملكة سبأ . وعند العلامة «غلازر» أن ذلك كان سنة ١١٥ ق . م ، أما منطق نظريتي فقد كان قبل الميلاد بنحو قرن ، وسيأتي إثبات ذلك عند برهنتي على عمر الجيل النسبي .

أما بعد فهذا أشهر دول العرب العاربة مرتبة ترتيباً زمنياً من أقدمها :

١ - [الدولة البابلية الأولى]

أقدم الدول العربية التي رجع كثير من المؤرخين ، وعلماء الآثار ، أنها عربية هي هذه الدولة واشتهرت بدولة «حوراني» سادس ملوكها وأشهرهم وكانت حاضرتها «بابل» في العراق وامتد حكمها من ٢٤٦٠ - ٢٠٨١ ق . م (٣٠٨١ - ٢٧٠٣ ق . هـ)

٢ - [دولة العمالقة] :

كان العرب يطلقون عليهم « العمالقة » ، والفراعنة يسمونهم « الشامو » ، واليونان يلقبونهم بالهكسوس . وكان مقرها أولا في « شبه جزيرة سيناء » وما حولها ، فما زالوا يتحرشون بالمصريين حتى احتلوا مصر بعد بضعة قرون حوالى الزمن الذى تملك فيه العرب بابل .

وامتد حكمهم من ٢٢١٤ - ١٧٠٣ ق م (٢٨٣٦ - ٢٣٢٥ ق . هـ)
وقل أن نجد بين الآثار المصرية ما يدل عليهم مع أنهم احتلوا مصر عدة قرون ، وما ذلك إلا لأن المصريين بعد إجلائهم هؤلاء المحتلين كرهوا أن يتركوا من آثارهم ما يدل عليهم ، بغضا للاحتلال الأجنبي ، فحوا كل نقش لهم يدل عليهم ؛ تعفية لآثارهم

٣ - [الأنباط] :

قامت هذه الدولة في الجنوب الشرقى من فلسطين أول أمرها ، واتخذت « بطرا » قاعدة لها بين « تدمر » و « غزة » ، وعن عجب أن مؤرخى العرب أغفلوا تاريخها ، وخطوا بين أنباط الشام وأنباط العراق ، ونقل « حمزة الأصفهاني » أن « الأرمانيين » هم نبط الشام و « الأدوانيين » هم نبط العراق . وحدثنا « ديودوروس الصقلى » المتوفى في القرن الأول من الميلاد أنهم خلفوا « الأدوميين » في بلادهم في القرن الخامس قبله ، وإن كان الباحثون لم يهتدوا إلى أقدم ملوكهم قبل « الحارث الأول » الذى ولى العرش ١٦٩ ق م وآخر ملوكهم « مالك الثالث » ، وفي أيامه سقطت بلاده في قبضة الرومان سنة ١٠٦ م ؛ أما (ثروتهم) فكانت من تجارتهم فى الروائح العطرية ، والمر والقار ، وكانت مصر أكثر الدول التى يصدرونه إليها لاستعماله فى عمليات التحنيط .

(أما لغتهم) فكانت العربية ؛ تبعا لجنسهم عند كثير من الباحثين ، ونقشهم آثارهم باللغة الآرامية ليس فيه دليل على أنهم غير العرب ، إذ أن الآرامية كانت لغة الكتابة فى أيامهم .

٤ - [الدولة المسعينية] لم يكن لمؤرخي العرب علم بهذه الدولة، وإن كان
«الهمداني» في إكليله أخبرنا أن من محافد الين - قصورها - «براقش»
و «معين» .

وفيهما قال مالك بن حريم :
ونحى «الجوف» مادامت «معين» بأسسفه مقابلة «عرودا»
وقال علقمة :

وحلوا من «معين» حين حلوا لعزم لدى الفج العميق
وهذه الدولة أقدم من «قحطان» بدليلين :

(الأول) (دليل النسب) وذلك أن من متوسط عدد الأجيال عصر
النبوة إلى قحطان ٣١ جيلا فدتها $31 \times 40 = 1240$ سنة وهى نوافق
قبل الميلاد سنة ٦١٨ سنة أى أكثر من ستة قرون .

(الثانى) (دليل النقوش) : وقد أخبرنا أن هذه الدولة أسست ملكها
سنة ٢١٠٠ ق م فهذا التاريخ قبل زمن قحطان بنحو خمسة عشر قرنا .
وقبل دولة سبأ بنحو ١٢ قرنا بعد الموازنة بينهما وكانت حاضرتها القديمة
«قرنا» والحديثة «معين» ومقرها القسم الجنوب من شبه جزيرة العرب
فى شرق صنعاء ، ومؤسسوها من فلول الجورانيين النازحين من العراق ،
وقد امتد نفوذهم فى إبان ذروة مجدهم إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط
وخليج العجم وبحر العرب أى شبه الجزيرة كلها .

٥ - [دولة سبأ] :

وأشهر الدول القديمة دولة سبأ هذه، وما وجه الأنظار إليها قوله تعالى عبدة
بها : ولقد كان إسبأ فى مسكنهم آية .. فوق تسمية سورة من القرآن
بها ، وكان مقرها الين ، وحاضرتها (سبأ وهى مأرب) وامتد حكمها من
(٨٥٠ - ١١٥ ق م) (١٤٧٢ - ٧٣٧ ق م) .

وخبرنا « استرابون » رحالة اليونان بكثير من أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ، وبقى أمر ملوكها سرا في ضمير الغيب حتى باحت لنا نقوشهم بكثير من ملوكهم بين (مكرب . أمير) و (ملك) .

(رأى الأنساب في تاريخهم) :

دلت شجرة أنساب القحطانيين على أن من عصر النبوة إلى سبأ الأكبر ابن يشجب ٢٨ جيلا مدتها $28 \times 40 = 1120$ سنة ، وهذه توافق سنة ٥٩٨ قم أى نحو ستة قرون . وقد دلت الآثار على أن حكم هذه الدولة بدأ في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد .

فدليل الآثار أقدم من دليل الأنساب بنحو ٢٥٠ سنة فكيف التوفيق بينهما ؟

لا سبيل إلى ذلك إلا إذا رجحنا دليل الآثار على دليل الأنساب ، وهذه المدة التي نقصها الرواة أو بتروها من هذه السلسلة تعادل خمسة أجيال ، ومن الجائز جدا أن تسقط من سلسلة القحطانيين ، فلا عجب أن لا نجد أمامنا من ٣٦ جيلا إلا ٣١ جيلا فعذر الرواة واضح ، لأن طول المدة من العصر الإسلامي إلى سبأ نحو خمسة عشر قرنا ، أفنلوهمهم وقد اجتهدوا بقدر ماوسعهم الاجتهاد ، فقاربوا الحقيقة بأكثر من ٨٣ ٪ !! في هذا الزمن المديد !! دون أن يعتمدوا في هذا على سجل رسمى أو كتاب مسطور !! بل كان كل اعتمادهم على الذاكرة !! بعد الحافظة !!

وبناء عليه نرى أن دليل النقوش أرجح ، ودليل الأنساب هنا لم يجاوز الحقيقة إلا قليلا .

[منقوط هذه الدولة]

وقد أجمع مؤرخو العرب على أن سبب انهيارها انفجار (سد مأرب) وتدفق سيل العرم ، وهو عندى معقول ؛ اعتمادا على نظريتي التي ستأت البرهنة عليها .

(بيني وبين جورجي زيدان)

ولا يقال ما قاله المرحوم جورجي زيدان : « إنه لبعيد أن تعجز الدولة في إبان سطورها عن انتقاء مثل هذا السبل وعن ترميمه » ! . إذ من أنباء وغيره أن ذلك الحادث كان إبان سطوة هذه الدولة !
إن الدليل على أنهم كانوا قد بلغوا نهاية الضعف أن تلك المأساة لم يجدوا ما يدفعون به شرها إلا الهجرة التي مزقتهم كل ممزق ، فكشف السبل عن ضعفهم ، ونثر كنانتهم ؛ فخل بعضهم في الحجاز كقبيلة خزاعة ، وبعضهم في العراق كأجداد المناذرة ، وبعض ثالث في الشام فتأسست منهم دولة الغساسنة ، ويؤيد استنباطي تلك الهجرة التي أجمعت عليها كتب التاريخ ، وأن الدول غالبا لا تسقط إبان قوتها ، بل بعد أن تكون قد بلغت من الشيخوخة نهايتها ولا يقال ما قاله الشاعر :

من لم يمت عَبْطَةً يمت هرما (١)

لأن هذا ينطبق على الأفراد لا على الدول . وهذا إذا راعينا القاعدة العامة لانحيار الدول ذوات القوة المطلقة ، أما إذا راعينا القوة النسبية ، فإننا نجد أن الدولة قد تكون قوية في ذاتها ولكنها ضعيفة إذا قيست بدولة أخرى ، ولنا في « ألمانيا الهتلرية » مَقْنَع .

ودولة سبأ لم تكن عندها « القوة النسبية » التي تضمن لها الحياة كدولة ، فهي عن القوة المطلقة أبعد ، لذا عجزت عن انتقاء السبل ، وترميم السد إلا بالرحيل شأن الضعيف الهزيل المغلوب على أمره .

٦ - وبعدها [دولة ثمود] وقد قامت بالحجر شمال الحجاز ، وكان قيامها في (القرن الثامن قبل الميلاد) (والرابع عشر هـ) و(عاد وثمود) ليسوا عدنانيين ، لأنهم أقدم من عدنان ، وقد كان جيله قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون فهم أقدم بأكثر من خمسة قرون ، فما ينسب من الشعر العربي العدناني على لسانهم مدسوس عليهم ، ومما يدل على أنهم من العرب العاربة أن كتابتها بالحرف المسند الذي

(١) في القاموس المحيط : عبط الذبيحة نحرها من غير علة وهي سمينة فتية والمراد هنا من لم يمت شابا قويا مات ضعيفا عجوزا

كان لأهل اليمن القدماء ، ويظن « غلازر » أن « لحيان » من بقايا ثمود (١)

٧ - ثم [دولة حمير] وقد قامت على أنقاض دولة سبأ سنة ١١٥ ق م (٧٣٧ ق هـ) واستمرت حتى جاءها النذير. ثم الانهيار سنة ٥٢٥ م (٩٧ ق هـ) باحتلال الحبشة بلاد اليمن وبنحو ٤٦ سنة قبل الميلاد المسمى وكانت تقيم دولة حمير في أيام الدولة السبئية في « ريدان » وهي « ظفار » قرب صنعاء بأذوائها وأقيالها ، ثم اتسع ملكهم باحتلالهم مملكة سبأ بعد سيل العرم . فصار الملك منهم يلقب (ملك سبأ وريدان) وذلك في (ملوك الطبقة الأولى) أما (ملوك الطبقة الثانية) بعدها ، وهم التباينة فقد صار الملك منهم يلقب (بملك سبأ وريدان وحضر موت) وأول هؤلاء (شمر يرعش) من ٢٧٥ - ٣٠٠ م وكان من معاصري (امرئ القيس بن عمرو) صاحب (نقش النمار) وهو الذي حكم اللخمين في الحيرة من ٣٨٨ - ٣٢٨ م .

وقد سقطت الطبقة الثانية في عهد الملك (ذى نواس) الحميري اليهودي صاحب الأخدود : النار ذات الوقود .

(٨) وإذا كان « قصي » أسس لقريش مملكة في الحجاز ، فصارت في حينها أكبر الممالك التجارية في بلاد العرب فان (القسبانيين) و (الجسبانيين) سبقوه بأربعة قرون ؛ إذ قامت في اليمن حوالي الميلاد المسيحي (أوائل القرن السابع قبل الهجرة) فقبضت على مقاليد التجارة الداخلية واحتكرت صادرات إفريقية إلى جزيرة العرب ، وتآلق نجمهما في التجارة وحدها ، ولم تشغلا أنفسهما بالحروب ؛ ودلالة هذا أن سكانهما كانوا من القلة في درجة لا تسمح بتكوين جيش محترم للهجوم ، لذا لم يعترف بهما مؤرخو العرب ، ولم يذكروا عنهما إلا صيغيات من الأخبار لا تشفي من علة ، ولا تنقع من غلة .

وبقول والحمداني ، (٢) في « تجبأ » « جبأ » مدينة المعافر وهي لآل السكرندي

من بني ثمامة آل حمير الأصغر، وفي القاموس المحيط: جباً كجبيل بلدة باليمن، وفيه أيضاً د قتيان، (٢) بالسكسر موضع بعدن.

ويرى «غلازر الألماني» أن الجبئية طائفة من المعينيين؛ استنباطاً من نقوشهم.

حمير ملوك

الطبيعة الثانية { ملوك - أوردندان وحضرموت وغيرها ٧٧٥ - ٢٥٢٥ }		الطبيعة الأولى { ملوك - أوردندان ٢٠ ق ١١٥ - ٢٧٥ ق ٢٠ }	
الملك	مدة الحكم	الملك	مدة الحكم
١ - شمرير عث (بن ياسر)	٢٧٥ - ٢٠٠	١ - علمان نهقان	١١٥ - ٨٠ ق م
٢ - ذو القرنين : إفريقس : الذهب	٣٠٠ - ٢٢٠	٢ - شمر أو تار بن علمان نهقان	٨٠ - ٥٠
٣ - عمرو زوج بلقيس	٢٢٠ - ٢٤٥	٣ - يريم أمين	٥٠ - ٢٥
٤ - بلقيس (الفارعة)	٢٤٥ - ٢٧٤	٤ - فرح ذنوب	٢٥ - ١٥
٥ - الهدهاد أخوها	٢٧٤ - ٢٨٥	٥ - الشرح بن خضب وابنه زيل بن	١٥ - ١٠
٦ - ملك كيكرب يوهنعم (نعيم)	٢٨٥ - ٢٥٥	٦ - يحمل بن	١٠ - ٥
٧ - أبو كركب أسعد بن ملك كيكرب	٢٥٥ - ٢٢٠	٧ - وتار	٥ - ٠
٨ - حسان بن أسعد	٢٢٠ - ٤٢٥	٨ - كركب ايل وتار يوهنعم	١٥ - ١٠
٩ - شرحبيل يعفر بن أسعد	٤٢٥ - ٤٧٠	٩ - ذمر علي ذرح بن كركب ايل	١٠ - ٩٥
١٠ - ينوف	٤٧٠ - ٤٩٥	١٠ - هلك أمير	٩٥ - ١٢٠
١١ - معد يركب نعيم وابنه لحيمة	٤٩٥ - ٥١٥	١١ - ذمر علي يهين	١٢٠ - ١٤٥
١٢ - هرثد اللات ينوف	٥١٥ - ٥٢٥	١٢ - وهب ايل يحز	١٤٥ - ١٧٠
١٣ - ١٤ - دينا نوس (دينا نوس)	٥٢٥ - ٥٣٠	[ملوك مجهولون]	
١٤ - ١٥ - ذو جدن (لم يكن له حكم)	٥٣٠ - ١٢٣		
(من العرب قبل الإسلام لحوضي زبدان ١٢٣ ، ١٢٣)		ياسر أنعم	٢٥٠ - ٢٧٥

وهذا الجدول يخالف ما ذكره العرب من بعض الوجوه لكنه أقرب إلى الصواب لأنه مبني على التحقيق ومقابلة ما كتبه (العرب واليونان) وما نقش (على الآثار)

ومن العجيب أن فيه تناقضا مع ما ذكره جورجى زيدان فى مواطن أخرى ومن ذلك :

أنه جعل الهدهاد ملك حمير حكم هنا من ٣٤٥-٣٧٤ م وفى صفحة ١٢٦ : « ومن واقف الحميريين من ملوك الحبشة ملك اسمه « العلى اسكندى » حارب الهدهاد ملك حمير سنة ٣٤٠ م وخلفه « العلى عميدة » - حكم من ٣٤٠ - ٣٤٨ م مع أنه فى الجدول هنا جعل حكم الهدهاد من ٣٤٥ فكيف يمار به ٣٤٠ ولم يكن قد تملك بصريح عبارته فى الجدول ! وبعد صفحتين جعله ملكا فى تلك السنة !

دول اليمن الصغرى

ومن الملوك الصغار فى اليمن « الأذواء » و « الأقيال » ،

(١) فالأذواء جمع ، مفردة (ذو) بمعنى صاحب ويضاف عادة إلى الإمارة التى يحكمها فيقال ذو غمدان وذو يزن وهم نوعان : (الأذواء المشائمة) أى الثمانية ، والأذواء الآخرون ، والأولون ذكرهم صاحب القصيدة الحميرية فى ثلاثة أبيات منها وهى :

أين (المشائمة) الملوك وملوكهم ذلوا لصرف الدهر بعد جماح !
(ذو ثلميان) و (ذو خليل) ثم (ذو . . . شجر) و (ذو جدن) و (ذو صرواح) !
أو (ذو مقار) بعد أو (ذو جرقز) ولقد محأ (ذا عشكلان) مح !

(٢) والأقيال جمع ، مفردة قَيْل ، كما يطلق عليهم المقاول مفردة مفعول كمنبر :

وهؤلاء أكبر من الأذواء نفوذا وأوسع ملكا ، وإن كانوا أقل من

التبابعة، فهم بترتيب العظمة : التبابعة، ثم الملوك، ثم الأقبال أو المقاول، ثم الأذواء. والنوعان الآخران كانا مستقلين استقلالاً داخلية، لذلك كان يستوى لديهم أحكم الين أهلها من السبئيين والخميرين، أم من الأحباش، والمسلمين.

والمتصفح لتاريخ ابن خلدون، يجد أنهم كانوا أحراراً في شئونهم الداخلية إلى ما بعد الإسلام بأكثر من قرن (١)

ومن الدول العربية التي طواها التاريخ :
٩ - درنة : تدمر : وإذا ذكرت وتدمر، ذكر من كواكبها اللامعة والزباء، عند العرب، أو « زينوبيا » عند الرومان.
كان مقرها في الشمال الغربي لبادية السماوة، بين الشام والعراق، ولموقعها طمع فيها الرومان، فحاولوا فتحها في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، فغابوا، إلى أن كانت سنة ١٣٠ م، فاستسلمت لحمايتهم، ثم اندمجت في مستعمراتهم.

« الزباء : زينوبيا »
وقد تضاربت آراء الباحثين في زينوبيا ملكة تدمر، أهى الزباء التي اشتهر أمرها مع جذيمة الأبرش الملقب كذلك بالوضح، أم غيرها؟
ومن عجب أن أى باحث منهم لا ينسركر أن أهل تدمر، عرب أصلهم من البادية، من بقايا العمالقة، وأنهم مقسمون إلى أنفاذ، شأن العرب، ومن زمن تلك الشخصية المزدوجة واحد، وبحال عظمتها واحد، وأن زينوبيا من أشرف بيت فيها، فهل إذا صاروا ملوكا، واتخذوا لغة الشام وهى إذ ذاك الآرامية - اللخاريات الرسمية والتدوين والنقوش، أو نالت من إمبراطور الرومان لقب « سبتيميا »، وهو من أرقى ألقاب التشريف عندهم، أو خالفت العرب في بعض عاداتهم وتقاليدهم، كعرفتها الآرامية والنبطية وبعض اللاتينية واليونانية فوق العربية، وكاعتقادها ركوب الخيل في أسفارها دون الهوادج

إلا نادرا ، وكجمعها في مجلسها كبار الشخصيات من الأمم المختلفة ، وكتحية القادمين عليها بالسجود لها جريا على عادة الأكاسرة ، وكاستعراضها جنودها في الميادين ، وفي ميدان قصرها ، فوق صهوة جوادها ، متشحة بملابس الحرب ، متوجة بالخوذة الرومانية ، مجردة إحدى ذراعيها شأن قدماء اليونان ، أو تشبهت بملوك اليونان والرومان والفرعنة في تخليد ذكرها بتمثالين : أحدهما لها ، والآخر لزوجها أذينة ؛ أئذ افعلت هذا وأشباهه متأثرة بأخوالها (١) الرومانيين ، مقتبسة من كل جديد ، يجب تجريدها من جنسيتها العربية !

لم يعد هناك شك في أن زينوبيا هي الزباء ، ويدل على هذا ما نقش على تمثالها في حاضرتها (تدمر) ، فقد صرح في هذا النقش باسمها التدمري الصريح ، (زَبْن) — بفتح الزاي ، والألف المقصورة ، وعلى تولى الزمن جعل العرب ألفها المقصورة ممدودة ، فقالوا (زباء) ، وقد يتركونها مقصورة .

وانتقاد العهد عليها — بلغ نفوذها أقصاه سنة ٢٧١ م ، أى قبل الهجرة بنحو ٣٦١ سنة قريية — أخذ الرواة يسجون حولها كثير من الأقاصيص الخيالية ، ومن وهمهم أنهم جعلوا اسمها صفة ، فنقل ابن السكبي أنها لقبت بالزباء لطول شعرها إذ كانت إذا مشت تدلى وراءها ، وإذا نشرته جللها .

إن حقائق التاريخ لا كرم من أن يلهو بها العابثون ، أو يسخرها لإربته الحاسدون .

فالحق أن الزباء هي زينوبيا ملكة تدمر ، صاحبة الشهرة التاريخية المدوية في الشرق والغرب ، عند الرومان والفرس والعرب ، للأدلة الستة التي قدمتها .

أما الناحية الأدبية شعرا ونثرا وأمثالا بينها وبين « جذيمة الأبرش » ، أو « قصر » أو « عمرو بن عدى اللخمى » ، فستأتى في النماذج الأدبية للهجة العرب قبل قريش .

١٠ — درة المنازمة : بعد انهيار سد مأرب ، وانفجار سيل العرم هام السبئيون على وجوههم مشردين في بلاد العرب شمالا ، فذهب

فريق إلى العراق ، وثان إلى الحجاز ، وثالث إلى الشام ، فأما فريق العراق
فحكمت هناك نحو ثلاثة قرون ، حتى واثت الفرصة ، واستأنفوا ملكهم هناك ،
فحملت (تنوخ) راية الاستقلال في أيام ملوك الطوائف من الفرس (١)
وأسسوا دولة آل تنوخ ، وتسمى كذلك (دولة آل نصر) أو (آل الحزم) أو
(آل عمرو بن عدى) أو (ملوك الحيرة) أو (المناذرة) وذلك سنة ١٩٠ م
(٤٢٢ ق هـ) وأولهم (الملك بن فهم الأزدي) وآخرهم (المنذر بن النعمان المغرور)
وهو الذي أعاد ملك اللخمين إليهم ، وبقي الملك فيهم إلى أن فتح (الحيرة
خالد بن الوليد سنة ٦٣٢ م (١٢ هـ) وأشهر ملوكهم « جزيمة الوضاح »
الذي قتلته الزباء .

و « امرؤ القيس بن النعمان » صاحب الغريرين ويومى البؤس والسعد ،
« والنعمان بن المنذر » أبو قابوس حاشد وفود العرب إلى كسرى وبروز للمفاخرة .
وكان نصيب هذه الدولة في تشجيع الآداب العربية أوفى من نصيب أية
دولة عربية في الجاهلية ، ومع هذا لم يكن استقلالهم تاما بل كانوا في ظل
حماية الفرس .

(١) حكم ملوك الطوائف بلاد الفرس من بعد موت الاسكندر المقدوني ٢٢٣ ق م ،
إلى ما بعد التاريخ للمسيحي بنحو ٢٠٠ سنة وهي نحو خمسة قرون وقد انتهت بقيام الدولة
الساسانية سنة ٢١٦ م .

دولة اللخمين أو المناذرة أو النصرين		ملوك الدولة الساسانية في فارس	
العدد	اسم الملك	سنة الحكم	الملك
١	عمرو بن عدى بن نصر اللخمي	٢٦٨ م	أردشير
٢	امرؤ القيس بن عمرو: البدء	٢٨٨ م	سابور الأول بن أردشير
٣	عمرو بن امرئ القيس	٣٢٨ م	بهرام الأول
٤	« أوس بن قلام »	٣٧٧ م	« الثاني بن بهرام »
٥	امرؤ القيس المحرق بن عمرو	٣٨٢ م	« الثالث بن بهرام بن بهرام »
٦	النعمان الأعور بن امرئ القيس	٤٠٣ م	نرسی بن بهرام
٧	المنذر بن النعمان الأعور	٤٣١ م	هرمز الثاني بن نرسی
٨	الأسود بن المنذر	٤٧٣	سابور « ذو الأكتاف »
٩	المنذر الثاني بن المنذر	٤٩٣	أردشير « بن سابور »
١٠	النعمان بن الأسود	٥٠٠	سابور الثالث بن « »
١١	(علقة أبو يعفر)	٥٠٤	بهرام الرابع « »
١٢	امرؤ القيس ذو القرنين بن النعمان	٥٠٧	يزدجرد الأول بن بهرام الرابع
١٣	المنذر ٣ بن امرئ القيس بن ماء السماء (والحارث بن عمرو السكندى)	٥١٤	بهرام جور الخامس بن يزدجرد
١٤	عمرو بن هند: شرط الحجارة بن المنذر	٥٦٣	يزدجرد ٢ بن بهرام جور
١٥	قابوس (بن هند) بن المنذر	٥٧٨	هرمز ٣ فيروز بن يزدجرد
١٦	(فيشمهرت أو زيد)	٥٨١	بلاش بن فيروز
١٧	المنذر ٤ بن المنذر بن ماء السماء	٥٨٢	قباذ الأول بن فيروز
١٨	النعمان بن المنذر أو قابوس	٥٨٥	كسرى أنوشروان بن قباذ
١٩	(إباس بن قبيصة الطائي)	٦١٣	هرمز ٤ بن كسرى أنوشروان
٢٠	(زاذيه الفارسي) بن ماهان	٦١٨	أبريز بن هرمز
٢١	المنذر المقور بن النعمان	٦٢٨	بن شيرويه بن كسرى إلى يزدجرد ٣
		٣٦٤	

ويلاحظ أن أكثر ملوك الحيرة من نسل (عمرو بن عدى) - إلا سقة - هم من جعلت أسماؤهم بين أقواس ، ومن ملوكهم :

وكان أهل الشام و حوران ومن يليهما يؤرخون بتقويم بصرى عاصمة حوران ، وقد بدأ بدخولها في حوزة الروم ١٠٥ م . ومما نقش في ذلك الحجر أن عمرا توفى سنة ٢٢٣ أى بصروية ، وتوافق سنة ٣٢٨ م .

فمكأن تقويم بصرى بدأ سنة ٧٣ ق م أى بعد سيل العرم ببضع سنوات على نظريتي ، وينجو ٤٢ سنة على رأى غلازر الألمانى .

١١ - دولة الغساسنة : وهذه الدولة أيضا من فلول عرب اليمن ، الذين شئت شملهم سيل العرم ، ولئن حل المناذرة في العراق لقد حل الغسانيون في الشام ، فوق أنهم لم يكونوا مثلهم في القوة أو في المسكنة أو في تشجيع الآداب العربية ، ولم يكن تاريخهم واضحا وضوح التاريخ اللخمي ، ولا ملوكهم معروفين معرفة ملوك الأنبار ، ولا ترتيب ملوكهم ، وسنوات حكمهم بالدقة التي اشتهر بها ملوك آل نصر ، وإن كانوا مثلهم في تبعيتهم لدولة أجنبية .

وأقدم ما وصلنا عن تسلسل ملوك الغساسنة ، ما نبأنا به حمزة الأصفهاني (١) أن ملوكهم ٣٢ مليكا ، وحكمهم نحو ٦٢٦ سنة ، ولهذا سأوسع في تحقيق أيامهم ، وعدد ملوكهم ، وبدء حكمهم ، اعتمادا على عمر الجليل المالكى ، الذي ابتكرته

رأى :

وعندى أن ملوك الغساسنة نحو ٣٢ مليكا موافقة لحمزة ، ولكن حكمهم نحو ٤٨٠ سنة ، وهو قريب من تحديد أبى الفداء ٤٠٠ سنة (٢) لا ٦٢٦ سنة ؛ إذ أنهم بعد هجرتهم إلى الشام كانوا في غاية من المذلة والحسرة ؛ لانكبة التي حلت بهم بسيل العرم ، وكان الضجاعة وهم بنو عمهم وملوك الشام إذ ذاك

(١) تاريخ بني ملوك الارض

(٢) ج ١ : ٧٦

على بيئة من منزلتهم وماضيهم وطموحهم ، فلم يسمحوا لهم إلا بالعيش المحدود والحريه الجزئية في تصرفاتهم .

عمر الجيل الملكي : وبرا بما وعدت به من قبل ، من تحقيق متوسط عمر الجيل الملكي ، وأنه أقل من متوسط عمر الجيل النسبي ، وتنظيما لمدة الغساسنة ، اخترت عشرا من الدول ، وقسمت مدة حكمها على عدد ملوكها ، فنتج أن متوسط حكم كل ملك ، ١٥,٣ سنة . وهذه أسماؤها ، ومدة حكمها ، وعدم ملوكها ، والمتوسط النهائي لحكم كل ملك :

العدد	الدولة	مدة حكمها	ملوكها	ملاحظات
١	الدولة الساسانية	٤٠٢	٢١	بدء حكمها : ٢٢٦ م نهايته : ٦٢٨ م
٢	دولة الروم	٢٤٦	١٤	٦٤١ م
٣	المناذرة	٣٦٠	٢٢	٦٢٨ م
٤	الدولة الأموية	٨٨	١٤	٧٥٠ م
٥	» العباسية	٥١٥	٣٧	١٢٥٨ م
٦	» الطولونية	٣٦	٥	٩٠٥ م
٧	» الفاطمية	٢٠٢	١١	١١٧٢ م
٨	دولة الأكراد	٧٨	١٠	١٢٥٠ م
٩	» الأتراك	٢٧٨	١٠	١٥٦٦ م
١٠	من محمد على إلى الملك فؤاد	١٣٠	٩	١٨٠٦ م
		٢٣٣٤	١٥٣	

فمتوسط حكم كل واحد منهم $= 2334 \div 153 = 15,2$ سنة

وقلت سن « الجيل الملكي » عن « عمر الجيل النسبي » : لأن وراثه العرش عند الملوك ، ولدى تلك الأمم ، لم يكن لها نظام ثابت ، إذ ربما كانت لا كبير من في الأسرة ، وبعد مضي فترة يرى أحد الملوك أن يستأثر بولاية العهد لا كبير أبنائه هو ، بعد أن كان الحق من بعده لأخيه مثلا ، فتثور أحقاد المستحقين ، وأطماع الأقوياء منهم ، فتكثر الفتن والقلاقل ، فتعصف بأعمار هؤلاء عصفاء ،

فيكثر عددهم وعمر دولتهم واحد ؛ ومن نتائج هذا أن ينكشف متوسط «عمر الجيل الملكي» ، وهذه القاعدة عندى لا غبار عليها ، بل هى أدق من المتوسط الذى اختاره الباحثة الألمانى « غلازر » لعمر الجيل فى دولة سبأ وغيرها ، وهو ٢٥ سنة . وبتطبيق نظريتى فى عمر الجيل الملكى على عدد ملوك الغساسنة وهو ٣٢ نجد مدتهم $32 \times 103 = ١٥٣٠$ نحو ٤٩٠ سنة منها ١٦ بعد هجرتهم ، فيكون حكمهم بدأ قبل الهجرة بنحو ٤٧٤ سنة ، وهذه تعادل منتصف القرن الثانى الميلادى ، أى قبل المدة التى حددها بعض الباحثين بنحو ٧٠ سنة ،

حيرة جورجى زيدان :

لم يستطع «جورجى زيدان» أن يوفق بين متناقضات المؤرخين فى هذا .
١ - فتراته تارة يقرر أن الغسانيين لم ينزلوا الشام إلا بعد أواسط القرن^(١) الثانى للميلاد وهو قريب من تقديرى .

ب - وتارة أخرى يقول : وقد يكون نزولهم فى القرن الثالث .

ج - وطورا يجد ستة من أولاد « الحارث الثانى بن جبلة » تولوا الحكم ، فيأخذ من هذا القعدد أنهم كانوا متعاصرين ، إذ لا يعقل - عنده - أن يحكموا - الواحد بعد الآخر - بعد وفاة والدهم ، ومجموع مدات حكمهم ٩٤ سنة ! ، ردى :

١ - أثبت قبلا أن الغسانيين حكموا الشام فى أواسط القرن الثانى للميلاد فهم نزلوا قبل هذا التاريخ .

٢ - وليس من الضرورى أن يكون الأخوة الستة عند حكمهم متعاصرين ؛ إذ بناء على أن عمر الجيل الملكى نحو ١٥,٣ سنة - وهو ما حققته - يصبح فى الإمكان أن تكون مدة حكم هؤلاء الستة ٩٤ سنة ، فتوسط حكم كل ١٥,٢ سنة ، فلا ضرورة للمعاصرة فى حكمهم .

وما أُلجأ إلى افتراض المعاصرة إلا أنه سبق أن وافق « غلازر » فى أن

متوسط عمر الجيل ٢٥ سنة ؛ فيلزم على هذا أن تكون مدة حكمهم $25 \times 6 = 150$ سنة ، ولسكن الواقع كان نحو ٩٤ سنة ، فلا ميبيل عنده للنوفيق إلا دعوى المعاصرة . لتكمش الـ ١٥٠ سنة إلى ٩٤ سنة ، مطابقة للحقيقة ! ومن عجب أنه لم يلجأ إلى دعوى المعاصرة إلا في دولة الغساسنة دون جميع الدول ، وفي هذه ما يكفي لضعف دعواه ، وما يبطل زعم « غلازر » من استواء عمر الجيل النسبي ، وعمر الجيل الملكي .

١ - تواريخ البوئارة يؤيد استنتاجي لعمر الجيل الملكي :
جاء في هذه التواريخ أن الحارث الخامس بن جبلة أكبر ملوك غسان ، حكم من ٥٢٩ - ٥٦٩ م ، وبالرجوع إلى ترتيب الحارث هذا ، نجده الخامس والعشرين من ملوكهم ، و $25 \times 15,2 = 380$ سنة ، وبضما إلى سنة ١٥٠ م .
تبعين السنة التي بدأ فيها حكم الحارث ، وهي ٥٣٠ م ، وهي قريبة من ٥١٩ م ، التي سجلها مؤرخو اليونان ؛ فإذا عرفنا أنهم قرروا أن مدة حكمه ٤٠ سنة ، كان معناه أن وفاته كانت في نحو ٥٦٥ م .

٢ - ويؤيد هذا من ناحية ثانية ، تسجيلهم أن ذلك الملك شخص إلى القسطنطينية سنة ٥٦٣ م . لمفاوضة القيصر بشأن ابنه المنذر ، ليكون خافاه في إمارة القبائل التي يحكمها .

٣ - ويؤيده من ناحية ثالثة ، أن هذا الملك الغساني هو الذي توسط لأمريء القيس الشاعر الكندي في الذهاب إلى « قيصر » القسطنطينية ، بعد أن أودع السموءل دروعه ، إذ قد تقدم أن وفاة أمريء القيس ، كانت حوالي ٥٥٩ م أي في عهد هذا الملك الغساني .

٤ - دليل النسب يؤيد عمر الجيل الملكي :
وبتصفح ماسجله حمزة الأصفهاني أيضا ^(١) ، نجد أن جاني الضرائب ، سليمان - أصول الضجاعة - هدد « جذع بن سنان » ، إن لم يدفع الضرائب ،

فضر به بسيفه حتى برّ دوهو يقول : « خذ من جذع ما أعطاك » . (١) فذهبت
مثلا ، فأنداحت الحرب بين ، سليح ، « وغسان » فأخرجت غسان سليحا .
ومن هذا يتبين أن « جذعا » هو الذي مهد السبيل ، فتأسست « دولة الغساسنة » ،
وبالبحث في شجرة أنساب حمير نجد من « جذع » إلى « قحطان » ، ٢١ جيلا
فنه إلى الهجرة (١١ جيلا) مدتها $11 \times 40 = 440$ قبل الهجرة (١٨٢ م) .
وقد سبق عند تحقيق متوسط عمر الجيل الملوكي إثبات أن حكم الغساسنة
بدأ قبل الهجرة بنحو ٤٧٤ سنة ، فهل بين التاريخين إلا ٣٤ سنة ، وهي أقل من
جيل واحد من أجيال النسب !

حكم من ١٤٥ - ١٦٦ م : يوم عن أبيه ، وقد فتح التاريخ أن الغساسنة
اشتهروا في حرب بني النضير ، وانهت بغزاهم في جبال وقلاع
النضير ما أسلم في هذا اليوم الذي يسمى أيضا « يوم ذات النضير » ،
١٤٥ م وعقب يوم « فتح » يوم عن أبيه ، كان يوم حليمة وأبوه حمل
والنادر الرابع بن النضر المقتول في غزاة الحارث الغساني في « مرج طيمية »
فمن إليه . سيد بني عمرو الساساني ، فعكف على « الحارث بن جلة »
الذي توسط لامر بني النضر ، فانهل بقصر الروم ، بعد ذلك
استردع السمرقند يومه .

٥ - ملك النصارى في بلاد الروم
وأحق الأدلة التي يمكن توثيق نظريتي في تحديد ١٤٥٣ سنة متوسط
عمر الجيل الملوكي « مرج طيمية » .

(١) فقد حقق النضر بن النضر أن أقدم من عثروا عليهم من ملوكهم
والغارات الأول ، وقد جاء حكمه في ١٤٥٣ م .
(٢) وأن ملوكهم الذين عثروا عليهم من ملوكهم
(٣) وأن آخرهم ، مالك الثالث ، وقد حكم من ١٤٥١ - ١٤٥٦ م .

(١٤٥٣ م)

من	إلى	مدة الحكم	الملك
٢٢٠	٢٦٥	٥ سنوات	جفنة بن عمرو
٢٦٥	٢٧٠	»	عمرو بن جفنة
٢٧٠	٢٨٧	١٧ سنة	ثعلبة بن عمرو
٢٨٧	٣٠٧	»	الحارث الأول بن ثعلبة
٣٠٧	٣١٧	١٠ سنوات	جيلة بن الحارث الأول
٣١٧	٣٢٧	»	الحارث الثاني بن جيلة (ابن مارية) ولقب بالأعرج ، وخالته هند الهذلي زوجة حبر آكل المرار من كندة
٣٢٧	٣٣٧	»	عمرو
٣٨٠	٤٣٠	٥٠ سنة	جيلة
٤٣٠	٤٦٠	»	النعمان
٤٦٠	٤٨٦	»	جيلة
٤٨٦	٥١٢	»	الحارث بن أبي شمر (الخامس)
٥١٢	٥٢٩	»	جيلة
٥٢٩	٥٦٩	»	النعمان أبو كرب
٥٦٩	٦٢٥	»	جيلة
٦٢٥	٦٣٣	٨ سنوات	شراحيل
٦٣٣	٦٣٦	»	جيلة

أول من ذكرهم اليونان من أمراء غسان في خدمة الروم ، أمير اسمه « جبلة » لم يذكروا والده ولا لقبه . وكل ما قالوه : إنه نصرهم سنة ٤٩٧ م ، فأخذ ثورة أقلقت راحتهم ، فنحوه رتبة فيلارك (Phylarch) أى أمير ، أو رئيس قبيلة ، وجعلوه عاملاً على بطرا .

ويرى « نولدكى » أن جبلة هذا هو والد (الحارث بن جبلة أكبر ملوك غسان) وأكثرهم ذكراً في كتبهم من ٥٢٩ — ٥٦٩ م ، وأخبرنا صاحب « العرب قبل الإسلام » ، (١) أنه جاء في تاريخ مالاناس أن الحارث المذكور حارب المنذر ملك الحيرة سنة ٥٢٨ م — وهو المنذر بن ماء السماء ، الذى حكم من ٥١٤ — ٥٤٦ م « يوم عين أباغ » . ويذكر التاريخ أن الغسانين اشتبكوا في حرب مع المناذرة ، وانتهت بانتصار الحارث بن جبلة ، وقتل المنذر بن ماء السماء ، فى هذا اليوم الذى يسمى أيضاً « يوم ذات الحيار » (٢) ٥٤٦ م وعقب « يوم الحيار : يوم عين أباغ » كان يوم حليلة ، وفيه حمل « المنذر الرابع بن المنذر المقتول » على الحارث الغسانى فى « مرج حليلة » ففسد إليه ، لسبيد بن عمرو والغسانى ، فقتله غيلة و « الحارث بن جبلة » هو الذى توسط لامرئ القيس الشاعر ، فاتصل بقيصر الروم ، بعد أن استودع السمومل دروعه .

٥ - ملوك الانباط يؤيدونه نظرياً :

وأدق الأدلة التاريخية التى تؤيد نظرتى فى تحديدي ١٥٣ سنة لم توسط « عمر الجيل الملكى » تاريخ الانباط .

(١) فقد حقق المؤرخون الغربيون أن أقدم من عثروا عليهم من ملوكهم « الحارث الأول » وقد بدأ حكمه سنة ١٦٩ ق م .

(٢) وأن ملوكهم الذين عثروا عليهم ١٨ ملكاً .

(٣) وأن آخرهم « مالك الثالث » وقد حكم من ١٠١ — ١٠٦ م .

تحقيق :

١ - وبضرب عدد ملوكهم في متوسط عمر الجيل الملكي الذي حققته

$$\text{ينتج } 18 \times 10,3 = 275,4 \text{ سنة}$$

ب - ويحصر الزمن الذي حكموا فيه قبل الميلاد وبعده ، ينتج أنه

$$169 + 106 = 275 \text{ سنة .}$$

إذن اتفق الدليل التاريخي لمدتهم ، مع دليل الجيل الملكي الذي ابتكرته .

(١) ولم يبق بعد الآن شك في أن عمر الجيل الملكي أقل من الجيل النسبي .

(٢) وأن أدق تحديد لعمر الجيل الملكي هو ١٥٣

(٣) وأنه لم يسبقني إلى هذا الكشف ، وهذا التحديد ، أحد من الباحثين

قديمًا أو حديثًا ، غربًا أو شرقًا ، فيما أعلم .

(٤) وأنه بعد سقوط الأنباط في أيدي الرومان بمدة ، قامت دولة

الضجاجة بأمرهم ، بحمية برعايتهم ، في أول القرن الثاني الميلادي .

(٥) وأن « الغساسنة » قاموا في « حور » ، ان حوالى القرن الثاني الميلادي .

النتيجة : فالنتائج التي نستخلصها مما تقدم هي :

(١) أن دولة الغساسنة قامت في الشام قبل الهجرة بنحو أربعة قرون

ونصف (١٧٢ م) خلافا لحزمة الأصفهاني .

(٢) وعدد ملوكهم في هذه المدة كانوا نحو ٣٢ ملكًا وفاقا لحزمة الأصفهاني .

وخلافا لجورجي زيدان و « نولدكي » .

(٣) وأن تحديد الغربيين لزمن قيام الغساسنة سنة ٢٢٠ م يدل على أن

القاعدة التي اتخذوها لقياس الأزمان الماضية المجهولة ، تقرب إلى درجة المطابقة

من قاعدة الأنساب التي اتخذتها دعامة من دعائم نظريتي التي ابتكرتها لتحديد

الأزمان المجهولة في جاهلية العرب .

(٤) وأن البحثة الألمانية « إدوارد غلازر » بتحديد الجيل في تواريخ

الملوك بخمس وعشرين ^(١) سنة ، جاوز الحقيقة بنحو الضعف ، فلا هو وافق جيل الأنساب ، المتصلة - وهو الذى حددته بنحو ٤٠ سنة - ولا هو وافق الجيل الملكى الذى أثبت أنه ١٥٣ سنة باستقراء عشر دول فى ص ٢٢ السابقة ، من هذه الطبقة .

تجميعهم الأدب :

لقد شاهدت حاضرتهم « بصرى » فى حوران ^(٢) كثيرا من مباحج أيامهم ورواقص لياليهم ، وطالما ازدانت مجالسهم فيها بالشعراء والأدباء ، لأنهم عرب خلص ، يهتزون للأدب اهتزاز السكريم للندى فحسب ، بل انسياقا وراء المنافسة الشديدة بينهم وبين المناذرة . فعاد هذا على الأدب والأدباء بأطيب الثمرات ، ولو أنها كانت دون ما عند المناذرة ، ولعل السبب أن هؤلاء كانوا أغنى وأقنى ، وأكثر اتصالا بالشعراء والخطباء والحكام ، فوق أن التاريخ مازال يتلو علينا أنباء الوفود العربية ، التى طالما أمتت بلاط الأكاسرة من خطباء وشعراء ، واهتمام ملوك الفرس بالقبائل العربية النازلة فى مملكتهم ، أو المخيمة فى حدودهم ، كإياد وتغلب وشيدان وتنوخ وتميم وبنى لحيان ، إن هذا الاهتمام أوحى إليهم أن يؤسسوا ديوانا للترجمة من العربية وإليها ، وأن يسندوا مقاليدهم إلى « عدى بن زيد بن حماد العبادى التميمى » من أوائل من كتبوا بالعربية فى ديوان الأكاسرة حماة المناذرة ^(٣) ، وليس الأمر كذلك عند الروم ، حماة الغساسنة .

وأشهر مداح الغسانيين من الشعراء « علقمة الفحل التميمى » و « النابغة الذبياني » ، فإنه بعد أن أوجس خيفة من « النعمان بن المنذر » فى الحيرة للشوشاية المشهورة فى « قصة المتجرودة » ، لجأ إلى منافسه « عمرو بن الحارث

(١) Glaser , Abb . 30

(٢) أنقاضها يطلق عليها الآن « إككى شام » .

(٣) الاغانى ج ٢ ص ١٠٢ .

الأصغر بن الحارث الأعرج ، الغساني ، فرحبوا بقدميه ، فكساها من شعره
حلاخلدت ذكرهم ، وأشهر ما قاله فيهم قصيدته في مدح هذا الملك ومطلعها :

« كليني لهم يا أميمة ناصب »

وبعد أن ظل مشمولاً برعايتهم بضع سنوات ، أحس مرض « النعان » ،
فطار لميادته ، وأزجى في ساحته أفانين استعطافه ، وروائع معاذيره ، فاستل
ذلك مخيمته ، فأحله ما كان له من منزله السابقة ، وأخذ الليل يغرد حتى فرق
بينهما ريب الدهر .

وقبله « المرقيش الأكبر » ، وأحدث من مدحهم حسان بن ثابت .

١٢ - دولة كندة :

كانوا قبل تسكون دولتهم يسكنون « البحرين » ، و « المشقر » .
فدبت بهم ، فـجـلـسـوا عنها إلى « حضر موت » باليمن ، وأقاموا هناك في بلدة
« كندة » ، فاتصلوا بملوك حمير ، فاستخدموهم لبعض أعمالهم .

واتفق في عهد « حسان بن قبيع » ملك حمير - حكم من ٤٢٠ - ٤٢٥ م -
أن « حجر بن عمرو » سيد كندة - وهو أخو حسان لأمه - انتظم في حاشيته ،
ولم يلبث أن زاد إكرامه له ، فولاه قبائل « معد » ، « كاه » ، وسبب ذلك أن سفهاء
بكر غلبوا على عقلائها ، وأكل قوتهم ضعيفهم ، فقرروا أن يهزم منهم
أن يتصلوا بتبع اليمن : حسان ، لدفع الخطب ، فتم لهم ما أرادوا ، وولاه
ملكاً عليهم .

قدومه إلى نجد : فقدم « حجر » ، إلى نجد ونزل « بطن عاقل » ، وظل
بها حتى مات ، ودفن هناك ، فتولى ابنه « عمرو بن حجر » ، بن عمرو آكل المزار .
وفي أيامه فتح الأحباش اليمن ، فسقطت « دولة حمير » ، فضعف شأن « كندة » ،
وقبيل وفاته تولى ماله أولاده بالترتيب الآتي :

- (١) حجر بن عمرو آكل المزار توفي ٤٥٠ م
 - (٢) عمرو بن حجر بن عمرو ٤٩٠ م
 - (٣) الحارث بن عمرو جد امرئ القيس ٥٤٠ م
 - (٤) حجر بن الحارث أبو امرئ القيس ٥٥٠ م
 - (٥) امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية ٥٥٩ م
- رأى اليعقوبي (١)

كانت بين كندة ، و حضرموت ، حروب أفنت عامتهم ، وطالت بينهم حتى ضرتهم ، ولما كثرت القتل في كندة ، لانت بعض اللين ، وكرهت محاربة حضرموت ، فدخل أهل اليمن النشيت ، فافتشروا في البلاد ، فملك كل قوم عظيمهم ، وهاجرت كندة إلى أرض معد فجاورتهم) ثم ملكوا عليهم أول ملك منهم يقال له :

- (١) (مُرْتَع) بن معاوية بن ثور فملك سنة ٢٠
 - (٢) ثم (ثور بن مرتع) فلم يقيم إلا قليلا ثم مات ٠٠
 - (٣) فملك بعده (معاوية بن ثور) ٠٠
 - (٤) ثم ملك (الحارث بن معاوية) ٤٠
 - (٥) ثم ملك (وهب بن الحارث) ٣٠
 - (٦) ثم ملك (حجر بن عمرو آكل المزار) ٢٣ وهو الذي حالف بين كندة وربيعة .
 - (٧) ثم ملك (عمرو بن حجر) ٢ ٤٠ وغزا الشام
 - ومن معه من ربيعة فلقية (الحارث بن أبي شمر)
 - (٨) ثم ملك (الحارث بن عمرو)
- فقتله على الحيرة ، وفرق ملكه على أولاده الأربعة : حجر وشرحبيل وسليمة ومعد يكرّب .

(١) فحجر ملكه على (أسد وكنانة) .

(ب) وشرحبيل ملكه على (غنم) و (طى) و (الرباب) والمفضليات ص ٤٢٧ جعلته على (بكرين وائل) و (حنظله بن مالك) و (بنى زيد مناة بن تميم) و (بنى أسيد) و (طوائف أخرى من بنى عمرو) و اتفق مع اليعقوبى فى الرباب ، وهم من عشيرة تميم .

(ح) وسلمة على (تغلب و النمر بن قاسط) وزاد فى المفضليات (سعد بن زيد مناة بن تميم) .

(د) ومعد يكرب على (قيس عيلان) .

وتفويض المفضليات هنا فتقول (١) : لما ملك [قباذ ملك فارس] كان ضعيفا فتوثبت (ربيعة) على [النعمان الأكبر أن المنذر الأكبر ذى القرنين] (٢)

فأخرجوه ، فخرج هاربا حتى مات (قباذ) وترك ابنه المنذر ، فيهم ، وكان أرجى ولده عنده ، فانطلقت ربيعة ، إلى كندة - وكان الناس فى الزمن الأول يقولون : إن كندة من ربيعة .

فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار السكندى ، فملكوه على بكر بن وائل ، وحشدوا له ، وقتلوا معه ، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق .

فخلى قباذ عن المنذر : وأبى قباذ أن يمد المنذر بجيش ، خشية أن يتسع الحرق على الرافع .

فلما رأى ذلك المنذر ، أرسل إلى الحارث السكندى : «إنى فى غير قومي ،

وأنت أحق من ضمنى، وأنا متحول إليك « فحوله إليه ، وزوجه ابنته «هند» عممة امرئ القيس الشاعر .

تنظيم ممالك كنزة : فلم يلبث أن وجه عنايته إلى توطيد دعائم مملكته، مستعينا بأولاده — وقد تقدمت بمالكهم — .

قيل الحارث الكنزي أبي الطولك : لم ينس اللخميون ثأرهم ، ولم يناموا عن ملكهم المسلوب ، وحقهم المغصوب ، فزالوا في تفكير وتدبير حتى قتلوا ^(١) والحارث ، غريمهم الأول سنة ٤٤٠ م وأخذوا يشنونها حربا شعواء ضد أولاده ، ويقول اليعقوبى هنا ^(٢) «وقام ولده بما كان في أيديهم ، وصبروا على قتال المنذر ، حتى صاروا له أكفاء .»

دهاء المنذر : فلما رأى أن السياسة أجدى من السيف تظاهر بمسامحتهم ، ولو حاطهم بالمصاهرة ، متوددا إليهم ، مرسل بالهدايا إلى أخيههم سلمة ^(٣) ومن ناحية أخرى دس الى (شرحبيل) من أوغر صدره لتخصيص أخيه بالهدايا دونه ، وما برح يؤجج نيران التنافس بينهما حتى تفاقمت الفتن، وجمع كل واحد لأخيه المجمع ، وناديا بالجوائز لمن يأتى برأس الآخر!! ثم التقيا بين السكوفة والبصرة فكان يوما عبوسا قطريرا، تسكشف غبارة عن مصرع شرحبيل في (يوم السكالب الأول) ^(٤) وكانت هذه القذيفة الثانية للمنذر .

نرم سلمة : فلم يكده سلمة « يعلم الدم المسفوح ، ومصرع شقيقه لأمور تافهة حتى أدرك عمق الهاوية التي حفرها المنذر ، ليتهاوى في قاعها الأخوة المخدوعون ، واحدا بعد واحد !! فقال في زفرة حارة :

إن جنبي عن الفراش لناب كتهجا في الأسر فوق الظراب ^(٥)
من حديث نبي إلى ، فما ير . . . قأ دمعي ، ولا أسمع شرابي !!

(١) تاريخ اليعقوبى ج ١ : ٣٧٨

(٢) سلمة أكبر من شرحبيل على رأى اليعقوبى ج ١ ص ١٧٨ وشرحبيل هو الأكبر على رأى ربيع الأعشى ج ١ ص ٣٩١ (٣) السكالب موضع بين البصرة والسكوفة (٤) البعير الاسر ما في سرته داء يمنعه أن يبرك . والظراب الحجارة الناتئة التي حدث أطرافها كالسهم .

مصرع مصر :

وكانت ثلاثة الأثافي أنه لما اطمأن [المنذر] إلى السلاح الجديد : سلاح
الدماء ، وإثارة الفتن في خفاء وصمت ، بين السكنديين ، وقبائل العرب العدنانيين ،
اتجه إلى (قبيلة بني أسد) التي كانت تدين بالولاء ، هي وكنانة للملك حجر
ابن عمرو السكندى ، لأنه وجدها تربة صالحة لإنماء بدوره ، فما زال حتى رفعت
الستارة عن مصرع حجر سنة ٥٥٠ م !!

مهمّة كريمة : ويحدثنا التاريخ في إطناب ، عن المحاولات التي قام بها
امروء القيس بن حجر ، أمير شعراء الجاهلية للثأر ، وفشلها ، والتجائه إلى
ملك الروم بعد أن يئس من إقناع ملوك العرب وقبائلها قحطانية
وعدنانية .

أما عمه (الملك معديكرب) فلم يذكر لنا هذا التاريخ أنه مد إليه يد
النجدة ، بل تركه ينزل (بكرا) التي كان ملكها عمه : (شرحبيل) ثم تغلب
التي كان ملكها عمه (سلمة)

الشك في قحطانيّتهم

لم أجد فيما مرّ من تاريخ العرب إلا إجماعاً على أن المناذرة ، والغساسنة ،
و آل كندة ، من عرب اليمن القحطانيين ، ولكن بعض الباحثين الغربيين ،
وشايهم بعض المشارقة ، كجورجي زيدان ، يرون أنهم عدنانيون (١) لما يأتي :
١ - لأن لغتهم عدنانية لا قحطانية .

٢ - ولأن اليمنية كانوا يكتبون بالحرف المسند ، وليس لهذا الحرف
ذكر في كتابة هؤلاء ، أو في أطلاهم .

٣ - وأنهم لم يختاروا بعد « سيل العرم » مكاناً في اليمن ، بل اختاروا
السهل مهاجراً لهم .

- ٤ - ومعبوداتهم من معبودات عرب الشمال العدنانية .
 ٥ - وليس في أسمائهم رائحة الأعلام السبئية أو المعينية ، بل أسماؤهم عدنانية ، فلا دليل على قحطانية هذه الأمم إلا أقوال النسابين ، وهي أضعف من أن يعول عليها في هذا الشأن (١)

رأى

- ١ - أما أن لغة اللخميين والغساسنة وكندة عدنانية لا قحطانية ، فسيبه أنهم بعد تشنت شملهم بسيل العرم ، وتفرقهم في المدينة وفي مكة ، وفي عَمَّان ، وفي تهامة ، وفي الشام ، وفي العراق ، لم تصبح لهم تلك القوة التي كانت لهم ، مجتمعين في ديارهم ، وفي مملكتهم ، وبين بني جلدتهم وأهلهم ، وقد فارقتهم سطوة الملك ، ورهبة المنصب ، وأملى عليهم السياسة الرشيدة أن يصطنعوا -- في غربتهم وكربتهم -- لغة من حلوا بينهم ؛ والتفاهم معهم ، بل الامتزاج بهم .
 ٢ - ولم يتخذوا في كتابتهم حرف المسند ، ولا في نقوشهم خط اليمين ، تعفية على الماضي ، وسدا للتعالي على جيرانهم الذين قد يسيئون الظن بهم ، وقد يكون هذا من دواعي التهامهم ، أو مطاردتهم على أقل تقدير .

ولهذا نظائر في القاريخ

- (أ) من ذلك أن « العبرانيين » لما أقبلوا من الصحراء ، حوالى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وعبروا الأردن ، فنزلوا فلسطين ، كانوا قبلا يتكلمون بلهجة آرامية ، أقرب إلى العربية منها إلى أى لغة أخرى ، فأخذوا يتعلمون لغة سكانها الأصليين ، وهي السكنعانية (٢) ، واتخذوها لغة التخاطب والكتابة .
 (ب) والعرب في تلك الأحقاب ممن كانوا يخاطبون العالم المتمددين ، بالتجارة

(١) العرب قبل الإسلام ص ١٨٣

(٢) قصة الادب في العالم ج ١ ص ٧٩

والسياسة ، اضطروا إلى معرفة حال الدولة ، وأهل الوجاهة ، ومعرفة لغتهم ، لاستخدامها في المخابرات والتدوين ، فتعلموا الآرامية ، وكتبوها بالقلم الآرامى لسهولة لته .

(ح) و (الجرمانيون) الذين هبطوا المملكة الرومانية قد اضطروا إلى تعلم اللغة اللاتينية ، وجعلوها لغتهم الرسمية ، أما عند التخاطب فكان لكل طائفة منهم لغتها الخاصة (١)

(د) و (محمد على باشا) عندما اختار مصر وطناً نهائياً له ، لم يكن هو وشيعته وجنوده من العرب ، ولا لغتهم بالعربية ، أرادوا أولاً أن تسير اللغة التركية بجانب اللغة العربية ، فاتخذ الوقائع المصرية لسان هذه الرغبة ، وبقيت ردحاً من الزمن تحرر باللغتين التركية والعربية ، بل إن إسماعيل باشا نفسه عندما أمر بإنشاء « دارالعلوم » جعل الغرض من تأسيسها تخريج عدد صالح من المدرسين لتدريس اللغتين : التركية والعربية ، ولكن البديهة العربية لم تسمح لتلك البذرة الأجنبية أن تنمو في ظلالها ، فابتلعت العربية التركية ، واندمج الأتراك والأرثوذكس ومن لف لفهم في المصريين ، وصار الجميع حماة النيل ، في ظلال أشبال إسماعيل .

(٢) ولم يجر الغساسنة والمناذرة وأشباههم ، بعد سيل العرم إلى أرض اليمن ، لأن كل الجهات العامرة كانت مزدحمة بأهلها ، ولا جدوى من سكناتهم صحارى الجنوب ، ومع هذا فكلتا هاتين أملاك حمير ، أو غيرها ، وفي احتلال إحداهما إثارة للويل بعد السيل ، إذ أن عرب الجنوب كانوا أعرف بقيمة الوطن من عرب الشمال .

فالهجرة إلى الشمال أنسب وأرحب من جميع الوجوه ، وارتحالهم إلى جهة أخرى غير اليمن ، وبين قوم أدنى من غيرهم في سلم المدنية . من دواعى استقرارهم ؛ وتمتعهم بالهدوء حتى يلبوا شغبتهم ، ويثبتوا أقدامهم .

وهناك سبب آخر أشار إليه ابن خلدون ، وهو أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة ^(١) ولا يخفى أن عرب اليمن أهل حضرة ، وعرب الشمال أهل بدو ، وإذا ثبت هذا ثبت أن عرب الشمال أسمح نفسا وأعز ضيفا ، وأظهر في عالم النجدة وإغاثة الملهوف .

وسبب ثالث ، هو أن نزوحهم الى الشمال يتيح لهم الفرصة ، فيتهلون بملوك الفرس في العراق ، أو ملوك الروم في الشام ، وقد يكون هذا مدعاة إلى إعادة ملكهم المفقود ، وأملهم المفقود ، والملكية الخلة ، كحمة النسب ، وأذن من هذا أن يصيروا عمالا لهم ، وسفراء بينهم وبين القبائل العربية ، التي تقض مضاجعهم بإغاراتها المتلاحقة .

٤- وكانت معبوداتهم من معبودات عرب الشمال العدنانيين . إننا لما للتنبؤ الذي أرادوه ، والسياسة الرشيدة التي اختطوها لمستقبلهم ، إذ لا يعقل أن ينزلوا ضيوفا بين قوم ضيافة أبدية ، ويشرعوا في التقرب منهم بما فيه صلاح الفريقين ، ثم يخالفوهم في أرهف الأحاسيس ، وأدق العواطف ، وهي الدينية فلا بدع إذا شاركهم في احترام آلهتهم ، بل تقديسها وعبادتها ، ولا سيما إذا كانت من الآلهة العامة للعرب .

٥- أما الحجة الأخيرة للمعارضين ، على أن المناذرة والغساسنة والسكنديين ليسوا بقحطانيين ، فهي أنه ليس في أسماء هؤلاء رائحة الأعلام السبئية أو المعينية ، بل هي أسماء سائر عرب الشمال ، ولا سيما الذين سكنوا مشارف الشام قبلهم ، كالأنباط ونحوهم ، مثل الحارث وثلعة وجبله .

والرد عليها أهون مما مضى ؛ لأن الأسماء ليس لها من الخطر مثل اللغات ، أو الكتابة أو المعاش أو المعبودات ، فإذا كان « مزروع » ، أسما لجدي ، فليس من الضروري أن أسمى واحدا من أبنائي به ، بل ليس من الضروري أن يكون من أسماء المسلمين أو أسماء العرب أو المصريين ، لأن التسمية استلطاف ،

وكم رأينا من المصريين من يسمى بهتلر ، أو ولیم ، أو اسکندر ، وليس ذلك بهين إذا أردت أن أمنع أبنائ من تعلم لغتي ، أو أردت لهم اعتناق دين آخر ، أو وطن ثان ، والضرورة التي أرغمت السبثيين على ترك أوطانهم ، أرغمتهم أيضا على أن يتأقلموا بالإقليم الذي نزحوا إليه ، في لغتهم ، وكتباتهم ، ومعبوداتهم ، وعاداتهم وتقاليدهم ، فما بالك بأسمائهم ، وهي أهون الجميع ، فهل من عيب على علماء الأنساب إذا كانوا أمناء في نقلهم ! وهل يلام ثقاتهم إذا أخبرونا أن انفجار سيل العرم أحدث في بلاد اليمن ، رجة ، وأسقط دولة ، وأثار بين العدنانيين ضجة ، ونزحت فلول المنسكوبين إلى أطراف الجزيرة ، مسودين ، بعد أن كانوا سادة ، وسوقة بعد أن كانوا ملوكا ! وأن الزمن لم ينصفهم ، بإرجاع مملكتهم إلا بعد أحقاب أربت على ثلاثة قرون ! .

فالحق أن الغساسنة والمناذرة والسكنادية من القحطانيين لا العدنانيين .

١٣ -- طسم ومبريس :

قرر المؤرخون من العرب ، أن هاتين القبيلتين من العرب البائدة من إرم ، ليسوا من العدنانيين ، وسكانهم شرقي نجد في اليمامة موطن العدنانيين - يدل على أنهم نزحوا من الجنوب ، وإبادتهما في أوائل القرن الخامس الميلادي يدل على أنهم كانوا يتكلمون باللغة العربية العدنانية ، أسوة بالدول العربية الجنوبية ، التي هاجرت إلى الشمال ، فقضت عليهم البيئة أن يتخذوا العدنانية لسانهم ، مثل كندة والمناذرة والغساسنة .

كيف نفانوا ؟ .

ويذكر مؤرخو العرب كذلك أن قبيلة « طسم » كانت لها السيادة على قبيلة « جدیس » وظلوا على هذه العلاقة مدة ، حتى آل الملك إلى رجل أحق من طسم ، فقضى ألا تزف بكر إلى زوجها حتى يسبقه إليها ، وبعد حقبة فاضت الكائنات ، فدفن الجدیسيون سيوفهم في الرمال ، وأقاموا ولية للملك الطسمى وحاشيته ، وبيناهم منهمكون في طعامهم ، انهار عليهم الجدیسون

فقتلوه ، وتبعوا أكثر طسم فاستأصلوهم ؛ فهرب بعضهم إلى حسان تبع
الين ، مستنجدين به ، فسار إلى جدیس ، فلم يبق منهم أحد ، وهكذا تغانى الحیان ،
ودقوا بينهم عطر منشيم

ما يفسد البصر من الشعر :
إذا كان الأدباء لم يجدوا غضاضة في اعترافهم بشعر امرئ القيس
الكندى ، أو عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، أو الشنفرى الأزدي ، أو عبد
بغوث الحارثي ، أو طفيل القهوثي ، أو الأفوه الأودي ، وجميعهم من كهلان .
ولم يعترضوا على الشعر المنسوب لزهير بن جناب الكلبي ، أو عوف
ابن سبيع الجرمي ، أو نهد بن زيد القضاعي ، أو عمرو بن مرة النهدي ، وجميعهم
من حمير إحدى شعبتي قحطان ، فلا مانع عندي أن نعترف كما اعترفوا بشعر
الغحطانيين الذين اتصلوا بالعدنانيين ، ولو قبل العهد القرشي ، فكيف والشعر
الذي نسبوه إلى طسم وجدیس كان في القرن الخامس الميلادي ، في عهد حسان
تبع الين الذي حكم من ٤٢٠ - ٤٢٥ م أي نحو قرنين قبل الهجرة
وهو من معاصري (قصي بن كلاب) أول ملوك قريش !

لقد أجمعت كتب الأدب على أن « عفيرة » بعد أن نال منها ملك
طسم ، قبل أن تزف إلى زوجها ، خرجت شاقة درعها في أقبح منظر ،
وهي تصيح :

لا أحد أذل من جدیس !! أهكذا يفعل بالعروس !!

وبعد أبيات صاحت مرة أخرى وهي تشد تحرض أهلها وقبيلتها :

أجمُل ما يؤتى إلى فتيانكم وأنتم رجال فيكم عدد النمل !!

وتصبح تمشى في الدماء (عفيرة) عشية زفت في النساء إلى بعل !!

فلو أننا كنا رجالا وكنتم نساء لكننا لانقر بهذا الفعل !!

فوتوا كراما أو أميتوا عدوكم ودبوا النار الحرب بالخطب الجذل !!

فلما سمع أخوها الأسود ، وكان سيدا مطاعا ، جمع قومه وأعدوا العدة

ليسلم الشرف الرفيع من الأذى ، فلما أبادوا طسما قال :
ذوقى ببيغيك ياطسم مجللة فقد أتيت لعمرى أعجب العجب !!
(آثارهم) : ولطائين القبيلتين أو الامتين قلاع ومدن أثرية ، فن قلاعها
(المشتركة) لها ذكرى فى أيام العرب ، ومن أشهر مدنها (القصرية) فى اليمامة
وهى حاضرة طسم .

(٢) العرب المستعربة

(إسماعيليون) ثم (عدنانيون)

خيّل إلى بعض الباحثين قديما وحديثا أن العرب (الإسماعيليين) هم
العرب (العدنانيون)

١ — أما القدماء فلهم عذرهم إذا خلطوا بين الفئتين ، لأنهم يروون
ما سمعوا مقتضبا تارة ، ومخلوطا خزفه بدره ، وحقه بباطله تارة أخرى ،
ولأن تطاول المدد السابقة بما يساعد على هذه الفوضى .

ب — وأما الحديثاء فمنهم من تابع القدامى ، وأطرفهم ما سجله فى أيامنا
الاستاذ « محمد جميل بيهم » رئيس المجمع العلمى اللبنانى ، ورئيس إخوان
الثقافة (١) فى قوله : « إن أقدم أخبار العدنانيين وصلت إلينا عن طريق
التوارى : فقد ورد ذكرهم فى قصة يوسف ، خلال القرن الثامن عشر قبل
الميلاد ، وقد كان « جورجى زيدان » حذرا عند إيراد هذا الخبر فقال :
« فإذا صحت غزوة (بختنصر) كما ذكرها العرب كانت (معد) قبيلة كبرى
فى القرن السادس قبل الميلاد (٢) .

والمؤرخون القدماء أوضح عذرا من الباحثين اللبنانى عندما تناقلوا أن
أن « بنو خذ نصر » مملوك آشور حاربت عدنان — والعرب يسمونه « بختنصر »

(١) كتاب قوافل العروبة ومواكبها خلال المصور ص ٢٩

(٢) العرب قبل الاسلام ص ١٦٩

والتوراة تسميه «نبوخذ راصّر» (١) وأن (ابنه : معدا) كان إذ ذاك بعد العاشرة (٢).

تحقيق

وبإعادة النظر فيما قرره الأستاذ «بيهم» نجد أنه اشتمل على أمرين :
(الامر الأول) أن العدنانيين كانوا معروفين في القرن الثامن عشر قبل الميلاد
و (الامر الثاني) أن أخبار هؤلاء (العدنانيين) أيضا ورد ذكرها
في التوراة في قصة يوسف، ثم في مناسبات أخرى، ولكي أصل إلى الحقيقة
بحشت في سلسلة نسب عدنان أولا، وفي التوراة ثانيا.

١ - أما في سلسلة النسب، فقد رأيت أن من الهجرة النبوية إلى عدنان ٢٢
جيلا، وقد أثبت فيما سيأتى أن متوسط عمر الجيل ٤٠ سنة، فلهذه الزمن الذي
كان فيه عدنان يجب أن نضرب ٢٢ × ٤٠ والناتج هنا سيكون ٨٨٠، أى نحو
تسعة قرون، منها ستة قرون من الميلاد المسيحي إلى الهجرة، فيكون الزمن
الذي وجد فيه عدنان هو القرن الثالث قبل الميلاد.

والأستاذ بيهم قد قرر أن العدنانيين كانوا في القرن الثامن عشر قبل
الميلاد، والفرق بين تقديري وتقديره هو الفرق بين ١٨ قرنا، ٣ قرون
أى ١٥ قرنا، فهو زمن مديد كما ترى، فما حجة الأستاذ في هذا الفرق، بعد أن
أدليت بحجتي، معتمدا على سلسلة النسب، التي كان القدامى يعتمدون عليها،
ولو أنهم أنقصوا المتوسط عن تقديري !

مرج مركزي :

ومما جعل مركزي حرجا ما تناقله مؤرخو العرب من اشتعال الحرب بين
(بخت نصر) و(عدنان) (٣) لأن المؤرخين العصريين قرروا أن (نبوخذ نصر)
آخر الغزاة من ملوك آشور، كان في القرن السادس قبل الميلاد !! فلو صح أني

(١) سفر إرميا اصحاح ٤٩ عدد ٢٨ وما بعده

(٢) تاريخ ابن الأثير ١ ص ١١٧

التوراة صرحت بوجود العدنانيين في زمن سيدنا يوسف، وصحح أن مؤرخي العرب لم يجاوزوا الحقيقة حين أخبرونا بمعاصرة عدنان لبخت نصر، بل باندلاع الحرب بينهما، لكانت قاعدتي باطله، واستنباطي خطأ!! وأسلوبي في البحث أبعد الأشياء عن أساليب العلماء الباحثين!! والمحققين العصريين! رأى التوراة: وإزاء هذه الاعتراضات، وإجماع مؤرخي العرب على الحرب العدنانية البختنصرية، وأن ملك آشور كان في القرن السادس لا الثالث، لم أجد مناصاً من الرجوع إلى الحجة التي اعتمد عليها الأستاذ بيهم، فأسرعت إلى التوراة، باحثاً عن قصة يوسف، فلم أجد عنواناً لها بين أسفاره وعنواناتها التي بلغت ٣٩ سفرًا وعنواناً، من أسفار العهد القديم وفهرسته، وإزاء تصميمي على الوصول إلى الحقيقة فيما نصت عليه التوراة، عثرت — بعد طول التطفاف — عليها في سفر التكوين، ولم يقعدني أن إصحاحاته ٥٠ إصحاحاً، بل تابعت البحث والاطلاع حتى وجدت الضالة المنشودة في الإصحاح ٣٧، ففي العدد ٢٤ يتحدث عن إخوة يوسف وطرحهم إياه في البئر.

وفي العدد ٢٥ وما بعده يقول: «ثم جلسوا لياً أكلوا طعاماً، فرفعوا عيونهم ونظروا، وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد، وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانا ولاذنا، ذاهبين لينزلوا بها إلى مصر، فقال يهوذا لإخوته: ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه!! تعالوا نبيعه للإسماعيليين..»

إذن ليس بدقيق قول الأستاذ بيهم: إن أقدم أخبار العدنانيين وصلت إلينا عن طريق التوراة!! لأن الذي وصل إلينا عن طريقها هو أخبار الإسماعيليين لا العدنانيين، وإذا ساغ أن ينسب الابن إلى الآباء أو الأجداد فليس من المستساغ أن ينسب الأب أو الجد إلى الأبناء والحفدة، كما لا يصح أن ينسب المعلوم إلى المجهول، أو الموجود إلى الذي لم يكن قد وجد. فالنتيجة لهذا:

١- أن العرب الذين كانوا في عهد يوسف لم يكونوا من العدنانيين، بل

كانوا من الإسماعيليين .
 ب - وأن عدنان لم يكن قد وجد في القرن الثامن عشر الميلادى ، فليس معقولاً أن يوجد له اتباع ، وأن تكون لهم أخبار !! بقى على أن أثبت أو أنفى قول النواره : وإن القافلة التى رآها إخوة يوسف مقبلة الى مصر كانت قافلة الإسماعيليين ، إذ يجوز أن يكون هذا الزمن قبل أن يوجد الإسماعيليون أيضاً .

زمن إسماعيل :

إذا كان المؤرخون العصريون قد أثبتوا أن يوسف الصديق ، كان فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، فقد أثبتوا أيضاً أن «إسماعيل بن إبراهيم» عليهما السلام كان فى القرن ١٩ قبل الميلاد^(١) ، فهل ورد فى كلام مؤرخى العرب ما يلقى ضوءاً على هذا الموضوع ؟

تصفحت عشرات من كتب التاريخ والأدب ، فعثرت بعد لائى على قول «أبى الفداء» فى تاريخه^(٢) :

«اختلفوا فى عدد الآباء بين عدنان وإسماعيل ، فأكثر ما نقل ٤٠ أباً ، وهو الموجود عند أهل الكتاب ، أخذوه من كتاب «رخيا» كاتب «إرميا» وقيل ٣٠ أباً ، وقيل ٢٠ ، وقيل ١٥ وقيل ٩ ، وقيل ٧ آباء ،

(١) وبتجربة الآباء إذا كانوا سبعة تبين أن المدة من إسماعيل إلى عدنان ، ثم من عدنان إلى الهجرة ٧ + ٢٢ = ٢٩ جيلاً مدتها ٢٩ × ٤٠ = ١١٦٠ سنة قريية وهذه توافق ١١٢٠ سنة شمسية أى حوالى سنة ٥٠٣ قبل الميلاد المسيحى ، وهذا يخالف ما حققه المؤرخون العصريون من أن إسماعيل كان فى القرن ١٩ قبل الميلاد .

(١) العرب قبل الاسلام - ص ١٦٧

(٢) البداية والنهاية - ٢ : ١٩٣

(ب) وبتجربة المدة على القول بأن الأجيال من إسماعيل إلى عدنان ٤٠ جيلا تبين أنها $٤٠ \times ٤٠ = ١٦٠٠$ سنة قريية أو ١٥٥٢ سنة شمسية ، وبما أن الأجيال من سيدنا محمد إلى عدنان ٢٢ جيلا ، وأن الأجيال من إسماعيل إلى عدنان ٤٠ جيلا على قول الأكثرين ، فإذا الأجيال من إسماعيل إلى سيدنا محمد $٤٠ + ٢٢ = ٦٢$ جيلا ، مدتها $٦٢ \times ٤٠ = ٢٤٨٠$ سنة قريية أو ٢٤٠٥ سنة شمسية ، ونظرا إلى أن الهجرة كانت ٦٢٢ م يكون إسماعيل قبل الهجرة بنحو $٢٤٠٥ - ٦٢٢ = ١٧٨٣$ سنة أي انه كان في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، كما كان ميلاده في القرن التاسع عشر قبله .

ويؤيد هذه المدة ما حققه المؤرخون العصريون ، كما يؤيد أن الأجيال من إسماعيل إلى عدنان ٤٠ جيلا قول الأصفهاني ، فإنه لم يكتف بذكر هذا الرقم فحسب ، بل ذكر اسم كل واحد من هؤلاء الأربعين في ترجمة أبي قطيفة الشاعر (١) .

ومن بنو نصر :
ولتحقيق ما تناقله مؤرخو العرب ، من أن هذا الملك الغازي الآشوري ، الذي دوخ كثيرا من الأمم ، كان في عصر «عدنان» ، بل ثارت بينهما الحرب ، فانتصر الآشوريون ، وانهمزم العرب ، يحسن في الرجوع إلى الزمن الذي كان فيه عدنان ، فنجد في القرن الثالث قبل الميلاد ، بناء على نظريتي ، وبالعودة إلى التاريخ الذي أجمع عليه محققو المؤرخين العصريين ، نجد (بنوخذ نصر) كان في القرن السادس قبل الميلاد . إذن كان الملك الآشوري قبل عدنان بنحو ثلاثة قرون ، وبهذا يتبين أن المعاصرة لم تجمع بين هاتين الشخصيتين الكبيرتين ، وبالتالي ليس صحيحا أن الحرب ثارت بينهما .

(١) ٧٢١ - ١٠٠٠ - ١٢٠٠ - ١٤٠٠ - ١٦٠٠ - ١٨٠٠ - ٢٠٠٠

برهانه التوراة :

ويؤيد هذا الاستنباط أيضا أن التوراة قالت عن « قيدر » وعن « ممالك حاصورا » التي ضربها « بنوخذ نصر » :

« هكذا قال الرب : قوموا اصعدوا إلى قيدر ، اضربوا « بني المشرق » يأخذون خيامهم وغنمهم . . . »

وبنو المشرق هؤلاء ليسوا إلا العرب ، ولم تقل التوراة إنهم بنو عدنان ، بل نسبتهم إلى قيدر بن اسماعيل ويقول المؤرخون : أصبح الإسماعيلية في عرف التوراة من ذلك الحين قبيلتين : « قيدر » و « بنيت »^(١)

وفي عهد الملك الآشوري كان يطلق على العرب (الإسماعيلية) أو (أبناء المشرق) أو (أبناء قيدر) إذ لم يكن عدنان قد وجد فليس ثمة شك بعد هذا في أن عدنان لم يعاصر « بنوخذ نصر » أو (بختنصر) كما يسميه العرب ولم يحاربه ، خلافا لمؤرخي العرب ، ولا عبرة بإجماع مؤرخيهم على هذا ، إذ أنهم انساقوا بحسن نية إلى أول من نقل ذلك إليهم من القصاص ، وإذا كان القدماء معذورين في نقل هذا الينا دون تمحيص ، فما عذر الأستاذ البحاثه « بيهم » ألم يكن في إمكانه أن يبحث أمر هذه المعاصرة بحثا علميا ، مستعينا مؤرخة الغرب الحديثين ، وعلماء الآثار ! حقا لكل عالم هفوة .

القحطانيون ومؤرخو العرب

نظرية السلاسل النسبية التي ابتكرتها ، ودعمت قواعدها ، وقد نجحت نجاحا تاما في تحقيق تاريخ الإسماعيليين والعدنانيين ، لو أردنا تطبيقها على أنساب القحطانيين ، وتحقيق تاريخهم ، ما كنا إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه . وما هو ببالغه وإليك البرهان : (تحقيق)

١ - تبين لي مما نقلته عن رواة العرب، وعلماء الأنساب منهم، أن متوسط الأجيال من عصر النبوة إلى قحطان ٣٢ جيلا (في شجرة الكهلانيين) و ٣٠ جيلا (في شجرة الحميريين) فتوسطهما ٣١ جيلا .

وزمنها $٣١ \times ٤٠ = ١٢٤٠$ سنة أي أن قحطان كان يعيش في القرن الثالث عشر قبل الهجرة والقرن السابع قبل الميلاد .

٢ - وبالرجوع إلى تاريخ القحطانيين عند علماء الآثار نجد « دولة سبأ » أقدم من « دولة حمير » (١) .

(١) لأن سبأ بدأت دولتها سنة ٨٥٠ ق م ، وسقطت بسيل العرم سنة ١١٥ ق م .

(ب) فاستولت على أنقاضها دولة حمير من ١١٥ ق م وفقدت استقلالها سنة ٥٢٥ م (٢) بالاحتلال الحبشي .

٣ - وبموازنة تاريخهم الذي حققته، معتمدا على سلسلة النسب، بتاريخهم الذي حققه الأثريون، معتمدين على النقوش ، نجد تاريخهم الذي دلت عليه النقوش ، أقدم مما دلت عليه روايات علماء النسب، في شجرة أفسابهم، بنحو ٢٣٢ سنة ، وهذه تعادل نحو ٧ أجيال ، ومنشأ هذا الفرق

(١) إما أن متوسط عمر الجيل عند القحطانيين يجب أن يكون ٧٢ سنة ، ويناقض هذا الاستقراء .

(ب) وإما أن في سلسلة النسب حلقات مفقودة تستغرق نحو ٧ أجيال فكدأن أجيالهم لو كانت كاملة لبلغت نحو ٢٨ جيلا ، ولكن متوسط ما أورده الرواة هو ٣١ جيلا وعندى أن الـ ٣٨ جيلا أقرب إلى الحقيقة ، لأن سقوط ٧ أجيال من نحو ٣٨ جيلا ، له نظائر في بعض فروع الأنساب

العدنانية وإن كانت هذه النظائر في أنساب العدنانيين أقل لقرب عهدهم إذا قيس بعهد القحطانيين ، ونجدها على قلتها في فروع الأنساب لا في أساسها للسبب نفسه .

الفجوة الزمنية : فليس عجبا أن نرى في تاريخ القحطانيين فجوة في أنسابهم ، تتبعها فجوة في زمانهم ، إنما العجيب ألا تكون هذه الفجوة مع تباعد الزمن ، أو أن نقرأ لجورجي زيدان مانسبه لحزة الأصفهاني أن بين (حمير) و (الحارث الرائيش) أول التبابعة (مائة وخمسين أبا) !! (١)

فوضى تاريخ القحطانيين

١ - وقد راعتني ضخامة هذا العدد، فرجعت إلى حمزة في كتابه، فوجدته يحدد العدد بالحروف لا بالأرقام، مسجلا أن الآباء بينهما (خمسة عشر أبا) ولا شك أن مازاد على ١٥ أبا وهو ١٣٥ أبا من سوء حظ التاريخ القحطاني إذ أن الرواة وأخباري العرب ومؤرخيهم ، قل أن يتفقوا على أى شيء في هذا التاريخ جملة وتفصيلا .

٢ - ومن ذلك أيضا أن حمزة عند عده ملوكهم ، وضع أمام كل ملك مدة حكمه، نقلا عن بعض السابقين، فكان عدد ملوكهم ٢٦ ملكا، وإذا جمعنا ما وضعه عن مدد حكمهم، نجدها ١٧٠٠ سنة، ولكن حمزة جعلها - بالحروف لا بالأرقام أيضا - ٢٠٢٠ فكأنه لم تكفه الـ ١٧٠٠ سنة ، مع ما فيها من مبالغة فسمّاها إلى ٢٠٢٠ سنة، وبذلك يكون قد تصيد من الهواء ٣٢٠ سنة .

٣ - وأفدح من هذا أننا قل أن نجد مؤرخين اتفقا على عدد ملوكهم أو أسمائهم ، أو ترتيبهم ، أو أعمالهم ، أو أزمانهم ، أو مددهم ، بما يدفع خالي الذهن إلى الاعتقاد أنه كان بين المؤرخين تسابق، لإشاعة الفوضى في كل

ماله علاقة بتاريخ اليمن، تارة بالزيادة، وأخرى بالنقص، وطورا بالمبالغة، وأطوارا بالتحريف، ففقدت تواريتهم ما يجب من الدقة والتسلسل والتحقيق، فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

اللغة العربية بين « العاربة والمستعربة »

هذه اللغة التي نكتب بها الآن، ونقرأ بها، وتؤلف الكتب، ونحرر الجرائد والمجلات والمذكرات، هي أرقى أنواع اللهجات العربية للعرب المستعربة حفدة عدنان - حفيد إسماعيل عليه السلام - وما لا ريب فيه أن لهجة العرب الإسماعيليين كانت بعيدة الشبه عن اللهجة التي يستعملها العدنانيون، ولما كانت اللغات من الكائنات الحية، وأنها لهذا في تطور مستمر، كان لنا أن نحكم أن اللهجة التي كان يستعملها العرب لإسماعيليين أولا، غير اللهجة التي كانوا يستعملونها في عصر عدنان، وأن اللهجة العدنانية في أول أمرها، كانت (امتدادا) للهجة العرب الإسماعيلية في آخر أمرها، وأن اللهجة العربية الحالية تخالف اللهجتين السابقتين إلى درجة بعيدة.

فليس عجباً أن نجد مسافة الخلف بين لهجات اللغة الواحدة في تباعد مستمر، كلما تقادم العهد، فإن هذا التدرج من لهجة إلى أخرى، في اللغة الواحدة، منذ طفولتها إلى آخر ما قدر لها من عمر، أشبه الأشياء بالمصور المختلفة لشخص واحد منذ ولادته إلى آخر حياته: وليداً، وطفلاً، وغلاماً، وشاباً، وشيخاً، وكهلاً، وهرماً، إذ البداهة تحكم بأن صورة هذا الشخص رضيعاً غير صورته طفلاً، وهما غير صورته شاباً، وهن غير صورته كهلاً، وهكذا، كما تقتضى بأن صورته هرماً أبعد الأشباه عن صورته وليداً، وقياساً على تلك المراحل نجد اللهجة العربية - العدنانية مثلاً - في طفولتها غير اللهجة التي كان ينطق بها العرب الإسماعيليون، ولهجة العرب العدنانيين في مهدها غير لهجتهم في عصر النبوة، وأبعد من ذلك لهجة العرب المستعربة عند العدنانيين إذا قيسبت بلهجة العرب العاربة عند القحطانيين.

لغة العاربة ولغة المستعربة

يقول علماء اللغات: إن بينهما فروقا كثيرة في الإعراب ، وفي الضمائر ، وفي كثير من أحوال الاشتقاق ، والتصريف ، وأنهما تختلفان اختلافا جوهريا ، ويشد هذا الاختلاف في المفردات نفسها ، وأوجه الشبه والاتفاق أقل جدا من أوجه الخلاف (١) .

الاختلاف بين اللهجات العاربة

وإذا كنا لا نشك في الخلاف الجزئي بين اللهجات العدنانية ، كالربعية والمضرية وفروعها كالتبسية ، والقيسية . . . فكذلك يجب ألا نشك في لهجات اللغة العاربة ، وما بينها من خلاف ، ومثل ذلك لهجة المعينيين ، فهي لا تتحد اتحادا تاما بلهجة السبئيين في لغة حمير ، فحرفهما واحدة تقريبا ، ولكنها تختلف عنها اختلافا واضحا في ضمير المذكر الغائب ، فإنه في « المعينية » السين . بدل الهاء في السبئية وسائر اللغات السامية ، إلا البابلية والحبشية ، فعند معين يقولون « بيسيس » بدل « يفت » ، عند السبئيين ، وهكذا .

ذلك لأن المعينيين اقتبسوا الأبجدية الفينيقية بسهولة استعمالها بالنسبة للحرف المسماري ؛ ولأنهم كانوا جلبوها معهم عند ما نزحوا إلى اليمن من العراق ، فلهذا المعينيين أولا كانت لغة بابل العامية ، وهذه كانت غير اللغة المدونة في العراق ، وعلى توالي الزمن تنوعت تلك الأبجدية ، حتى صارت قريبة من الحرف المسند ، بقدر ما بعدت عن لغة بابل (٢) ، لأن اللغات تتأقلم كما تتأقلم الكائنات الحية ، ولكنها مع هذا التحول تظل محتفظة ببعض الأثرية اللغوية .

نماذج من تحمل العلماء

فكيف يسوغ مع هذا أن ينهض بعض علمائنا ، كابن دريد في كتاب

(١) مقدمة ابن خلدون .

(٢) العرب قبل الاسلام ص ١١١

الاشتقاق، وحمزة الأصفهاني وغيرهما، فيحاولوا أن يرغبوا الأسماء القحطانية مثلا، على أن تكون مشتقة من أصل عدنان !! وفاتهم أن قحطان أقدم من عدنان، وأن القديم لا يمكن أن يشتق من الحديث، وأن التباعد بين اللغتين كبير، وهذا مما شجع بعض الباحثين أن ينفوا عربية اللغة القحطانية، وأن يجعلوها فرعاً من اللغات السامية، لا من اللهجات العربية، وما دعا عمرو ابن العلاء التميمي، أن يقول: «مالسان حمير وأقاصى اليمن بلسانتنا، ولا عربيتهم بعريبتنا»^(١) وهذا بعض ما تمحله الأولون:

١ - سميت (دمشق) لأن من بنوها دمشقوا بناءها أى أسرعوا في إتمامه.

٢ - وعمرو (مزيقيا) جد الأوس والحزرج لقب بمزيقيا، لأنه كان يلبس كل يوم حلوتين، ثم يمزقهما بالعشي^(٢)؛ أنفة أن يلبسهما غيره.

٣ - وسمى أحد موكلهم (سبأ) لأنه لم يدع بأرض اليمن واحدا إلا سباه !!

٤ - وسمى آخر (بطي) لأنه أول من طوى المناهل !! ومن عجب أن حمزة يستنكر الاشتقاق من هاتين الكلمتين^(٣) وحدهما !!

٥ - وأن (الحارث الرائش) - أول التبابعة - سمي بهذا، لأنه أول من غزا منهم، فأصاب الغنائم، فارتاشت حمير في أيامه !!

إن هذا ليذكرني بما كان من أحد فقهاء الريف عندما سئل: ما اسم أخى سيدنا يوسف؟ فأسرع قائلا: اسمه فككتل! وحجته في هذا قوله تعالى: «فأرسل معنا أخانا فككتل وإنا له لحافظون» !!

فضل الملوك على النابخ

وهذا يعرف أن الفضل للملوك في تزويد التاريخ الإنسانى بهذه الوثائق،

(١) طبقات الشعراء للجمحي (٢) القاموس المحيط

(٣) تاريخ بنى ملوك الارض ٨٢

التي لم تقتصر على تخليد ذكراهم وحدهم ، بل خلدت معهم أمهم ، ومدنيتهم ،
ودرجة ثقافتهم ، وبعض رجالهم في ميادين الحرب ، أو الطب ، أو الدين ،
وهي الأمور التي ما برحت لها السلطان الأعلى ، على رجال الشرق إلى اليوم .
وإن في هذا لفرة عادلة ، للملوك والحكام في الزمن القديم ، يخفف ما ينسب
إليهم من قسوة ، ومظالم ، واستبداد ، إذ أنه لا يتوانى أى قوى حتى في هذا
العصر ، من اللجوء إليها ، إذا ما دعت الفرصة ، تصديقا للأثر : « الظلم كبير في
النفوس : القوة تظهره ، والضعف يخفيه ،

ولولا الملوك ، ورغبتهم في تخليد ذكراهم ، بأمثال تلك النقوش والرسوم ،
في أمثال تلك الآجرات والصخور ، ما عرفنا شيئا عن المدنيات القديمة ،
أو الدول التاريخية ، أو لغاتها ولهجاتها ، أو علاقتها بالأمم المجاورة .
أفيسوغ لمنصف بعد هذا أن يبالغ في قذف الملوك التابعة مثلا ،
أو الفراغة ، أو الأكبر ، أو القياصرة بعد ماسطروه في كتاب الإنسانية
الخالد ، من أيجاد باذخة ، وأساس متينة ، ومدنيات خالدة ، وقد ذهب الظالمون
والمظالمون ، وبقي ما هو أجدى ، هدية من الأجداد ، وحلقات ذهبية تربط
الماضى بالحاضر !

ملوك الأدباء

وقد يكون عجيبا ، أنه في الوقت الذي كان الملوك يأمررون ، فتنقش
آثارهم ، ثم يشيرون بحفظها ، فتصبح سرا في ضمير الغيب ، وخبثا في الكهوف
والأنفاق ، وعلى التماثيل والمعابد ، كان علماء الرواية من ناحية أخرى ،
يسجلون آثار الأدباء ، من شعر وخطب ونصائح ، ويستودع الشعراء ورواتهم
ما تنزل به عليهم شياطينهم ؛ وقد صار المعسكران أحقابا متطاولا ، يسيران
جنباً إلى جنب متوازيين ، ولو أنهما لم يكونا متكافئين ١١ فما السر في أن
مد الحادثات وجزرها ، نال من الملوك والحكام ، أعرق مما نال من الشعراء
والخطباء ، وأننا نستطيع أن نسرّد كثير من أنساب الشعراء القحطانيين مثلا ،
وأنساب الأوس والخزرج ، من عصر النبوة إلى قحطان ، ونعجز كل العجز أن

نجد هذا الحظ للموكلهم أو ملوك الغساسنة ؟ يخيل لى أن أهم الأسباب :
١ - أن الأدباء كانوا أقرب إلى قلوب الأمة العربية ، فاحتفظت القبائل
بآثار من أحببت .

٢ - وأن الآثار التي تركها الملوك ، كانت مادية ، منقوشة على آثار مادية ،
أما الأدباء فآثارهم - في كل زمان ومكان - أدبية ، وعطب الماديات أسرع من
عطب الأدبيات ، وخلود المعنويات أبقى من خلود الحسيات .

٣ - وآثار الملوك في القديم ، كانت نخر آلهم وحدهم لا لأمتهم ، أما
الشعراء فكانوا ألسنة القبائل المترجمة عن آمالها وآلامها ، المسجلة لأيامها
ومواقفها ، الذائدة عنها وعن أحسابها ، فاحتفاظها بآثار أدبائها طبعى ، لأن
كل شخص منهم كان يرى فيها خلجات نفسه ، ونبضات قلبه ، ومشار شعوره ،
ووحى ضميره ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانوا يرون في هذه الآثار
غذاء لأرواحهم ، وبلسم لجراحهم ؛ وهذا ما لا يجدونه في آثار الملوك إلا
إذا كانوا عدنانين : شعراء أو خطباء ، وفوق هذا نجد فيما بقى لدينا من الآثار
الأدبية الجاهلية - على قلتها - برهاناً على صدق شعور العرب ، وحجة
على إيمانهم ، وشاهد على كبريائهم ، وهذه هي الحرية الحقة التي يتغنى بها
الغريون الآن ؛ زعماً منهم أنهم باذرو بذرتها ، وطلائع نهضتها .

كيف نبتعث مجدنا المظمور ؟

الواجب علينا نحن العرب بعد الآن ، حكومات وهيئات ، أن نتعاون لبعث
هذا التراث الدفين ، والمجد المظمور ، وذلك لا يكون إلا بأمرين :
(الأول) أن نرسل بالبعوث العلمية إلى جامعات الغرب ، ليتلقى أبناءنا
دروساً مختلفة ، في كل اللغات الشرقية الأثرية : لغات الشعوب العربية البائدة
والعاربة كالبابلية والنبطية .. سواء منها ما ثبت نهائياً أنه لأقوام من العرب ،
وما اختلف فيه العلماء أهى لشعوب عربية أم غير عربية ، ويزودون في
أثناء ذلك بتاريخ تلك الأمم ومدنياتها .

(الثاني) أن يرسل الخريجون — بعد تشجيعهم بمغريات المرتبات والمكافآت وكسبر الوظائف — إلى بلاد اليمن والحجاز وفلسطين والشام والعراق، وبقيّة البقاع الأثرية في الجزيرة العربية، فينفضوا أرضها حجرا بعد حجر، ومحفدا بعد محفد، ومخلافا بعد مخلاف، وقطرا بعد قطر، وفي أثنائها يبحثون، ويسجلون، فتتولى الحكومات العربية طبعه ونشره، في الممالك كلها، بين علماءها، لا فرق بين العرب وغيرهم، ويدرس بعدها في كل المدارس العربية، كل بما يناسبها. بهذا وأمثاله نكون قد قمنا بشيء مما يجب علينا، نحو آباءنا الخالدين، وبعث مدنياتهم، وبشيء مما يجب علينا لبنائنا وحفدتنا، ولانسل بعد ذلك عن فوائج ذلك الجهاد المثقافي الموفق إذا شاء الله تعالى.

أثمرت الباعثين عن آثارنا

ومما يشير هممنا لتحقيق هذه الآمال، أن الغربيين مازال شغفهم يتزايد يوما بعد يوم، بالبحث عن آثارنا، مسلحين بأحدث الأساليب العلمية، ولم يسكفهم ماعثوا عليه في عدن من القرن الثامن عشر الميلادي، وهأنذا أقرأ الآن في ١٨/١/١٩٥٠ برقية لوكالة الأنباء العربية في القاهرة، عن وصول الدكتور الكسندر هونيان، أستاذ العلوم الشرقية في جامعة «سنت أندريو» بأسكتلندة، والدكتور وليم البرايت، رئيس قسم العلوم الشرقية (بجامعة جونز هوبكنز في ولاية بالتيمور الأمريكية). وستسافر هذه البعثة إلى (عدن) للانضمام إلى «البرت جام» الأستاذ بجامعة لوفان البلجيكية، للتنقيب عن الآثار في تلك المنطقة، واستقراء تاريخها القديم.

مصرى يحل في سماء اليمن

وإشراف الحكومات العربية، والهيئات العربية، لبعث تراث الآباء والأجداد، ليس مستحيل المنال، أو عسر التنفيذ؛ فقد استطاع فرد منا نحن المصريين — وهو طيب الذكر سماعة حسن أنيس باشا — أن يستعد لهذا الأمر، وأن يرود تلك البقاع، وأن يوجه أنظار العالم المثقف بأسلوبه

العصرى ، وطيارته الصغيرة ، وأن يمد العلماء والأثريين ببحوثه النافعة ، وخرائطه الدقيقة ، لحدود مملكة سبأ ، وسد مأرب ، ومحاضراته المتعددة في « لندن » . و « الجمعية الجغرافية بباريس » وأنبائه التى كانت تتخاطفها مجلات العالم وجرائده وشركاته البرقية .

وأن يسترشد ببحوثه وعلمه وخبرته ، العالم الفرنسى « مسيو أندريه مالرو » وهو المؤرخ العظيم ، سنة ١٩٣٤ أى من ١٥ سنة لا غير ، ومعه « الكابتن نورنيليون الطيار الفرنسى » وقد أصر هذان الفرنسيان على أن يكون بجائتنا ثالثهما إلى تلك الأصقاع الأثرية ، فتم لهما ما أرادا . وشاهدا أروع آثار سبأ . وسدها . وصورا كثيرا مما شاهدا ، وهما مخلقان فوق تلك الأطلال والدمن ، العريزة علينا ، الجاثمة هناك جثوم « أبى الهول » فى بطحاء الأهرام ، إنى أعتقد أن حكومات العرب وشعوبها وهياتها العلمية ، لا يعجزها أن تشرع فى مثل ما شرع فيه واحد منا ، ولا أقل شغفا بالبحث عن كنوز نامن « مؤسسة دراسة الإنسان الأمريكية » التى وصلت بعثتها الآن إلى عدن لهذا الغرض .

نصيبى المنواضع لبعث أصحبارنا

وهل يسوغ لمثلئ أن يشير على الناس بالبروينسى نفسه ؟ لا ، لهذا لم أقبل أن أظل بمنأى عن نصيبى ، والقيام به . بقدر استطاعتي - فى هذا الجهاد ، فى الوقت الذى أهيب بأبناء العرب الأكرمين أن يسرعوا لتنظيم العمل ، وتحقيق الأمل ، ونشر المآثر العربية بالأساليب العصرية ، وقد كان أول ما أثار حيرتى ، أن العلماء أصبحوا على بيئنة من نوارىخ الأمم القديمة ، بفضل ما كشفوا من نقوشها ، أما العرب العدنانيون فلا نقوش لهم تذكر « وماورد إلينا على أسنة الرواة مشوش مضطرب ، مختلط قديمه يحدشه ، وخزفه بدره ، لا يعرف السابق منها من اللاحق ، ولا أقدم آثارهم الأدبية ، ولا زمانها ، ولا رجالها ، ولا أول من قصد القصائد ، ولا طفولة الأدب العربى ، ولا ترتيب أيامها . فاستلهمت الله فى ١١/٩/١٩٣٨ م : ذكرى ميلادى ، وأخذت أطلع على مئات

من المراجع شرقية وغربية ، وبعد سنين بدأت أسجل «شجرات الأنساب العربية» ، فإذا وجدته قد فرغت من تشجير قبائلها ، وتسجيل أنسابها ، وهو أول عمل من نوعه في التاريخ ، لم يسبقني إليه أحد ، إلا ما كان من «محاولات جزئية» ، أبرز مظاهرها كان في العصر العباسي وما بعده ، من تشجير الأنساب النبوية ، وفي العصر الحديث عن بعض المستشرقين شيء . كهذا ، فسلطوا في جداول أنساب بعض الدول الإسلامية .

أما التشجير الكامل لشعوب العرب ، وعمائرهما ، وقبائلها ، وبطونها ، وأخاذا : عدانها وقحطانيها ، فأمر أخضر به ، وأسجد لله شكرا أن أظهره على يدي ، وطواء عن غيري من أقدم العصور العربية إلى الآن .

وأبرزه على يدى وحدى ، فى أنسب الأوقات ، وفى هذه الأيام التى أخذت الدول العربية فيها تسمح عن عيونها الكرى ، وترنو إلى مستقبلها الزاهر الباسم ، وتوثق الصلة بينها وبين ماضيها المجيد ، وتنهض الجامعة العربية ، لرأب الصدع ، وتنتجعه بالدول العربية ملتحدة متفاهمة ، إلى حياة العزة والكرامة ، وذلك بفضل الله يؤتیه من يشاء . وحسبى أن أشير هنا إلى أهم شجرات النصب التى ألفتها :

العدد	الشجرة	ملاحظات
١	شجرة ربيعة	شعراؤها من أول من حملوا لواء الشعر العرب من العدنانين في الجاهلية
٢	د قيس	كانوا ورثة ربيعة في الشعر
٣	د بنى تميم	آل إليهم الشعر بعد قيس فظل فيهم مئات السنين
٤	د السعديين	وأنضج ثمراتها المزارعة، عشيرتي الأقربون وهم
٥	د الحناظلة	من بنى تميم، وحسبها أن من ثمراتها جريز والقرزدق
٦	د بنى عمرو بن تميم	وهم حماة الذمار وأباة الضيم
٧	د قریش	وحسبها أن منها سيدنا محمد ﷺ، وخلفاء الدولتين: الأموية والعباسية
٨	د كنانة	ومنهم نساء الشهور
٩	د أسد	ومنها كثير من الشعراء كالكميت وعبيد بن الأبرص
١٠	د هذيل	ومن شعرائها أبو ذؤيب الهذلي، وقد أسهمت في الوضع اللغوي وكان فيها فيف وسبعون شاعرا مشهورا (١)
١١	شجرة السكهلانيين	وعم من التغطانيين ومنهم الأنصار: الأوس والخزرج
١٢	» الحميريين	» » » ومن قبائلها قضاة وبطونها وأخذها

قيمة هذه الشجرات

كان في نيتي أولا أن تكون هذه الشجرات بمنزلة المصورات الجغرافية، وسيلة للإيضاح، ومصورا تاريخيا، يعتمد عليه المؤرخون والأدباء، لمعرفة قبائل العرب: فروعها وأصولها، وعدنانيتها وقحطانيتها، ومن أعجبتهم كل شجرة من العظاماء في كل مناحي العظمة...؛ لأن احتياج الدارسين الآن إلى وسائل الإيضاح، أصبح لا يقل عن احتياج السكائنات الحية إلى الهواء، ولسكنى عدلت عن هذا لكثرة النفقات، ولأن النفوس لم تنهأ بعد لمثل هذا العمل.

ومن لى بمن يقنع وزارة المعارف بأثر هذا المشروع !!

فمازات أفكر وأقدر ، وأوازن وأدبر ، حتى عوضنى الله خيرا من مشروعى السابق ، وأوحى إلى أن أتخذ هذه الشجرات ، وسيلة لأزمان الشعراء والأدباء ، ومن تعرف سلسلة نسبهم من القواد والملوك ، وكل ذى مكانة من العرب .

وماذا يمنع من انتهازى الفرصة ، وابتكارى قاعدة حسابية ، لتاريخ العرب ، وتاريخ آدابهم فى العصر الجاهلى أساسها الأول شجرات النسب . ولكن ، الشجرات لا يمكن أن تحدد زمانا وإن استطاعت أن تحدد تسلسلا !

نعم إن آثار العرب فى أطراف جزيرتهم قد تتضافر مع الشجرات ، ولكن الآثار - وإن كانت ترشدنا إلى أسماء بعض الملوك ، أو ظلال مدينتها - ليس للأدباء فيها من نصيب ، لأن الملوك فى كل الآثار هم مركز الدائرة ، ونقطة الارتكاز ، والهدف الأول والآخر .

إذن لابد من ضميمه إلى هذه الشجرات ، حتى نتمكن فى يسر من تحديد الأزمان ، وربط كل شخص فيها أوقيلة بدورة الفلك ، وتعيين أيام العرب وحوادثها المشهورة ، بالنسبة إلى التاريخ الهجرى أو التقويم الميلادى ، وليست هذه الضميمة إلا (تقدير عمر الطبقات) أو عمر أجيال النسب ، بعد أن حددت عددها هذه الشجرات .

عمر الجيل

وقد وفقت أخيرا بعد بحوث وتجارب إلى أدق ما يناسب عمر الجيل وهو (أربعون سنة) فكيف حددت هذا العمر دون سواه ؟

وكيف اهتمت إليه كوسيلة لمعرفة التاريخ الجاهلى العربى ، جملة وتفصيلا إذا عرفنا الأجيال مسلسلة ؟

تاريخ عمر الجيل

(١) أول ما وجه نظري إلى هذه الوسيلة العلامة (ابن خلدون) في ترجمة حياته التي كتبها بنفسه ، فقد عد من نسبه إلى (جده خلدون) عشرة أجيال ثم قال : « لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هذه العشرة ، ويغلب على الظن أنها أكثر ، وأنه سقط مثلهم ؛ لأن خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس ، فإن كان أول الفتح ، فالمدة لهذا العهد ٧٠٠ سنة ، فيكون زهاء العشرين : ثلاثة لكل مائة ، أي ثلاثة أشخاص لكل مائة سنة ، وبذلك اهتديت إلى أن متوسط عمر الجيل عند ابن خلدون ٣٣,٣ سنة ، وأن كل مائة سنة تضم ثلاثة أجيال .

(٢) وقد تابعت البحث بعلمها ، فتبين لي أن هذه الطريقة أو القاعدة ليست من مبتكرات ابن خلدون « بل هو مسبوق إليها ؛ يؤيد هذا أن (جهرة أنساب العرب) لابن حزم الأندلسي المتوفى في القرن الخامس الهجري ^(١) وجدته عند الكلام على (بنى الحارث بن كعب بن عمرو) يذكر أن (من ولده علبة بن ربيعة بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية ابن صلاء بن كعب بن المعقل بن كعب بن ربيعة بن الحارث بن كعب) هكذا ذكر بعض أهل النسب . . . ثم قال : « وهو عندي محال بلا شك بل يسقط بين ربيعة وعبد يغوث أسماء ثلاثة ولا بد ،

فهذه الاستحالة التي حكم بها ابن حزم ، تدل على أن هذا النسب الذي نقله ، خالف القاعدة التي سار عليها علماء الأنساب ، فكأن هذه الرواية التي جعلت عدد الأجيال من (علبة إلى كعب) ١٢ جيلا ، ليست رواية مضبوطة ، لمخالفتها القاعدة التي وضعها علماء النسب ، وكان يجب بناء عليها أن يكون عدد الأجيال من علبة إلى كعب الثالث ١٥ جيلا لا ١٢ جيلا ، وهي التي نهت عليها الرواية ، بل زاد ابن حزم دقة بتعيينه (موضع الحلقات) المفقودة فجعلها بين ربيعة وعبد يغوث .

(٣) ثم توغلت في البحث، فقرأت للأصفهاني، في ترجمة (السموول) ما يأتي:
« حكى عبد الله بن أبي سعد، عن دارم بن عقال - وهو من ولد
السموول - أنه ابن عادياء بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن (عمرو مزيقيا)
ابن عامر بن ماء السماء .

وهنا قال صاحب الأغاني :

« وهذا عندي محال ، لأن الاعشى أدرك (شريح بن سموول)
وأدرك الإسلام .

وعمره مزيقيا قديم ، لا يجوز أن يكون بينه وبين سموول ثلاثة آباء ،
ولا عشرة ، !

تحقيقى

وبالرجوع إلى (شجرة السكهلانيين) نجد (عمرو مزيقيا) هو الجد
الثاني للأوس والخزرج وهما أصل الأنصار - رضى الله عنهم - ومن
الأنصار ذلك الصحابي الجليل :

١ - (ثعلبة بن حاطب) الذي نزل فيه قوله تعالى : (ومنهم من عاهد الله
أن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . .) ، ومنه إلى جده
« عمرو مزيقيا » ١٤ جيلا .

٢ - (عبد الله بن جبير) رئيس الرماة الحمسين من المسلمين في أحد ،
ومنه إلى (مزيقيا) ١٢ جيلا وهذان من الأوس .

٣ - (زيد بن ثابت) كاتب النبي ﷺ ، الذي أمره أن يتعلم السريانية ،
وكان فوق هذا أحفظ الناس للقرآن ، ومنه إلى (مزيقيا) ١٥ جيلا .

٤ - (حسان بن ثابت) شاعر النبي والمسلمين ، ومنه إلى (مزيقيا)
١٤ جيلا .

ومقوسط الأجيال المذكورة هنا لهؤلاء الصحابة الاربعة ١٤ جيلا .
والأجيال التي حفظها علماء النساب من شريح بن سموول إلى (مزيقيا)

- والغاية داخله - ٧ أجيال ، فكان نصف الأجيال قد سقط ، فاعتراض الأصفيهان لقلة عدد الأجيال في نسب السموول إلى مزيقيا ، ثم تحديده أنها يجب أن تكون أكثر من عشرة ؛ تقدير سليم ، يشعر أنهم عمدوا عند تحديد الأزمنة ، وبعدها عن الزمن الإسلامي على عدد الأجيال ، والعمر الذي رأوه لكل جيل .

نظرتي لتعيين الزمن الجاهلي

في تاريخ الأدب ، وتاريخ العرب

باعتشور على قيمة عمر الجيل ، وتحديدده بأربعين سنة ، يصبح لتشجير الأنساب العربية قيمة جديدة ، هي أننا نستطيع تحديد الزمن ، بين عصر النبوة وعدنان - في شجرات العدنانيين - أو قحطان - في شجرات القحطانيين - ولكن شجرات عرب اليمن كثيرة ، وأكثر منها شجرات العدنانيين ، فأى شجرة نجعلها الأساس ؟ ولم نفضل شجرة على شجرة في التقديم ؟

دفعنا لهذا نظرت في أنساب العدنانيين ، فوجدتها تتفرع إلى شعبتين كبيرتين : (شعبة مضر) و (شعبة ربيعة) ^(١) فجعلت لربيعة شجرة واحدة ،

(١) (الصحابة الأربعة والعشرون من نريش) هم مع مراعاة أن سيدنا رسول الله (ص) إلى عدنان ٢٢ جيلا - أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وسعد بن أبي وقاص ، وعمر بن العاص والزبير بن العوام ، وأم حبيبة زوج النبي ، وخالد بن الوليد ، وأبو حبيبة ، وعقبة بن نافع وعقبة بن أبي لهب ، وحبيب بن مسلمة ، وعبد الله بن مظعون ، وطلحة بن عبد الله ، وعتاب ابن أسيد ، ومسطح بن أثانة ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومروان بن الحكم ، وسهل بن وهب وجهم بن قيس ، وعبد المطلب بن ربيعة وعبد الله بن عامر .
(والصحابة المختارون من بني تميم) - منهم من أئزادة : عمرو بن الازهم ، والزرقان ابن بدر ، وجارية بن قدامة ، وخباب بن الأثر ، وابنه عبد الله ، وحسين بن مشتم ، وزهرة بن جويه ، وقيس بن عاصم

ب - ومن الخناظلة سبيب بن خراش والحقات بن زيد وعطار بن حاجب وعياض الدارمي وأسماء بنت سلمة وأسماء بنت مخزبة والمحدث (أبو العثران) ، ومالك بن نويرة وأخوه مقيم والأقرع بن حابس .

واخترت منها ٢٤ صحابيا، مجموع الأجيال منهم إلى عدنان ٤٠٠ جيل، وبقسمة عدد الأجيال على عدد هؤلاء الصحابة، ينتج أن متوسط أجيال الصحابة منه إلى عدنان ٢٥ جيلا .

ثم اخترت أشهر قبائل مضر وهي تميم وقريش وقيس وكنانة .

١ — فن (شجرة تميم) اخترت ٢٤ صحابيا ، فوجدت جملة أجيالهم إلى عدنان ٤٦٢ جيلا، متوسطها ١٩,٢٥ جيلا .

ب — ومن (شجرة قریش) اخترت ٢٤ صحابيا، جملة أجيالهم ٥٤٥ جيلا إلى عدنان متوسطها ٢٢,٧١ جيلا .

ح — ومن (شجرة قيس) اخترت ٢٤ صحابيا جملة أجيالهم ٤٩٣ جيلا متوسطها ٢٠,٥٤ جيلا .

د — ومن (شجرة كنانة) اخترت ٢٤ من الصحابة، جملة أجيالهم ٤٦٥ جيلا، متوسطها ١٩,٨١ جيلا^(١) .

فمجموع المتوسطات الأربعة ٨١,٩٠ جيلا ، ومتوسطها لكل صحابي ٢٠,٥ جيلا .

ح — ومن بنى عمرو بن تميم الحارث بن وهب، وهند بن زرارعة، وصفوان بن صفوان وحنظلة بن الربيع كاتب النبي وغاضرة بن سمرة وأبوسمرة وحيدة بن مخرم ورباح بن ربيعة (وأشهر صحابة قيس) مرصد بن كنانة والربيع بن ربيعة وعروة بن أسماء والحجاج بن علابط وعثمان بن أبي العاص وهب بن عبد الله وجابر بن سلة وقيس بن عاصم النمرى وقبيصة بن الحارث النمرى وحلحلة بن قيس وثابت بن جابر والشمخ ونعيم بن مسعود ومعل بن سنان والحارث بن جميل ويزيد بن الأخنس وعقبة بن وهب وسمرة بن جذب وعتبة بن غزوان والضحاك بن سفيان والورد بن خالد وصفوان بن المعطل والحارث بن عبد العزى .

والصحابة الأربعة والعشرون من كنانة هم -رضي الله عنهم أجمعين- أبو نؤيرة بن شيطان الضمرى وشبيب بن حرام وعمرو بن أمية ، ورافع بن عمرو ، وهشام بن صباية ، وثعلبة ابن الحَكَم ، ومُحَلَّم بن يزيد ومُحَلَّم بن حنيفة ، وأسيد بن إلياس ، وأبو رهم ، وجنادة بن عوف (القلس) ، وعامر بن وائلة ، والحارث بن مالك ، وأميرة بن خويلد ، وسارية بن زهيم ، وخالد بن مالك ، والحويث بن عبد الله ، وكلاب بن أمية ، وجندب بن جنادة ، وحذيفة ابن أمية ، والحارث بن عوف وكاثوم بن الحصين ، وخالد بن سيار ، وأنيس بن إلياس .

وقد تقدم أن متوسط الجيل لربيعه ٢٥ جيلا (١).

فمتوسط الأجيال لربيعه ومضر — وهما أخوان — $= ٢٢,٦٥$ جيلا .
فكان أقرب الشجرات الخمس ، من شجرة العدنانيين إلى المتوسط العام
شجرة قریش .

وكان إرادة الله قضت أن يحفظها من الإفراط والتفريط ، حتى في أجيال
أنسابها على السنة الرواة ، وكذلك جعلنا الله أمة وسطا ، وخير الأمور أوسطها
(٢) أما القحطانيون فقد تشعبت أنسابهم إلى شعبتين كبيرتين أيضا :
(كهلان) و(حمير) كما تفرع العدنانيون إلى شعبتين كبيرتين : (مضر) و(ربيعه)
والمتوسط العام للصحابة في (شجرة السكهلانيين) إلى قحطان ٣٢ جيلا
، ، ، ، ، (حمير) ، ، ، ، ، ٣٠ .

فمتوسطهما ٣١ جيلا . وقد تقدم أن متوسط فرعي عدنان $٢٢,٦٥$ جيلا
نصوع (قحطانه) و (عمرناه) :

١ — فالزمن في غابة العدنانيين ، من عصر النبوة إلى عدنان
 $٢٢,٦٥ \times ٤٠ = ٩٠٦$ أى نحو تسعة قرون قبل الهجرة (أو ٣٠٠ ق م)
ب — وفي (غابة القحطانيين) $٣١ \times ٤٠ = ١٢٤٠$ قبل الهجرة
(أوائل القرن السابع) قبل الميلاد المسيحي .

وستأتى نتيجة الموازنة بين هذا الزمن الذى حددته الأنساب ، والزمن
الذى حدده (غلازر الألمانى) لقيام دولة سبأ سنة ٨٥٠ ق م .

كيف حددت عمر الجيل النسبي :

إنما قيدت الجيل هنا (بالنسبي) لأنه هو المقصود عند إرادتنا معرفة

(١) والصحابة الأربعة والمشروفون الذين استخلصت منهم متوسط عدد الأجيال في
ربيعه هم : الجارود بن حنش ، والاشج العبدى وسفيان بن حولى العجلي ، وصهيب الرومى
والنمر بن توبل النمرى ، وعامر بن ربيعة العتري ، وطلق بن على الحنفي ، وثعامة بن أنمال ،
وحسان بن محدوج ، وخدش الراوية العجلي ، والاغاب الراجز ، وبشير بن الحصاصية ،
وخالد بن المعمر ، ويسر بن خوط ، وزيد بن حارثة ، والمثنى بن حارثة ، والأُسود بن ربيعة
وشيبان بن محرز الحنفي ، وعامر بن ربيعة العتري ، وعامر بن سلة الحنفي ، وشراحيل بن معبد

الزمن بين رجل وآخر من حقدته ، وهو الذى قدرته بأربعين سنة ، وقدره ابن خلدون بنحو ٣٣ سنة ؛ أما (الجيل المملوكى) فهو أقل من نصف ما قدرته للجيل النسبى ، ولو كان تسلسل الملك وراثيا ، كما سيأتى البرهان عليه فى موضعه ، وسأبسط وجهة نظرى هنا لتحديدى متوسط عمر الجيل النسبى بأربعين سنة ، وإن كنت لم أهتم إلى وجهة نظره .

١ - وحجتى الأولى أن العرب فى الجاهلية ، كانوا أشبه الناس بالفلاحين عندنا فى عوائدهم ومنها الزواج ، والشبان عندنا فى القرى يتزوجون فى سن مبكرة ، أى حوالى العشرين ، إلا فى الابن المبكر ، فكان أبواه يسرعان بتزويجه قبل هذه السن ؛ تعجيلا لسرورهما ، أما من بعده من الأبناء فكانوا يتأخرون عن هذه السن ، حتى يستقر معاشهم على أسس اقتصادية أو تعليمية ، وما برح الفلاحون عندنا يرهبون فترة الاقتراع العسكرى ، فإذا سلمنا أن متوسط نهاية العمر للإنسان ٦٠ سنة ، تبين لنا أن مجموع الطرفين : الطرف الأول للزواج ، والطرف الآخر لنهاية الحياة $20 + 60 = 80$ ، فمتوسطهما ٤٠ سنة ، وهى الوسط المتناسب لعمر الجيل النسبى .

٢ - أما حجتى الثانية فهى أنى وجدت مؤرخى العرب قد قدروا الزمن من (قصى) إلى عصر النبوة بنحو قرنين ، فأمرعت إلى الأجيال بعد قصى إلى النبى ﷺ فوجدتها خمسة و ٥ × ٤٠ = ٢٠٠ سنة وهى توافق ما قدروه تمام الموافقة .

٣ - وروت كتب الأنساب والأدب والتاريخ أن مفاتيح السكعبة قبل قرش كانت بيد (خزاعة) وأن آخر من توفى من خزاعة هو (حُليل بن حبشية) وكنت قد سجلت فى مجلة دار العلوم عدد ٣ سنة ١٩٤٨ م أن « قصيا » كان ذا شخصية جبارة ، فاستغل الفرصة ، وعمل على أن تكون مفاتيح السكعبة بيده ، فكانت أول خطوة لتحقيق هذا الأمل ، أن تقرب من (حليل) هذا ، فزال حتى تزوج بنته (حُسى) فلما أحس (حليل) بدنو أجله ، أوصى ابنه بالإشراف على الحجابة ، وأشرك معها « المخترش : أبا غبشان »

فلم يزل يتحين الفرص حتى اجتمع في شرب بالطائف ، فما هي حتى أسكروا ، واشترى مفاتيح السكعبة منه بزق خمر ، ولما كان يخشى أن تذهب السكرة ، فتأت الفسكرة أشهد عليه ، وانتهى الأمر بإخراجه من السكعبة ، وتملك « قصي » حجابها . وصارت إليه مفاتيحها نهائيا ، حتى جاء الإسلام والقريشيون حجاب البيت .

محمد بن زريع خزاعة :

فلو أردنا أن نعرف الزمن الذي ظلت فيه خزاعة قابضة على إدارة السكعبة ، فلا بد أن نلجأ إلى شجرات النسب ، ثم نعد الأجيال من (المخترش) إلى خزاعة ، فنجدها سبعة أجيال ، لأنه (المخترش بن حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو خزاعة) .

$7 \times 40 = 280$ سنة أى ثلاثة قرون ، وهى التى استولت فيها خزاعة على مفاتيح السكعبة .

فهل فى تقارير المؤرخين ما يؤيد هذا ؟ .

(أ) استفتيت (الالوسى) فى بلوغ الأرب ح ١ ص ٢٤٦

(ب) و (ابن كثير) فى البداية والنهاية ح ٢ ص ١٨٧

(ج) و (المسعودى) فى مروج الذهب ح ١ ص ٦٢٤ ، ٢٧٠

فوجدتهم أجمعوا على أن (خزاعة) وليت البيت كآبرا عن كآبرا نحو ٣٠٠ سنة .

فإذا كان منطق تحديدى لعمر الجيل يحدد هذه الأجيال السبعة لخزاعة ؛ بنحو ٢٨٠ سنة ، فإن الفرق بين ما نص عليه المؤرخون ، وما حددته لعمر الجيل وهو ٢٠ سنة فإنه هو (النحو) الذى يشير إليه المؤرخون ، وفى الإمكان أن نلتقى تماما إذا علمنا أن الأربعين التى حددتها للجيل ، إنما هى السن المتوسطة ، فبضم ٢٠ سنة إليها يكمل عمر المخترش ٦٠ سنة ، وهذا يدل على أن (قصيا)

عندما اشترى من (المخترش) مفاتيح الكعبة كان عمر المخترش نحو ٦٠ سنة ، وبذا يكون الاتفاق تاما منطقيا بين تحديدي وتحديد مؤرخي العرب .

٤ - والتجربة الرابعة التي تدل على أن تحديدي أدق من تحديد ابن خلدون هي ما يأتي :

تقدم أن (حُليل بن حَبْشِيَّة) أنجب (حَبِي) زوج قصي ، (وأباغبشان) الذي باع مفاتيح البيت وهو نشوان ؛ فالآن أقرر أن من أولاد (حليل) ابن حبشية (كذلك) عبدنهم بن حليل (، ومن حفدة عبدنهم الذين عاصروا النبي ﷺ ذلك الصحابي الجليل (كرز بن علقمة بن هلال بن جريبة ابن عبدنهم .

فهذه الأجيال الخمسة من قصي إلى زمن النبي ﷺ عمرها $5 \times 40 = 300$ سنة ، وهذه المدة نفسها تحدد مرة أخرى زمن استيلاء قريش على الكعبة في الجاهلية .

٥ - والتجربة الخامسة : برهنت من قبل على أن خزاعة تولت أمر البيت ٣٠٠ سنة ، وأن قريشا تولت أمره ٢٠٠ سنة بعدها ، و $300 + 200 = 500$ سنة فهل في سلسلة النسب ما يؤيد هذا الزمن ، مرة واحدة ، من خزاعة إلى عصر النبوة ؟

نعم . أخبرنا البغدادي ^(١) أنه لما خرج (مُزَيْقِيَا) من اليمن ومعه رجل اسمه (جذع بن سنان) وبقيّة قومه نزلوا بلاد (عك) فقتل جذع ملك بلاد (عك) - وافترقت الأسد ، والملك فيهم (ثعلبة بن عمرو بن عامر) فانصرف عامله فخارب (جرهم) فأجلاهم عن مكة واستولوا عليها زمانا . . . وجاء (قصي بن كلاب) فاستولى عليها .

وبحساب الأجيال من (الملك ثعلبة) إلى طائفة من نسله مثل ،

(١) (أوس بن خالد) نجد من هذا الصحابي الجليل إلى (جده : الملك ثعلبة) ١١ جيلا لأنه : (أوس بن خالد بن عبيد بن عامر بن حطمة ابن جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة) .

(ب) ومن حفيده الآخر عامر بن عبد عمرو إليه - ثعلبه - ١٢ جيلا .

(ح) ومن سويد بن النعمان إلى جده ثعلبة هذا ١٣ جيلا .

ومتوسط أجيال الصحابة الثلاثة ١٢ جيلا .

فالمدة من ثعلبة إلى عصر النبوة $١٢ \times ٤٠ = ٤٨٠$ سنة ، وهذا العدد قريب جدا من المدة التي أشار إليها المؤرخون ، لاستيلاء خزاعة وقريش على البيت الحرام وعلى حساب (ابن خلدون) تكون مدة خزاعة وقريش لهذه الأجيال الاثني عشرة ٤٠٠ سنة ، ولكن المؤرخين ليس فيهم من ذكر هذا الرقم لخزاعة وقريش ، بل أجمعوا على أن المدة ٥٠٠ سنة لا ٤٠٠

٦ - والتجربة السادسة منتزعة من تاريخنا الحديث .

هي أن المدة من (محمد على الكبير) سنة ١٧٦٩ م إلى مولانا جلالة الملك المفدى «فاروق الأول» - زاده الله توفيقا بعد توفيق سنة ١٩٤٩ م = ١٨٠ سنة وبقسمتها على هؤلاء الخمسة : فاروق الأول بن فؤاد الأول بن إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد على على ، يكون الناتج ٣٦ سنة ولكن جلالة الملك الآن قد أشرف عمره السعي - على الثلاثين ، فالباقى لبلوغه الأربعين ١٠ سنوات ، وبضمها إلى ١٨٠ تصير ١٩٠ سنة ، وبقسمتها على ٥ ينتج متوسط عمر الجيل في هذه لأجيال الخمسة وهو ٣٨ سنة ، أما على رأى ابن خلدون فإن ١٩٠ سنة تنكشف إلى أقل من ١٦٧ أى تقل عن الحقيقة بنحو ٢٣ سنة .

٧ - وأقرب من كل ما تقدم أن المدة من ميلاد إبراهيم باشا سنة ١٧٨٩ م

إلى الآن - ١٩٤٩ م - بلغت ١٦٠ سنة انتظمت في ثنائياها أربعة أجيال :

جلالة الملك فاروق ، ووالده جلالة الملك فؤاد الأول - طيب الله ثراه -

ثم جده الأول إسماعيل. ثم جده الثاني إبراهيم باشا و ١٦٠ - ٤ = ٤٠ سنة
 هي متوسط عمر الجيل هنا : وهذا الشاهد يؤيد تحديدي ١٠٠ / ولو أنه
 ليس حدا ثابتا، إذ هذه الأربعون هي الحد المتوسط، فقد تنزل إلى ٣٨ ، وقد
 ترتفع إلى ٤٢ سنة .

١ - بيني وبين بحاثي :

بعد أن دعمت عمر الجيل بهذه الدعامات هزتني نشوة السرور، فاتصلت
 بأستاذي البحاثي حضرة صاحب العزة الأستاذ الكبير إبراهيم بك مصطفى
 عميد دار العلوم سابقا^(١) ، وعضو المجمع اللغوي الآن ، وعرضت عليه
 ما وصلت إليه في تحديد عمر الجيل ، فهنأني وقال : لانفس أنه قد سبقك بمثل
 هذه البحوث وهذا التحديد بعشرات السنين (برسفال)^(٢) في أنساب
 العرب .

ب - فقد جعل عمر الجيل ٣٠ سنة ، ولكنني لم أوافق على رأيه ،
 واستصوبت أن يكون عمر الجيل ٢٥ سنة لا ٣٠ ؛ لأن الحروب المستمرة
 كانت تباكر العرب بالفناء ، فكانوا يتزوجون في سن مبكرة ، قبل أن
 يقتلوا في سن مبكرة ، إذ قليل منهم من كان يبلغ الستين ، فضلا عما فوقها .
 ولكنني أوضحت لأستاذنا البحاثي وجهة نظري بالبراهين السبعة التي
 تقدمت ، وأخبرته أنني بصدد العثور على أدلة أخرى ذات بال^(٣) ، فشجعني
 بما يناسب أخلاق العلماء .

ج - ومن عجب أنني بعد اطلاعي على هذه الحدود الثلاثة لمتوسط عمر
 الجيل ، عثرت على رأي (العلامة الألمانية غلازر)^(٤) فوجدته قد جعل

(١) بعد إحالة عزته إلى المعاش رأت جامعة فؤاد الأول الانتفاع بتجاربه فاتتخب عميدا
 مرة أخرى عند طبع هذا الكتاب (يونيو ١٩٥٠ م) .

(٢) A. P. Caussin De Perceval

(٣) وقد عثرت بالفعل على خمسة أدلة أخرى مذكورة هنا .

(٤) العرب قبل الاسلام . ج ١ ص ١١٩ .

المتوسط لعمر الجيل ٢٥ سنة، عند تقديره مدة ملوك سبأ، وقد بلغ عدد من
عثر عليهم ٢٧ ملكاً .

وهذا بيان بأشهر ما قيل في متوسط عمر الجيل :

في رأي استاذنا إبراهيم بك مصطفى	مقدارها في رأي غلاز	مقدارها في رأي برسنال	مقدارها في نظر ابن خلدون	مقدار المدّة على تخديدي	الزمن الحقيقي من فاروق إلى إبراهيم	عمر الأحيال الأربعة عمر الجيل
١٠٠	١٠٠	١٢٠	١٣٣,٣	١٦٠	١٦٠	
٢٥	٢٥	٣٠	٣٣,٥	٤٠	—	

٨ - التجربة الثامنة : زمن سيل العرم

إذا كان الأدباء في حاجة إلى تجربة جديدة ليتبينوا بها مبلغ ما في قاعدة
من حصانة بعد أن دعمت قواعدها ، وثبت قوائمها بالبراهين السبعة الماضية
فليس سمحوا لي أن أتعلم بهم قليلاً في غياهب الجاهلية ، لأدلم على حادثة هامة
غيرت مجرى التاريخ في الجزيرة العربية !! وأى حادثة أروع ، بل أى مأساة
أوجع !! من مأساة « سيل العرم » ، وتقويض سد مأرب ، وقضائه على مدينة
سبأ ، ودولتها ، وشعبها ، وتمزيقها كل ممزق ، في أطراف الجزيرة ! لقد سجلت
هذه المأساة عبرة في الغابرين . وضربت مثلاً في تمزيق الشمل ، فأصبح
يقال لكل طائفة ذهبت بددا : « تفرقوا أيدي سبأ » .

وما زال صوت القرآن يدوي بقوله تعالى : « فجعلناهم أحاديث . ومزقناهم
كل ممزق ؛ إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

لقد ظلت هذه الفاجعة عميقة الأثر في كل القبائل العربية ، وما برحوا
يتناقلونها أحقاباً متطاولة ، خلفاً عن سلف كفجيعة قاسية ، وهبرة لمن
يتذكر من ذوى الألباب ، ، ثم تلاها أحقاب أخرى اختلطت فيها الحقيقة
بالخيال ، والحق بالباطل ! فلا عجب أن يكون قدامى المؤرخين في عمارة
من حقيقتها ، لطول العهد ، وكثرة مانسجته الأخيلة حولها .

زمن هذه الطائفة :

لقد رأى بعض الباحثين أن زمن هذه الكارثة كان قبل الميلاد بمئات من السنين ، وجعله بعض آخر بعد الميلاد بمئات من السنين ، وكان (الآب أنستانس السكرملي) أعجب الجميع رأيا في هذه المشكلة التاريخية ، إذ انتهز الفرصة عند نشر كتاب الإكليل للهمداني ، ج ٨ فقرر في الهامش (١) ما يأتي :

« اتضح اليوم للعلماء أن انهدام سيل العرم كان بين ٥٤٢ م وسنة ٥٧٠ م ، وليس قبل ذلك كما توهمه كثير من علماء العرب ، وبصرام الغرب » .

رأى

ومعذرة إذا خالفته في الرأي ، معتمدا على الأدلة الأربعة الآتية :

١ - الدليل الأول منطقي :

هو أنه لو ثبت أن سيل العرم كان بين هذين الزمنين اللذين حددتهما لكافة دلالة أن انهدام « سد مأرب » ، و « اندفاع سيل العرم » ، كانا قبل ميلاد سيدنا محمد ﷺ بأشهر أو بسنة على الأكثر ، ولوصح هذا لربطوا بهذا الحادث مولد النبي ﷺ وقالوا : ولد بعد سيل العرم بسنة مثلا ، كما قالوا ولد في عام الفيل ، ولكنهم لم يورخوا إلا بعام الفيل ، مع أنه أهون من سيل العرم ، فهذا دليل على أن الصلة كانت منقطعة بين هذا السيل ومولد خاتم الرسل ؛ وأن الزمن بينهما كان يبلغ مئات السنين لاسمته أو بعض سنة كما يقول خالد الذكر السكرملي .

٢ - الدليل الثاني تاريخي :

وهو أن الزمن الذي حدده هذا العلامة بطرفيه كانت فيه بلاد العرب محتلة بالجيش الحبشي ، بل كان قد مضى على احتلالها نحو ٦٩ سنة ، لأن

هذا الاحتلال كان بإجماع المؤرخين ، فكيف يتفق تحديد (الآب الكرملی) مع هذا الإجماع ! وقبل الأحباش كانت دولة حمير تحقق أعلامها على بلاد اليمن ، ومن المعلوم أن دولة حمير لم تقم إلا على أنقاض دولة سبأ ، بعد انهيار السيل ، وأن ذلك كان قبل الميلاد المسيحي ! فكيف غابت كل هذه الحقائق عن بحاثتنا - طيب الله ثراه - كل ما في الأمر أن الأحباش رموا السد في عهدهم ، لتهدم بعض جوانبه ، ويفهم هذا من عثور العلامة الألماني «غلازر» على أثرين عليهما نقوش ، تفيد هذا التهدم الجزئي أيام الأحباش ، وأحد الأثرين مؤرخ سنة ٥٣٩ م (٨٣ ق هـ) وثانيهما سنة ٥٦٥ م (٥٧ ق هـ) ، واستغرق ترميم السد في المرة الثانية نحو ثلاثة عشر شهرا (١) وقد سبق هذين الانفجارين كثير غيرهما .

٣- (الرليل الثالث) مدعوما بـ رليل المعاصرة

إن الزمنين اللذين حددتهما (الآب الكرملی) لسيل العرم هما ٥٤٢ م و ٥٧٠ م وهذا الوقت كانت فيه (دولة اللخمين) مرفوعة العمد في العراق ، بل كان قد مضى عليها ما يقرب من ثلاثة قرون ، ومثلها (دولة الغساسنة) في حوران بالشام ، وإجماع المؤرخين العرب قد انعقد على أن هاتين الدولتين ملوكهما من فلول الينيين ، الذين أرغهم سيل العرم على الهجرة إلى هذه المواطن الجديدة ، فأسسوا فيها بعد قرون هاتين المملكتين ، ومؤرخو الفرس والروم لا يختلفون مع مؤرخي العرب في هذا ، فأى الفريقين نصده ؟ هؤلاء جميعا أم الآب الكرملی وحده ؟ .

وليس الزمان متقاربين حتى كنا نتجمل الأعذار ، ونقرب بين وجهتي النظر ، ولكن تطاول العهد ، ومرور بضعة قرون ، بين تقدير الطرفين ، يجعل هذه المحاولة نوعا من العبث .

(ب) هذا من جهة المعاصرة ، أما من جهة الأجيال النسبية ، فإن شجرة

الأنساب تدلنا على أن عمرو مزيقياء ملك سبأ، وهو الذى نبأته العرافة بحدوث السيل، ثم حدث السيل فعلا بعد هجرته ببضع سنين. هذا الملك وهو جد الأوس والخزرج كان منه إلى (العصر النبوى) ١٧,٥ جيلا مدتها ١٧,٥ × ٤٠ = ٧٠٠ سنة قبل الهجرة، وبضم العشرين سنة الاحتياطية^(١) يكون انفجار السد واندفاع السيل سنة ٧٢٠ قبل الهجرة (نحو ١٠٠ قبل الميلاد).

٤ - (تضافر الدليل النسبى مع الدليل النقشى)

وبموازنة الدليلين نجد أن العالم الألمانى ، غلازر ، قدر لوقوع هذه المأساة سنة ١١٥ ق م^(٢) ، وبذا لم يبعد عن تقديرى إلا نحو خمس عشرة سنة .

وقص علينا الأستاذ المرحوم الحضرى بك^(٣) أن العلامة الفرنسى سيديو قدر لوقوع السيل سنة ١٢٠ ق م ، وهذا التقارب بيننا يدل على أن البون شاسع بين تقاديرنا نحن الثلاثة من جهة ، وتقدير (الأب الكرملى) إذ يباغ نحو ٦٧٢ سنة زائدة على متوسط الفترة التى حددها غلازر، و٦٧٨ عند سيديو ، و ٦٥٨ عند دليل النسب .

ومن جهة ثانية نجد الحادث عندنا نحن الثلاثة ، حدث قبل الميلاد ، وعنده بعده .

وفى هذا التفاهم العجيب بين منطق النقوش ، ومنطق التحديد الذى اخترته لمتوسط عمر الجيل ، ما يدل على متانة نظرتى ، مع أنها لم تستعمل من قواعدها الخمس إلا قاعدة النسب وقاعدة المعاصرة .

٥ - (الدليل التاسع) على أن متوسط عمر الجيل ٤٠ سنة :

(١) الاربعون سنة التى اخترتها لمتوسط عمر الجيل وسط بين ٢٠ و ٦٠ فهى فى تحديد الزمن قد تزيد ٢٠ سنة على الأكثر فى كل الأجيال المتصلة بسلسلة النسب وقد تنقص ٢٠ سنة كذلك .

(٢) Glaser, Abb. 30 و ص ١١٩ من العرب قبل الاسلامى

(٣) تاريخ الدول الاسلامى ص ١٧

من ملوك اللخمين في العراق (الملك جذيمة الوضاح)
وقد صار من المقرر - اعتمادا على السجلات الملكية في دواوين المناذرة
والفرس - أن هذا الملك تولى من ٢٥١ م - ٢٦٨ م - ٣٨٣ ق هـ - ٣٦٥ ق هـ
وأيدت هذا السجلات السكينية ، التي أشادت بذكره ، لأنه أول من تنصر
من ملوك اللخمين في العراق .

فهل علم النسب وعلماء الرواية يؤيدون هذا ؟

(١) استفتيهم فأفتون بما يأتي :

الملك جذيمة أبوه (مالك بن فهم) ، ومن أعمامه (سليم بن فهم) ومن
إخوته (الحارث بن مالك بن فهم)

فمن ذرية سليم (الصحابي المشهور : أبو هريرة : عمير بن عامر) ومن
عميرة إلى سليم بن فهم عشرة أجيال (١)

كما أن من ذرية الحارث بن مالك بن فهم (الصحابي الجليل القاضي كعب
بن سور) ومن كعب هذا إلى مالك بن فهم عشرة أجيال أيضا (٢)

و $١٠ \times ٤٠ = ٤٠٠$ سنة قبل الهجرة ولكن (الملك جذيمة بن مالك
ابن فهم) يقل عن أبيه جيلا ، ومثله أخوه (الحارث بن مالك بن فهم) الجد
السابع للصحابي كعب بن سور المتقدم ، وعمر الجيل نحو ٤٠ سنة ، وبطرحها
من ٤٠٠ سنة المتقدمة ينتج ٣٦٠ سنة قبل الهجرة ، وهذه توازي من السنين
الميلادية (الشمسية) سنة ٢٧٣ م تقريبا ، وقد تقدم أن (الملك جذيمة)
توفي سنة ٢٦٨ م ، فكان سلسلة النسب ، لم يبعد زمنها عن الزمن المسجل في
السجلات الملكية . عند المناذرة واللخمين والفرس ، والسجلات السكينية

(١) أجياله أبي هريرة هي : أبو هريرة بن عامر بن عبد ذي الشرى بن طريف
ابن عتاب بن أبي صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سايه بن فهم ٥١ هـ من الاشتقاق ص ٢٩
(٢) أجياله القاضي كعب إلى فهم هي :

كعب بن سور بن بكر بن عبد بن ثعلبة بن سليم بن ذهل بن لقيط بن الحارث بن مالك
ابن فهم ١ هـ نقلا عن أسد الغابة ج ٤ : ٢٤٣ .

إلا خمس سنوات . فهل هذا الفرق يؤبه له في أربعة قرون ؟ وهل إذا تجاوزت قاعدتي مئة واحدة في كل مائة سنة ، حققها المؤرخون ، يكون هذا التجاوز مدعاة للشك في متانتها ؟

(١٠) الدليل العاشر : نقل إلينا تاريخ العرب قبل الإسلام (١) أن بني قضاة أقدم النازحين من القبائل العربية ، ثم قال : ويظهر أنهم نزحوا حوالى تاريخ الميلاد أو قبله قليلا .

التحقيق :

بعض علماء النسب يعتبر قضاة ابن مالك بن عمرو من القحطانيين ، وبعض آخر قرر أن قضاة ابن عدنان ، وقد أورد الرأيين ابن حزم في الجمهرة (٢) .

١- فعلى أن قضاة من القحطانيين نجد الأجيال منه إلى قحطان ١١ جيلا (٣) ثم منه إلى عصر النبوة - فى المتوسط - ٢٢ جيلا ، فمنها $22 \times 40 = 880$ سنة ، أى قبل الميلاد بنحو (٨٨٠ - ٦٢٢) ٢٥٨ ولـكن الجلاء لم يكن فى عهد قضاة نفسه رأس هذه القبيلة ، بل كان فى عهد (خزيم بن نهد القضاى) حفيده السادس ، ومن خزيمه إلى قحطان ١٨ جيلا ، فمنه إلى عصر النبوة نحو ١٤ جيلا ؛ ومنها $14 \times 40 = 560$ سنة أى بعد الميلاد (بنحو ٦٢ سنة) لأن الهجرة كانت ٦٢٢ م . فتحدد زمن الجلاء باعتبار قضاة من القحطانيين كان فى القرن الأول الميلادى لا قبله كما سطره جورجى زيدان ، نقلا عن الغربيين .

٢- وعلى اعتبار (قضاة) ابن عدنان نجد من عدنان إلى عصر النبوة

(١) ١ : ١٧١ (٢) جمهرة أنساب العرب ٢١١

(٣) لأنه قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ الأكبر ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

في شجرة القريشيين ٢٢,٧ جيلا فمن حزيمة إلى عصر النبوة (٢٢,٧ - ٩ =) ١٣,٧ جيلا مدتها ١٣,٧ × ٤٠ = ٥٤٨ سنة أي بعد الميلاد بالفرق بين ٦٢٢ ، ٥٤٨ وهو ٧٤ سنة وهذا العدد لا يزيد على ٦٢ إلا بنحو ١٢ سنة مما يدل على أن قضاة الغلام كان حقا في زمن عدنان الشيخ على أي نسبة .

(فالنتيجة) : (١) أن هجرة قضاة في عهد حزيمة كانت في القرن الأول الميلادي لا قبله، سواء أكان القضاة من القحطانيين أم من العدنانيين ، (٢) والنتيجة الثانية أن تحديد عمر الجيل بأربعين سنة ، يتفق تمام الاتفاق مع الزمن الذي قدره علماء الغرب ، لهجرة قضاة ، استنباطا من التواريخ المقارنة

الدليل الإداري عمر :

انتهى علماء الغرب من تقرير أن (إسماعيل بن إبراهيم) عليهما السلام كان في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، ^(١) فهل في قاعدتي ما يؤكد هذا التاريخ ؟

تحقيق

(١) ذهب مؤرخو العرب مذاهب شتى ، في حصر عدد الأجيال من إسماعيل إلى عدنان ، فأكثر ما نقلوه هو ٤٠ جيلا - وهو الموجود عند أهل الكتاب - أخذوه من كاتب (إرميا) ^(٢) ، وقد ذكر أسماء هذه الأجيال الأربعين الأصفهاني ^(٣) ، فإذا ضم إلى هذه عدد الأجيال من سيدنا محمد إلى عدنان وهو ٢٢ جيلا ، كان عدد أجيال الفترتين : ٤٠ + ٢٢ = ٦٢ جيلا (٢) ويضرب ٦٢ × ٤٠ ينتج ٢٤٨٠ سنة من إسماعيل إلى عصر النبوة منها ٦٢٢ سنة من ميلاد المسيح عيسى إلى الهجرة ، فالباقي ١٨٥٨ سنة ق م ، وبهذا ينتج أن (إسماعيل) كان حقا في القرن ١٩ قبل الميلاد .

(١) العرب قبل الإسلام : ١ : ١٦٧

(٢) البداية والنهاية ج ٢ : ١٩٢

(٣) الأغاني ج ١ : ١٣ (طبع دار الكتب المصرية)

إسماعيل على رأى ابنه خلدون :

ولو أردنا أن نقدم برهاناً آخر على أن متوسط عمر الجيل ، عند ابن خلدون ليس بدقيق ، لسكان أسهل الطرق لهذا .

أن تضرب عدد الأجيال من إسماعيل إلى سيدنا محمد في ٣٣,٣ متوسط عمر الجيل عنده أى $62 \times 33,3 = 2064,6$ سنة قبل الميلاد وبعده

والسنوات التي قبل الميلاد $2064,6 = 622 - 1442,6$ سنة ق م وهذا يدل على أن إسماعيل كان في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد (عند ابن خلدون) وهو يقل عما قرره المؤرخون الغربيون بأربعة قرون ونصف ، في الوقت الذي اتفقت فيه نظريتي مع ما قرروه ١٠٠ ٪

(١٢) عمر الجيل في الكتب المقدسة :

ومالنا نذهب بعيدا ونصيد الحجج من هنا ومن هناك ، للبرهنة على تقدير الجيل بأربعين سنة ، وأن هذا أدق التقارير ، وهذا (القرآن) بين أيدينا ، ألم يقرر في سورة المائدة آية ٢٦ لما أراد الله سبحانه أن يستأصل بني إسرائيل الذين طبعوا على الذلة في مصر ، واستعرا العصيان والفسوق ، انقذهم سيدنا موسى بالهجرة منها ، ثم دعاهم إلى حرب عدوهم فقالوا .

« اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون ، قال : فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض » ، ومثل هذا في (سفر التثنية) في الإصحاح الأول من « التوراة » وجاء في سفر العدد في الأول .

« وكلم الرب موسى . . . قائلا : أحصوا كل جماعة بني إسرائيل . . . من ابن عشرين فصاعدا ، كل خارج للحرب ، وفي الإصحاح ٣٣ من سفر العدد أيضا بيان المواضع التي نزلوا فيها بين كل مرحلة وأخرى ، وقد قطعوا في السنين ٣٢ موضعا ، ومن « قادش » استأنفوا التية ، وظلوا

أيضا فيه ٣٨ سنة حتى عبروا د وادي زارد ، كما في سفر التثنية في الإصحاح الثاني .

والزمنان ٢ + ٣٨ = ٤٠ سنة وهي التي صرح بها القرآن [التبييض] ففي هذه النصوص دليلان : (الأول) أن تحديد الجيل بأربعين سنة أدق من تحديد ابن خلدون ، ومن أتوا بعده ، سوى « الثاني » أنه عند انتهاء التيه كان قد مر على شبان بنى إسرائيل ، الذين اختارهم موسى ٦٠ سنة ، وقد أخبرتنا التوراة أنهم كانوا قد انقروا جميعا ، فلم يدخل الأرض المقدسة إلا أبناءهم ، بعد أن فنى كل الجيل السابق ، فتحدد ٦٠ سنة لنهاية الأعمار ، تحديد غالب معقول ، كما أن تحديد متوسط عمر الجيل بأربعين سنة ، تحديد أيدته التجارب القديمة والحديثة ، وعاضدته الحوادث التاريخية المشهورة ، وأرشدت إليه السكتب السماوية : التوراة أولا ، والقرآن أخيرا .

اختلاف المؤرخين

بعد أن كتبت ما كتبت هنا ، ووصلت إلى هذه النتيجة ، عرضت الأمر على صديق لي من يقدسون كل قديم . وينفرون من كل جديد ، واثقين من قول القائل : « لم يترك الأول للآخر شيئا » ،

ساخرين من سخريه ابن قتيبة ^(١) في قوله : « رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده ، إلا أنه قيل في زمانه ، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده » ،

ولم يسلم من هذا الداء حتى العلماء الراسخون ، وهذا أبو عمرو بن العلاء ،
لأنه عاصر جريرا والفرزدق والأخطل وسمع شعرهم كان يقول :

« لقد نبغ هذا المحدث وحسن ، حتى لقد هممت بروايته ، !! »

فبع اعترافه بنبوغ هؤلاء الشعراء ، وحسن شعرهم تورع عن روايته
لا لعب سوى أنه حديث !!

فلا بدع أن يقابلني صديقي العالم بما عرف عن المتورعين من قديم ،
ولا عجب أن ينتهز فرصة الاختلاف ، بينى وبين اثنين من العلماء المشهورين ،
لن من سبيل العرم ويقول : إن قاعدة تخالف الحقيقة التي استأثر الله وحده
بعلمها ، وتباعد بين أقوال علماء الآثار بنحو ٢٧ سنة قاعدة منهارة ، لا يسوغ
لمن يتحرى الدقة أن يركن إليها في تاريخ أمم ، وتقويم شعوب ، وتحديد
مدينيات !!

ردى : وردى على أخى العالم وشيعته من ناحيتين :

(الأولى) أنه لم يتفق اثنان من الباحثين على رقم واحد لتعيين الزمان
الذى حدث فيه سبيل العرم ، فلم يريدون منى مالم يرد من باحث قبلى !
(الثانية) أن الخلاف بين تحديدي وتحديد (سيديو) وهو ٣٢ سنة ،
وبينى وبين (غلازر) وهو ٢٧ سنة ، ليس بالفرق الذى تهتز له الرواسى ، أو
بالأمر الذى يكون مدعاة للشك فى قاعدتى ، فإن المؤرخين ما برحوا
يختلفون لا فى ٣٢ أو ٢٧ سنة بل اختلفوا بالفعل إلى درجة أن الفرق بين
مؤرخ وآخر بلغ نحو ١٠٠٠ سنة ، أى أكثر من ٣١ ضعفا لما بينى وبين سيديو
من خلاف ، بل فى المكتب المقدسة ما هو أعمق من تقادير الباحثين المدنيين
وسأتمد أن أسوق أمشاجا من الأدلة ، فى تواريخ الأمم المختلفة ،
وسأبدأ هنا بتاريخ الفراعنة : لأنه مبنى فى الغالب على ما أنبأت به آثارهم
ونقوشهم ، على جدران معابدهم وهياكلهم وتمائيلهم وأوراق البردى ، ومع
هذا تجد فى تاريخهم حلقات مفقودة ، كما تجد حلقات مثلها مفقودة فى بعض

ملاسل النسب ، فنشأ من ذلك ، الاختلاف الشديد بين المؤرخين ، لأسباب كثيرة أهمها ، سقوط بعض الأسر من الأحجار ، كتاريخ العمالة وإن ، لم يتم كشف جميع الآثار إلى الآن ، فاستعان الباحثون بما عثروا عليه من المصادر الأخرى ، فحدث بينهم هذا الاختلاف .

نماذج من اختلاف المؤرخين

١ - أخبرنا المرحوم د أحمد بك - باشا - كمال ، الأثرى المصرى فى كتابه د بغية الطالبين ، أن علماء الآثار اختلفوا فى مبدأ تأسيس الدولة المصرية ، وهذه آراء بعضهم :

[بوبك] جعله	٥٧٠٢ ق . م
[أبجر] د	٥٦١٣ ق . م
[مريت] د	٥٠٠٤ ق . م
[بروكش] د	٤٤٠٠ ق . م
[لوت] د	٤١٥٧ ق . م
[لبيسيس] د	٢٨٩٢ ق . م

وإذا أمعنا فى النظر رأينا أن هذه الفرق البعيدة ، مؤسسة فى الغالب على ما هو مدون فى ملخص النسخ المشتملة على تاريخ د مانيتون ، التى لا بد أن يكون حدث بها تحريف من كلفوا نقلها .

وألحظ أن الفرق بين أصغر هذه التقديرات وأكبرها ٢٨١٠ سنة وهو كثير كما ترى .

صنيع شاباس :

وقد راعت هذه الفروق كثيرا من الباحثين ، وأن حساب تلك المدد بالدقة المطلوبة ، موجب للوقوع في الغلط لبعدها عنا ، فاستصوب « شاباس » حسابها بالقرن ؛ حذرا من الوقوع في هذه الأخطاء ، وهذا بيانها عن المؤلف المذكور :

القرن قبل الميود :

٤٠ قرنا المدة الخرافية « ما قبل التاريخ » ،

٤٠ « تاريخ ولاية مينا أول الفراعنة

٢٣ « بناء أهرام الجيزة

٢٨ « تاريخ ولاية الملك « بيتي » من الأسرة الخامسة

٢٤ - ٢٢ مبدأ حكم الأسرة الثانية عشرة

١٨ قرنا خروج العالقة من مصر ، وابتداء الدولة الجديدة (١٨)

١٧ « تاريخ ولاية الملك « تحتمس الثالث »

الاختلاف حتى في الكتاب المقدس

وأعجب من كل ما تقدم ، أن نجد اختلاف التقدير حتى في التوراة ، فقد ورد فيها إحصاء بني إسرائيل مرتين : مرة في الإصحاح الأول من (سفر العدد) ومرة في الإصحاح السادس والعشرين منه ، وهذا بيان الإحصائين مع النقباء الاثني عشر :

نموذج آخر في الاختلاف الأدبي

في زمن امرئ القيس بن حجر

المدد	المصدر	بالتاريخ الهجري	بالتاريخ الميلادي	ملاحظات
٢	١	١٤٣ هـ	٤٩٣ م	قدرها بالتاريخ الهجري
٣	٢	٥٣ ق	٥٦٩ م	
٣	٣	١٦٧ ق	٤٥٥ م	
٤	٤	٨٥ ق	٥٣٧ م	قدرها بالتاريخ الميلادي
٥	٥	٨٣ ق	٥٣٩ م	
٨	٦	٥٧ ق	٥٦٥ م	
١	٧	١٧٢ ق	٤٥٠ م	
٢	٨	١٢٢ ق	٥٠٠ م	
٣	٩	١٠٠ ق	٥٢٢ م	
٩	١٠	٨٢ ق	٥٤٠ م	الهجري
٧	١١	٦٢ ق	٥٦٠ م	الميلادي
٢٠	١٢	٥ ق	٦٥٥ م	قدرتها بالهجري والميلادي
١٣	١٣	٥ ق	٥٥٩ م	

الواهب الفتيحة جرة فتية الله ج ١ ص ٤٣ قدرها بنحو
و نقل عن ابن قتيبة أن بينه وبين الاسلام ٤٠ سنة وهذه توازي
ديوان المدة لابن ربيق ١٤٨ قبل الائمة بنحو ١٥٤ سنة
هذه تقادير القديما وفيها يأتي تقادير المعصيين :

دائرة المعارف الاسلاميه
ديوانه المخطوط بدار الكتب العربيه
شراء النعراية للأب لويس شيخو
سندري في مختصر تاريخ العرب
الشهاب الراصد للأستاذ لطفي جهمه
الوسيط للسكندري وعثاني قد يكون أبعد من
تاريخ الأدب العربي للمارس النافويه (رجال وزارة المعارف) ص ١٥١
العرب قبل الاسلام لجورجي زيدان ص ٢١٨
أدباء العرب للبتاني - وكانه اخذه من الأب لويس شيخو

نشرني

تعقيب وتحقيق

(١) تقدير القدماء ليس بشيء ماعدا (ابن قتيبة) فهو أقربهم إلى الحقيقة؛ لأن (أمرأ القيس كان يعاصر قيصر الروم (جوستنيان) ، وهذا الملك تولى الحكم من ٥٢٧م ، وكان يعاصر كذلك (كسرى أنوشروان) لأنه هو الذي أمد (المنذر ابن ماء السماء) بجيش ليطارده ، وأنوشروان تولى من سنة ٥٢٦م ، كما أن المنذر اللخمي ابن ماء السماء تولى من ٥١٤م . فلو أن شاعر كنده كان عمره ٤٠ سنة في الزمن الذي قدره له ابن قتيبة ، لكان عمره عند وفاة حجر أبيه (٤٠ + ٩٥ = ١٣٥ سنة) لأن هذه الوفاة كانت سنة ٥٥٠م وقد عاش بعدها نحو عشر سنوات ، فكأنه قد عاش ١٤٥ سنة ولم يقل أحد إنه كان من المعمرين ، بل أجمعوا على أنه عندما طرده أبوه لتغزله بينت عمه علنا ، كان شابا غرا في سن البلوغ ، وهي سن الطيش ، ولم يعيش بعدها أكثر من عشر سنوات مطالبا بثأر أبيه ، فتقدير (ابن رشيق) ليس بشيء ، كذلك ما أشبهه ، وأقربهم إلى الصواب رأى ابن قتيبة .

(٢) كما أن (رأى سيديو) في المحدثين أبعد الآراء عن الحقيقة لما بينت ، ويخيل إلى أنه استقاه من (ابن رشيق) .

(١) كيف همدت زعمه :

تقدم أن متوسط الأجيال في قبيلة كهلان من جيل النبوة إلى قحطان ٣٢ جيلا .

ولسكننا إذا عددنا الأجيال من الصحابي الجليل حجر بن عدى وهو من شجرة كهلان ، من عشيرة امرئ القيس الأقربين وجدناها ٢٥ جيلا ، إذن الطبقات لا تسعفنا في فرعه ، لوجود بعض أجداده المعمرين ، الذين هبطوا بالعدد نحو ستة أجيال ، في مدة تقرب من ١٣٠٠ سنة .

(ب) ففي هذه الحالة لا مناص من التجائنا إلى أنساب طائفة أخرى مركزها غير قحطان ، وقد وقع اختياري على ثلاثة من هذه العشيرة :

١ - الشاعر (عمرو بن أبي الجير) وقد وجدت منه إلى معاوية بن ثور من أجداد امرئ القيس أيضا ٦ أجيال .

٢ - والصحاني (حجر بن عدي) وقد وجدت منه إلى معاوية بن ثور من أجداد امرئ القيس أيضا ٧ أجيال .

٣ - والصحاني (شريح بن مرة) وقد وجدت منه إلى معاوية بن ثور من أجداد امرئ القيس أيضا ٨ أجيال .

فهذه ٢٤ جيلا متوسطة ٨ أجيال .

(٤) ثم عرجت على « الشاعر امرئ القيس » فوجدت منه إلى « معاوية » جده وجدهم ٧ أجيال .

فخرجت من هذه الموازنة بنتيجة : هي أن « امرأ القيس » تقل الأجيال التي بينه وبين جده معاوية عما عند ثلاثة ، عاصروا النبي ﷺ بجيل واحد ، وهؤلاء الثلاثة من عشيرته .

وكان مقتضى هذا ، أن يكون شاعرنا قبل البعثة المحمدية ، بنحو أربعين سنة ؛ وهذا يوافق استنتاج ابن قتيبة تمام الموافقة ، ولكن امرأ القيس لم يعيش حتى يبلغ الأربعين ، إذ أن والده عندما طرده لعودته إلى نظم الشعر بعدما نهاه كان غرا نزقا ، لا يكاد يبلغ العشرين من عمره ؛ ويتبين هذا في قوله - وهو أول شعر نظممه كما يقولون - :

أذود القوافي عني ذيابا ذياب غلام جرى جوادا
فلما كثرن وعذبنه تخير منهن سستا جيادا

فلم يجد بدا من أن يكشف القناع ، ويسير في أحياء العرب ، ويختلط بشذاذهم ؛ وما زال يهيم وراء ما يشتهي ومن يشتهي ، حتى قتل أبوه ، وأتاه

فعنه ، فكان المقاطعة أثرها ، وللصبوة أمرها ، فظل يحتسى ويحتسون . حتى انقض السامر ، فبدأ الفتى يفكر في الثأر ، ويستنصر القبائل ، وأخيرا دفعه إلى أن يستنجد بقمصر الروم « جوستنيان » .

ويحدثنا « نونوز » المؤرخ اليوناني أن « جوستنيان » قلده إمرة فلسطين ، إلا أنه لم يسع في إصلاح أمره ، وإعادة ملكه ، فضجر ، وعاد إلى الجزيرة ولم يلبث أن مات !

(زمن وفاته) فتسكون وفاته قبل الهجرة بنحو ٦٣ سنة ، وقبل الرسالة بنحو خمسين سنة ، وهذا الزمن يوازي بالتاريخ الميلادي سنة ٥٥٩ م حسبا قدمت ، أي بعد وفاة أبيه بنحو ٩ سنوات .

(زمن جوستنيان) ولكي يزيد الباحث اطمئنانا ، نربط هذا الزمن بزمن الشاعر ، فنجد عاهل الروم تولى من ٥٢٧ - ٥٦٥ م كما تقدم ، ووفاته (امرئ القيس) كانت سنة ٥٥٩ م كما برهنت . فيسكون الشاعر قد لجأ قبل نهايته بنحو ستة سنوات إلى العاهل .

تقديري وتقديرهم

فيسكون أقرب التقادير إلى تقديري ما نقله « جورجى زيدان » ، إذ جعل وفاة امرئ القيس سنة ٥٦٠ م .

وأبعدها عن تقديري عند المحدثين ما قرره « سيدو » ، من أنها كانت سنة ٤٥٠ م .

وأبعدها عن تقديري عند القدماء ما قرره « ابن رشيق » ، من أنها كانت سنة ٤٥٥ م .

والغريب أن هذين التقديرين كادا يلتقيان ، مما يدل على أن « سيدو » استهدى « ابن رشيق » في تقديره .

بيني وبين جورجى زيدان

والسؤال الذى يبدو الآن : كيف التقيت وجورجى زيدان إلى هذا الحد العجيب ! لابد أن يكون قد سبقنى بهذه النظرية التى ابتكرتها ، وهذه الدعامات التى شددت بها أسرها !

وأبسط ما أجيب به أن هذا الباحث لم يجعل متوسط عمر الجيل ٤٠ سنة كما جعلته ، بل قدره ٢٥ سنة ، متابعة لرأى علامة الألمان « غلازر » ولم يعتمد على التاريخ الهجرى ، أو متوسط عمر الأجيال العدنانية أو القحطانية كما اعتمدت - وهى أمور لها قيمتها - بل كل مارعاها « دليل المعاصرة » ، وربط تاريخ امرئ القيس بملوك فارس أو الروم ، وهم الذين اتهم بهم ، فليس للرجل نظرية عامة ، يطبقها على الحوادث والأشخاص كما فعلت ، إنما له ذكاؤه ، وصبره ، وإطلاعه على ما خطه الباحثون ، فى اللغات الفرنسية والانجليزية والالمانية (١) والعربية .

أسس نظرتى

الآن وقد فرغت من تحديد متوسط عمر الجيل ، فى سلسلة النسب ، وبرهنت على أن هذه الأربعين سنة ، وسط بين العشرين - مبدأ الزواج - والستين - متوسط نهاية العمر ، وسقت الأدلة التاريخية والدينية على مبلغ الخلاف ، فى تحديد الأرقام بين مؤرخ وآخر . يطيب لى بعد ذلك كله أن أضع بين أيدي الباحثين أسس نظرتى وقواعدها الخمس بالترتيب الآتى :

١ - القاعدة الأولى (دليل الصحابة)

والغرض منه استنباط متوسط الأجيال، من عصر النبوة إلى (عدنان) أو (قحطان) في كل القبائل العربية : كل قبيلة على حدة

(١) وقد تبين عند البحث أن متوسط أجيال (ربيعة) ٢٥ جيلا ومتوسط أربع من القبائل المضرية - أبناء عم قبائل ربيعة - ٢٠,٣ جيلا .

فمتوسط الأجيال - في القبائل العدنانية - ربيعة ومضرية من عصر الصحابة إلى عدنان ٢٢,٦٥ جيلا .

ولكن هذا المتوسط لا فائدة منه ، إلا عند تحديد الزمن من عصر النبوة إلى عدنان ، أو في قبيلة غير القبائل الخمس الآتية ، إذ بناء على أن عمر الجيل ٤٠ سنة، يكون هذا الزمن $40 \times 21,65 = 866$ سنة أى نحو تسعة قرون قبل الهجرة ، وثلاثة قبل الميلاد ، فأدق النواحي لدليل الصحابة، أننا عند بحث الزمن لزعم من زعماء (تميم) مثلا في الجاهلية، نعتبر أن الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٢٥ جيلا في هذه القبيلة ، اعتمادا على متوسط الأجيال الأربعة والعشرين صحابيا منها

ومتوسط الأجيال - في قريش - في هذه الفترة ٢٢,٧١ جيلا ، اعتمادا على أجيال ٢٤ صحابيا منها .

ومتوسط الأجيال - في قيس - في هذه الفترة ٢٠,٥٤ جيلا ، اعتمادا على أجيال ٢٤ صحابيا منها .

ومتوسط الأجيال - في كنانة - في هذه الفترة ١٩,٨ جيلا ، اعتمادا على أجيال ٢٤ صحابيا منها .

(ب) وعند بحث الأجيال في قبائل العرب القحطانيين ، تبين لى أن متوسط الأجيال من عصر النبوة إلى قحطان، في (قبيلة حمير) ٣٠ جيلا وفي (قبيلة كهلان) ٣٢ جيلا . فمتوسطهما ٣١ جيلا .

٢ - والقاعدة الثانية « دليل النسب » أى نسب أى شخص من النابيين

نريد الترجمة له، وتعيين زمانه بسعد أجياله، منه إلى جده الأكبر «عدنان» أو «قحطان» ثم منه إلى دليل الصحابة في سلسلة نسبه

عيب هذه القاعدة

وهذه القاعدة أضعف القواعد، إذ قد يكون «دليل الصحابة» لقبيلة ما في شجرته ٢٢ جيلا، كما في «قبيلة كهلان» القحطانية، ولسقوط بعض حلقات النسب، أو وجود معمرين، تنكمش الأجيال، فتصير ٢٥ جيلا، بعد أن كانت ٣٢ جيلا

وقد ظهر لي ذلك واضحا عند النظر في «أقدمية الأفوه الأودي» السكهلاني وغيره، لهذا لا يصح الاعتماد نهائيا على «دليل النسب»، إذا نقص أو زاد بمقدار ثلاثة أجيال، وفي هذه الحالة لا بد من ضم «دليل الصحابة» إليه على الأقل، ومع ما في هذه القاعدة من ضعف لا بد منها، لأنها الدليل المباشر لتحديد زمن المترجم له.

٣ - والقاعدة الثالثة «دليل العشيرة»، أي العشيرة القربى للمترجم له، وهي التي يجمعها وإياه جدهم الثالث أو الرابع مثلا، فقد يكون في فرع نسبه بعض المعمرين، أو الحلقات المفقودة، أما في فروع عشيرته الأقربين فلا يوجد شيء منهما، أو يوجد في بعضهما، وفي هذه الحالة نستطيع تضيق دائرة الخلاف، بالإكثار من أفراد «دليل الصحابة» في «عشيرته القربى»

٤ - والقاعدة الرابعة «دليل المعاصرة»، وهذه القاعدة أعم وأدق من سابقتها، إذ قد يكون المعاصرون من عدة قبائل، فإذا انفقوا في عدد الأجيال إلى عصر النبوة - وهو «دليل الصحابة» - مع المترجم له، كان هذا الاتفاق دليلا على سلامة الرواية، وخلوها من المعمرين، أو من الحلقات المفقودة، وإذا اختلفوا وإياه، فتوسط أجيال المعاصرين من قبائل شتى، كفيل بتضييق دائرة الخلاف في عدد الأجيال أو السنين.

وقد نبهت عن « دليل النسب » لشخص ما فلانجده ، فلا يكون أمامنا جينئذ إلا « دليل المعاصرة » وقد ظهرت فائدة هذا الدليل عند بحثي عن زمن « أبي داود الإيادي » فقد حاولت العثور على سلسلة نسبه كاملة ، في أكثر من عشرة مراجع ، فلما عجزت لجأت إلى المعاصرين له . فتبين أن منهم « امرأ القيس بن حجر الشاعر » وغيره من المعاصرين ، الذين ذكرتهم عند تحديد زمنه .

(٥) والقاعدة الخامسة وهي الأخيرة « دليل السجلات الملكية » . وهذه القاعدة أمثن القواعد ، لأن الملوك في فارس أو الروم أو المناذرة ، تاريخا مضبوطا مبدأ ونهاية ، وأى خلاف في القواعد الأربع السابقة ، لا أمل في الوصول معه إلى الحقيقة ، إلا إذا وجدنا صلة بهذا الدليل للترجيح . ولذا أطلقت على هذه القاعدة « صخرة النجاة » وإذا عثرنا على « دليل السجلات الملكية » والصلة بينها وبين من نريد الترجمة له ، أمكننا الاكتفاء بدليل النسب معه ، وفي الغالب سنجد تطابقا ، أو فرقا لا يعتد به ، ولهذا أطلقت على هذين الدليلين « قطبي السكوكب » .

وليس من الضروري عند تعيين أى زمن في الجاهلية ، ليوم من أيام العرب ، أو شاعر من شعرائهم ، أو حادث من حوادثهم ، أكسيل العرم أو شخصية من شخصياتهم الأخرى ؛ أن نستعمل كل هذه الأدلة ، بل أول ما نبحت عنه « دليل النسب » ، فإذا وجدنا صلة بين المترجم له وبين أحد أولئك الملوك ، انتهزنا الفرصة ، ووقفنا بينه وبين « دليل السجلات الملكية » ، وكثيرا ما نعثر بالدليل الأخير . على ما في سلسلة النسب من حلقات مفقودة ، أو معمرين ، أو زيف في قول الرواة : إن فلانا عاش ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ . والدليل على متانة القاعدة الخامسة أنها لا تحتاج إلى البحث في الأجيال ، أو عمرها ، لأنها أشبه بالجدول الرياضية ، أو منائر البحار ليلا . أما القواعد الأربع السابقة فلا جدوى منها قبل أن نحدد عمر الجيل ،

بما حدده به ، مبني على أسس متنوعة من النقوش ، والتاريخ القديم والحديث
والكتب المقدسة ...

فن الآن ، أصبح في إمكان أى باحث ، أن يحدد الزمن الذى يريده ، فى
جاهلية العرب ، اعتمادا على هذه القواعد ، وأن يصل إلى نتائج باهرة إذا
كانت بين يديه شجرات الأنساب ، التى أشرت إليها

مزايا شجرات الأنساب :

والأمل فى الله وحده كبير ، أن أجعل هذه الشجرات بين أيدي الباحثين
قريبا ، لأن البحث عن سلسلة النسب فى كتب النسب ، لا يفيد كثيرا ، إذ أنها
لا تذكر لآى باحث سلسلة الأنساب متصلة من عصر النبوة إلى عدنان أو قحطان ،
وغاية ما تذكره إذا اختارته من شجرة واحدة كأحمد مثلا وجناده وعاصم
وكلاب ويزيد أن تذكر فى الصفحة الأولى مثلا نسب أحمد إلى جناده ، وفى
الصفحة الخمسين تذكر نسب جناده إلى عاصم ، وفى صفحة ١٠٠ مثلا تذكر
نسب عاصم إلى كلاب ، وهكذا من أنواع الإحالة ، وفى هذا النقطيع متعبة
وضياع وقت ، لا نجدهما فى شجرات الأنساب .

ما جدوى هذه الأسس ؟

من أعجب ما وجدت من المشبطات ، أن واحدا من كبار الموظفين المثقفين
ثقافة شرقية وغربية ، عرضت على مسامحة هذه الأسس ، فرحب وأطرب ،
وشجع وأطرب ، بل عرض أن يطبع ما ألفت ، وأن يحتض ما ابتكرت ،
وبعد مدة سمع أنى كنت أتردد كثيرا على بعض الباحثين من قبله ، فلم يكذب
يرانى حتى بادرنى بقوله : أعد على ما سردت من قبل ! فلم أنته من السرد
حتى قال : وما جدوى هذه الأسس ؟ وماذا يهمنا أكان هذا الشاعر سابقا
أم لاحقا ؟ ..

لم أنفجر غيظا لهذه المفاجأة ، لأنى وظنت نفسى منذ سنوات على سماع

كل مكروهة !! وبعد وجوم قلت لحضرته : وما جدوى البحث عن الآثار بين الأطلال والدمن ؟ وبجاهل الدهناء ، وصحراء الأحقاف ، وكشبان طى ، وقيه بن إسرائيل ! وبادية السماوة ! .

وما جدوى العثور على جثة مخنطة ؟ ، أو عظام نخرة ؟ أو أكفان بالية ؟ أو حيوانات مصبرة ؟ .

وماذا هم فى تاريخ الأدب إذا زعمتم أن أقدم الآثار الأدبية عند العرب ، يرتد إلى ١٥٠ سنة قبل الهجرة على الأكثر ! أو أن أول من قصد القصائد مهلهل بن ربيعة ! أو أن بعض قبائلهم كانت تمد البنات ، خوف العار أو العيلة ! أو أن سيل العرم كان قبل الميلاد ، أو أن أقدم النقوش التى كشفها الغربيون فى شمال الجزيرة العربية ، لا يتجاوز تاريخها القرن التاسع قبل الميلاد ، أو أنها مكتوبة بأقلام مختلفة ، أشهرها الفينيقي والآرامى والنبطي والتدمري والمسند !! وما حظ علماء الغرب ، وقد لقي الكثير منهم مصارعهم هناك فى ظلمات القباب ، أو وحشة الاغتراب !!

مبروها

إن فى استطاعتنا يا سيدى بهذه الأسس الجديدة أن نضع جداول منظمة كالجداول الرياضية . ١ - نضبط بها أسماء المعاصرين من الشعراء وغيرهم فى القبيلة الواحدة ، ثم فى كل القبائل ، وبذا يتجمع فى الجيل الواحد ، آثار الأقدمين المعاصرين .

٢ - ونعرف بالتالى ميلاد كل معنى مبتكر ، وتسلسله ، وهجرته من أديب إلى آخر ومن قبيلة إلى أخرى ، وما طرأ عليه فى رحلاته العقلية ، فى أذهان الشعراء اللاحقين من سمو ، أو انحدار ، أو جمود ، أو فناء .

٣ - ومن السابق من الشعراء بهذا المعنى المبتكر ؟ ومن المسبوق ؟ وأي القبائل العربية كان لها هذا الشرف .

٤ - وبهذه الأسس تعرف تحديد الزمن الذى ذابت فيه لغة قحطان فى لغة عدنان . بعد سيل العرم .

٥ - ومبدأ تلك اللغة الأدبية العامة التى صارت لسان الشعراء جميعا فى العصر الجاهلى ، لافرق بين قحطانيين وعدنانيين ، أو ربيعين ، وقيسيين ، وتميميين . بعد أن كان كل فرد يتعصب لقبيلته ، ولهجاتها ، بل لا يعرف سواها ، وينسكرها عداها ، بل لا يطاوعه لسانه أن ينطق بغير لهجتها كالأشيد بغير مآثرها .

٦ - وبيان وجه الحق فى قولهم : « أول من قصد القصائد مهلهل بن ربيعة ، و أقدم الآثار الأدبية التى بين أيدينا لا يتجاوز الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة » .

٧ - وحقبة قول ابن سلام : « قبيلة ربيعة أول حملت راية الشعر فى الجاهلية ، ثم تلتها « قيس » ثم انتقل منها إلى « تميم » فظل بها أمدا طويلا ولا يزال إلى اليوم » أى إلى اليوم الذى كتب فيه ابن سلام هذا فى نحو ٢٣٢ هـ (٨٤٧ م) .

٨ - وتحديد أقدمية « اللهجة القرشية » التى يزعم كثير من الأدباء والمؤرخين أن القرآن نزل بها .

٩ - ولم حكمنا بكذب الشعر المنسوب لعاد وثمود ، وبتهكذيب كثير من الشعر المنسوب للعمرين .

١٠ - وكيف عثرت على أن أطول قصيدة عربية فى الوجود كانت قبل الهجرة بثلاثة قرون ، بل بأكثر

هذا بعض ما ترشدنا إليه هذه الأسس ، ولولم يكن لها فضل إلا إثارة الشك ، فيما كنا نعتقده من قبل حقائق أدبية ، لا تقبل الشك لسفى .

تدرج الأدب نثرا وشعرا

كل كان حتى يبدأ صغيرا ، ثم يأخذ ينمو حتى يبلغ أشده ، وعند ذلك

يأخذ في الانحدار حتى تبتلعه لجة الغناء ، والآداب من الكائنات الحية : فهي (طفلة) في طفولة الأمم ، و (في ذروة الشباب) عندما تبلغ الأمم أوج عظمتها ، وعندما تهوى الشعوب إلى (شيخوختها) وتندلى إلى مصيرها المحتوم ، تكون الآداب أسبق منها هبوطا ، لأن الآداب من الفنون السامية ، التي لا تعيش إلا في البيئة السامية ، والسمو والهبوط ضدان لا يجتمعان .
والعرب في جاهليتهم ، وفي إسلامهم ، مروا بهذه الأطوار الثلاثة : فهم لم يبدؤوا أولا بالقصائد ، بل مهدوا لها بالقطع ، وقبلها مهدوا بمبادئ النثر الفني في أبسط صورته : في هيئة حكم وأمثال ، ثم توسعوا فيه ، فظهر ما أطلقوا عليه (سجع السكهان) وهذا السجع كان تمهيدا للأراجيز ، وهذه كانت تمهيد للقطع ، ثم القصائد ، وإذن فالحكم والأمثال المفردة ، والسجع كانت بداءات الأراجيز ، والقطع ثم الشعر عند العرب .

أبراهم أسبق : النثر الفني أم الشعر ؟

قرر علماء الأدب أن الأدب نثر وشعر ، وأحدث أنواع النثر (النثر الفني) ولحدائه عهده لم يتفق الأدباء على تحديده (والنثر الفني) عندهم هو النثر المنمق ، المصوغ في قالب أدبي ، يثير المشاعر ، وقد يشترطون أن يكون وليد العقل والمنطق ، وقد يتأثرون بالنثر الفني عند أمم الغرب ، فيطلبون أن يكون النثر عارفا بالكتابة ، لتدوين ما يخطر له ، بعد ترتيبه منطقيا .

فإذا ارتبطنا بكل هذه الشروط سلطنا بدون مناقشة بأن الشعر أقدم من النثر لا مرين :

(الأول) أن الشعر عاطفة ، والعواطف عند الإنسان الغطرى أسبق من اصطناع المنطق والعقل .

(الثاني) أن الكتابة اختراع متأخر في كل أمة ، فاشتراط التدوين في النثر الفني يحتم تأخيرها وتقديم الشعر ، وتطبيقا على هذه الشروط نجد أن العرب لم يكن لهم نثر فني في الجاهلية !!

(رأى) وعندى أن الآثار الأدبية فى كل أمة هى التى تحدد التقسيم وسبق كل نوع ، وعلماء الأدب عندنا حددوا الشعر ، بأنه الكلام الموزون ، المقفى ، المنزوع من الشعور ، المحلق فى آفاق الخيال ، والنثر ما خلا من الوزن والقافية ، وقد يكون منزعا من الشعور والعواطف ، ليهدف إلى إثارة الشعور والعواطف ، وهذا هو النثر الأدبى ، ويمثلون له بالخطابة .

والعرب فى الجاهلية كان عندهم الخطباء ، كما كان لديهم السكهان والشعراء ، (فالخطابة) و (السكفافة) ومثلهما (المواعظ الدينية) كالتى نسبت لقس بن ساعدة الإيادى و « الوصايا » و « الحكيم » و « الأمثال » و « القصص » الذى تروى فيه أخبار العرب وأيامهم ومفاخرهم ، ليست بالإجماع من الشعر فهم نسميها ؟ لا شك أنها نثر أدبى ، وليس من الضرورى أن نطلق عليها نثرا فنيا ، إذ نستطيع هنا أن نجارى الغربيين ، فنطلق النثر الفنى عندنا ، على آثار السكتاب فى العصر الأموى والعباسى ، ونكتفى بالنثر الأدبى لما تركه العرب نثرا فى جاهليتهم مما قدمته ، والنثر الأموى والعباسى — لأن مصدره العقل ، وفيه تسلسل المنطق وترتيبه ، وفوق ذلك كان يدون — ينطبق عليه « النثر الفنى » بسهولة ، ولو أن فيه عاطفة ، أما الآثار الجاهلية الأدبية التى ليست بشعر ، فهى عند المدرسة الغربية وتلاميذها ليست نثرا فنيا ، إذن فما اسمها ؟ لكأنى بهم يقولون مع مجنون بنى عامر وقد رأى ظبية بها مشابه من ليلي :

فعيناك عيناها ، وجيدك جيدها سوى أن عظم الساق منك دقيق
إنها عندى « نثر فنى » غاية الأمر أن النثر الأدبى درجات ، فما كان منشورا ساذجا ، يخاطب العاطفة ، فهو « النثر الأدبى » ، وما كان منشورا متسلسلا يخاطب العقل تارة ، والعاطفة تارة أخرى ، وفيه جمال لفظى أو معنوى ، فهو « نثر فنى » ، ولو لم يكن مدونا .

وإلا لو التزموا تسمية النثر فى العصر الأموى والعباسى باسم ، وأطلقوا على النثر قبل هاتين الفترتين اسما آخر ، لكان يجب على المدرسة الغربية

وتلاميذها أن يطلقوا « الشعر الفنى » أيضا على الشعر الأموى والعباسى ،
ولكنهم لم يطلقوا هذه التسمية فلماذا ؟

النثر أسبق من الشعر

وإذ قد برهنت على أن الأدب فى جاهلية العرب كان منه الخطابة
والكهنات... وهذه لا يمكن أن تسمى إلا نثرا لا شعرا ، لأنها لا تنطبق
عليها خصائص الشعر ، فيجب علينا أن تعيد السؤال مرة أخرى : أيهما أسبق
النثر أم الشعر ؟

وحينئذ لا نجد مناصا من القول بأن النثر عند العرب أسبق من الشعر .
١ - لأن البسيط أسبق من المركب .

٢ - والسهل أقدم من الصعب .

٣ - وتدرج الأطفال فى حياتهم اللغوية ، أشبه بتدرج الأمم فى هذه الحياة
اللغوية ، ولا يشك مثقف فى أن النثر أبسط من الشعر وأسهل ، وأن الشعر
العربى مقيد بقيدى الوزن والقافية ، فهو مركب ، والمركب أصعب من البسيط .
والأطفال عندما يريدون أن يحاكيوا غيرهم فى النطق ، يبدأون المحاكاة
بمقطع واحد ، ولو تعددت مقاطع الكلمة فى نطقها عند الكبار ؛ وما ألجأهم
إلى تشذيب الكلمة ، إلى أقل حروفها ، إلا سنة الطبيعة فى تدرجها ، فإذا أتقنوا
المقطع الواحد ضموا إليه المقطع الثانى ؛ وهكذا يصنعون فى الكلمة ، ثم
فى الكلمتين ، ثم ينتقلون إلى الجملة البسيطة ، ثم الجملة المركبة ، فإذا عرفوا
كيف يؤلفون مما أتقنوا من الجمل قصة ، بدءوا بها قصيرة ، ثم متوسطة
ثم طويلة ، وفى المدرسة يلبى المدرسون قواعد الترتيب وعلم النفس ، فينهجون
نفس النهج : البسيط قبل المركب ، والسهل قبل الصعب ، والحسى قبل المعنوى ،
والحاضر قبل الغائب ، والعاطفى قبل العقلى .

وليس من الضرورى عند العرب أن يعبروا عن شعورهم بالشعر ، بل فى

الإمكان أن يعبروا عنه بجملة واحدة، مركبة من مبتدأ وخبر، وقد يبرزون معناها بحركاتهم وإشاراتهم، كما هو الحال في لغة الخرس؛ فإذا كان حفظهم من اللغة أعمق، اكتفوا بالأمثال بدل الجمل العادية، ثم يتدرجون لإبراز عواطفهم بالأمثال المزدوجة النثرية ثم الشعرية، فإذا رق إحساسهم، وأهيجت عواطفهم، وطاوعتهم ألسنتهم، عبروا عما يحيش في صدورهم بأبسط أنواع الشعر ولو شطرا. أو بيتا، ولا يزالون ينتقلون من البيت إلى البيتين، ومنهما إلى الثلاثة، وهكذا حتى تتم لهم أبيات، والتي دون السبعة هي التي أطلق عليها الأدباء القطعة أو المقطوعة، وبعدها تبدأ القصيدة. هذه هي المراحل الطبيعية لميلاد النثر الأدبي من النثر العام. وميلاد الحكم والأمثال من النثر الأدبي، وميلاد الشعر من النثر الفني العاطفي المسجوع، لأن السجعات في النثر كالتوافي في الشعر، لكتبتيهما رنات موسيقية، تزيد من إبراز العاطفة، وإرهاق الشعور.

ويؤيد سبق النثر قول أدبائنا القدامى: «كان الكلام كله منشورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها... فتوهموا أعاريض فعملوها موازين للكلام، فلما تم لهم وزنه، سموه شعرا، لأنهم شعروا به أى فطنوا له» (١).

وقد يحتاج المعارضون القائلون بسبق الشعر، بأن أقدم ما وصل إلينا من الآثار الأدبية كان شعرا، وأن أكثر هذه الآثار شعر لا نثر، فإليه أسوق ما قرره علماءنا: «ما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من الموزون إلا عشره، ولا ضاع من المنشور عشره»، وقول عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله»، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير (٢).

المقطعات والقصائد

ويخيل الى أن الزمن الذي مر على الشعراء ، مكتفين بالمقطوعات ، أطول من الفترة التي مرت بهم في ظلال القصيد ، وأن أكثر شعراء العرب في الجاهلية ، كانوا من ذوى المقطعات ، لا القصائد لما يأتى : -

١ - لان السهل أقدم من الصعب ، والمقطوعات أسهل ، لانها أقل أبحاثا
٢ - ولأن المقطعات أدعى إلى الحفظ ، ومن الفخر للشاعر أن يحفظ شعره أكبر عدد من الناس .

٣ - ولأن من طبع العرب الإيجاز ، شأن بقية الساميين ، ولذا خلا شعرهم من الشعر القصصى أو شعر الملاحم . ومن (الشعر التثبلى) أو المسرحى إلا فى أضيق الحدود ، بعدا منهم عن الثثرة والإطناب ، وإيمانهم بأن خير الكلام ما قل ودل ، وشعورا منهم بشخصياتهم ، إذ أن الملاحم ، عادة تنظم فى العهود التي يحس فيها الفرد بجماعته فالجماعة عنده هى الأهم ، أما البدو أو العرب فى جاهليتهم ، فكان الفرد أولا . والقبيلة أخيرا ، وإذا اضطررنا إلى تذكر القبيلة اكتفوا بضمير الجمع غالبا ، دون التصريح بالأشخاص . ولم يشعروا بوجودهم كشعب إلا قبيل الإسلام .

١ - وأول مظهر لهذا اجتماع وفود العرب ، فى بلاط الملك الحميرى : « ذى يزن » لتنهئته بالجلال الحبشى عن الين ، وتبوءه عرش آبائه وأجداده ، بعد محنة أظلت بلاده نحو قرن ، وزاد من روعة الوفود ، أنها لم تكن من القبائل القحطانية وحدها ، بل كانت تجمع بينهم وبين العدنانيين ، بل كان أكبر الوفود وفد الحجاز برئاسة عبد المطلب جد النبى
ب - والمظهر الثانى كان فى « يوم ذى قار » ، وهو أول يوم انتصف منه العرب من العمم .

(٤) وكان المثل السائر ملك عليهم أحاسيسهم فأوجزوا ، ليكون شعرهم أشبه به ، ويؤيد هذا أن « عمرو بن العلاء التيمى » لما سئل : هل كانت العرب

توجز؟ قال نعم ، ليحفظ عنها ، وما أجاب به أبو المهنس ، وقد سئل :
لم لا تطيل الهجاء ؟ فقال : لم أجد المثل السائر إلا بيتا واحدا ١١

فالعرب لم توجز أول ما أوجزت ، ليحفظ عنها ، وما قصرت لأن
القصار أوج في المسامع ، وأجول في المحافل ، بل كان الغرض أولا أن السهل
أسبق من الصعب ، وأن البسيط أقدم من المركب .

وهذا لا يمنع أن الشعراء رأوا بعد كثرة التجارب ، وطول التنعيم أن
للقصار روعة ليست في الطوال ، وأن من المواقف ما لا يحسمه إلا بيت
شروء ، أو قطعة مرتجلة ، وأن من دواعي خلود الشعر وحفظه أن يكون
قصيرا لا قصيدا .

درجات الشعر :

١ - فلا تكن في مربة من سبق (الرجز) (١) ؛ مناغمة لسير الإبل
ووقع أقدامها .

٢ - وأن (القطع) وأقصاها ستة أبيات (٢) وأدناها بيت ، كانت أسبق
من القصيد .

٣ - وأن (القصائد) وهي ماجاوزت إحداها ستة أبيات لم ترها الآداب
العربية إلا بعد أحقاب متطاولة من لغة المحادثة الأولى .

تدرج البحور :

وإذا ثبت أن (الرجز) كان أقدم البحور ، كان أقدم البحور بعده
(الكامل) ، لأن الشاعر إذا أضمر (٣) تفاعيله كان رجزا ١٠٠٪ ، ولا يحكم

(١) قصة الادب في العالم ص ٣٥٥ (٢) العمدة ص ١٠٠ (٣) مستغلان

(٣) إضمار الكامل إلى كان التاء في (متفاعلين) لتصبح (متفاعلين) يسكون التاء فتقل إلى
(مستغلان) التي بنى عليها الرجز .

بأنه من الكامل أو الرجز إلا إذا خلت تفعلة منه من الإضمار ، فيكون ذلك دليلا على أن الشعر كله في هذه القطعة مثلا من الكامل ، وأن ما سكن ثانيه من التفعلات دخله الإضمار .

وبعد أن اخترعوا « الكامل » عثروا بوزن البحر ، الذي سماه الأخفش « المتدارك » وسماه غيره « الخبب » ، لأن الخبب نوع من العدو ، ولا شك أن هذه التسمية أقوى وأوضح ، لأنها ربطت بين المعنى القديم والمعنى الجديد ومن ذا الذي لا يتخيل الإبل تعدو إذا ما أنشد قول الشاعر :

زمت إبل للبين ضحى في غور تهامة إذ رحلوا
أو قول الآخر :

جاءنا عامر سالما صالحا بعدما كان ما كان من عامر
وبعدها عثروا على ما يشبه (تفعلة الرمل) في أثناء سير الإبل ، وعليها أحمالها ، ولا شك أن « فاعلاتن » تمثل النغمتين الحادثتين من سيرها . وقلقلة أحمالها ، والصوت وصداه ، وتخيل هذا عندما تنشد مثل قول « عدى بن زيد التميمي » تارة بطيئا ، وأخرى مسرعا :

عاد بعد الجبر يبغى وهنه ينحون المشى منه فانهكسر
أو قول الآخر :

لمن الدار تغفت بخيم أصبححت غيرها طول القدم
ما تبين العين من آياتها غير نوى مثل خط بالقلم

أقرص بحور الشعر

ويمكن أن أقرر هنا في يسر واطمئنان . أن أقدم بحور الشعر ما تركبت من تفعلة واحدة مكررة كالرجز ، والكامل ، والمتدارك وهو الخبب ، والرمل ، والهزج ، والوافر ، والمتقارب ؛ وأن البحور التي تركبت من تفعلتين أحدث عهدا كالطويل ، والمديد ، والبسيط ، والسريع ، والمنسرح . لما ثبت عند الباحثين من أن البسيط أقدم من المركب ، والسهل أسبق

من الصعب. وإن لم يكن من الضروري أن يتحقق هذا الاستنباط ١٠٠٪ لأن اللغات وآدابها لا بد فيها من الشذوذ ، إذ لم يكن واضعوها من علماء المنطق أو الهندسة ، ولم تضعها قبيلة واحدة ، أو بيئة واحدة .

ومن هذا نرى أن الشعر ، سار وفقا لناموس الطبيعة من التدرج ، وأن الشعراء أخذوا يتنقلون به من فن إلى فن ، ومن بحر إلى بحر ، حتى استقرت أوزانه في الجاهلية الأولى ، في تلك البحور ، وأوزانها النهائية ، وأوزانها الأساسية ، وأعاريصها ، وأضربها ؛ وسجل الفخر للعالم القحطاني ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، بكشفه ١٥ بحرا منها ، كما سجل نحر آخر للأخفش ، بكشفه البحر السادس عشر وهو «المتدارك» فصار المعروف من الشعر العربي بعدئذ ١٦ بحرا ، و ٣٦ عروضاً ، و ٣٧ ضرباً ، و ٧٠ وزناً أساسياً ، وأن ذلك مر في أحقاب متطاولة ، حتى بلغ أشده ، وأدرك غايته . وأن العرب ألهموا في خلال تلك الأحقاب ، أن ينسقوا بين وحدة اللغة واللهجة والأسلوب ، والوزن ، والقافية ، متدرجين ، مؤسسين على الأجداد القديمة أجداداً حديثة دون أن يعتمدوا في هذا على غير العرب ، ولو كانوا ساميين ، فكيف إذا كانوا من غيرهم ؟

هل مصدر الوزن والقافية أجنبي ؟

بما ينفي أن العرب لم يعتمدوا في هذين على أمة أجنبية ، أن الأوزان العربية وقوافيها ليست لأمة من الأمم القديمة المعروفة :

إذ (السريان) لم تسكن القافية في شعرهم ، في القرون العشرة الأولى من التاريخ الميلادي ، ولستكنهم اقتبسوها من العرب ، في نحو القرن التاسع (الثالث الهجري) .

ويشبه السريان في خلو شعرهم من قافية ، (العبران) و (الهنود) . وأحدث ما وصلنا من شعر «الفرس» كان في القرن الثالث الهجري

بعد أن ذابوا في الأمة العربية بالفتوح الإسلامية ، فخرجوا أمة جديدة في أفكارها واتجاهها وأحاسيسها ، حتى خطها وشعرها : أوزانها ، وقوافيها ، وأغراضها ؛ وتدل على ذلك أسماء الأوزان الشعرية ، فأكثرها عربي ، والمصطلحات العروضية ، فكلها مأخوذة بنصوصها من الشعر العربي ، ومثل هذا (الشعر عند الترك) ، والأتراك أنفسهم لا يجرءون على غير هذا .

كذلك لا يقال إن الشعر العربي مقتبس من الشعر اليوناني ، أو اللاتيني ، لخلوها من القافية ، ولأن الأوزان العربية أضعاف ما عند هؤلاء ، والأغراض عندنا غير الأغراض عندهم ، ولم يتصل شعراء الجاهلية بشعراء اليونان أو اللاتين ، ولو حدث الاتصال لوجدنا في الشعر العربي (شعرا قصصيا) و (شعرا تمثيليا) وملاحم ومسرحيات .

فالاقتصار على (الشعر الغنائي) وحده ينفي الاتصال ، وبالتالي ينفي الاقتباس .

مصدر الوزن والقافية عربي قديم

ولكن ألا يجوز أن يكون شعر العرب العدنانيين في جاهليتهم ، امتدادا لشعر العرب السابقين من عاربة وبائدة ، ومن العرب الحواريين ، أو العماليقة ، أو الأنباط ، أو المعينيين أو السبئيين ، أو عاد أو ثمود أو طسم وجديس ؟ . أكبر ظني أن الوزن والقافية في الشعر العدناني الجاهلي ، مقتبس من اللغات العربية القديمة وآدابها ، أو على الأقل اقتبسوا بعض هذه الأوزان ، وابتكروا بعضها الآخر ، متفرعا من الأوزان المقتبسة القديمة ، كما تفرع (الكامل) من (الرجز) مثلا و (الخفيف) من (الرمل والرجز) معا : طرفاه في كل شطر من الرمل ووسطاه من الرجز هكذا ، وإلا فهل ينسکر أحد أن الحضارة الإنسانية ليست من بناء أمة واحدة ، والثقافة العالمية من أقدم

العصور تراث السابقين إلى اللاحقين ، وأن الآباء يرثون آباءهم في كثير من خصائصهم العقلية والعاطفية ، كما يرثونهم في كثير من ألوانهم وأشكالهم ، وأن للمجاورة آثارها وللبيئة تأثيرها .

إن ميدان الآداب الإنسانية لا يزال متسعاً ، وحقلها لا يزال بكرًا ، فعلى الباحثين أن يتعمقوا ، فالإنسان اجتماعي بأوسع معاني هذه الكلمة ، وللإجتمع آثاره الخلقية والعلمية والاقتصادية ، وأولى الناس بميراث القدماء هم أبناؤهم ثم حفدتهم .

وفيما يأتي تطبق نظريتي مفصلاً لتحقيق الأمور الأربعة الآتية :
الأول - الأمثال المنسوبة إلى أصحابها أصدق الدلائل على قدم الأدب العربي .

الثاني - شعراء المقطوعات وترتيبهم .
الثالث - شعراء القصائد ، وبيان أقدم ما عثرت عليه منها ، وأى أولئك الشعراء أقدم في نظر الرواة وفي رأي نظريتي .
الرابع - اللهجة التي نزل بها القرآن ليست قريشية ، بل عربية لعامة أدباء العرب ، قبل قريش بمئات السنين .
وهذا بسط القول في كل قسم .

(١) القسم الأول

الأمثال المنسوبة أصدق الدلائل على قدم الأدب العربي

الحكم والأمثال من فنون الأدب القديمة ، بل هي أقدم فنونه ، وقد أجمع الباحثون على أنها مرآة صافية لخلق الأمم وعاداتها وطباعها ، ومورد عذب لأدائها ، وصورة صادقة لعواطفها ، وسجل مضغوط لسكثير من أحداثها، لهذا تجردت طائفة من علماء العرب ، لجمع أمثالهم في مؤلفات ،

ليعم النفع بها ، أمثال أبي عبيدة ، وأب عبيد ، والأصمعي ، وأب زيد ،
والفضل بن محمد ، والفضل بن سلمة ، وحمزة بن الحسين ، وعبيد بن شربة ،
وعطارد بن مصعب ، والشَّرقى بن القَطايم .

ولا ننسى « جمهرة الأنساب » لابن هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ
(١٠٠٥ م) ، و« مجمع الأمثال » للبيداني المتوفى سنة ٥١٨ هـ (١١١٤ م) .

وإن أعجب فعجب أن هؤلاء العلماء ، مع كثرة ما بحثوا وسجلوا ، لم يتعرض
واحد منهم لأقدمية كل مثل ، ودلالته على قدم الأدب العربي ، وكل ما فعلوه
في هذا المجال ، أنهم عمدوا إلى بعض هذه الأمثال ، فنسبوها إلى قائلها ،
دون أن يحددوا زمانها بأكثر من هذا ، وما كانوا إلا صورة لرغبات زمانهم !
وطبيعة ظروفهم .

لهذا يسرني أن أقرر هنا أن الأمثال العربية أصدق الدلائل على أقدمية
الأدب العربي ، من كل ماعداها من المقطوعات ، ومن القصائد ، ومن
الخطب ، ومن الوصايا ، ومن سجع السكهان .

وأن أبرهن في ذات الوقت على زمان كل مثل من الأمثال التي اخترتها ،
مقررا أن الأدب العربي بالأسلوب المعروف لنا الآن ، واللهجة التي نزل بها
القرآن ، كان معروفا قبل الهجرة بمئات السنين ، بل قبل الميلاد المسيحي

لم تكن أصدره الدلائل ؟

وكانت أصدق الدلائل على أقدمية الأدب العربي ، من كل ماعداها الأمور :
(أولا) لأنها أبسط من المقطوعات وما إليها ، والبسيط أسبق من
المركب ، وأقدم منه عهدا .

(ثانيا) لأن العلماء قرروا من قديم أن الأمثال لا تتغير ، وبهذا القرار
ثبت أن هذا الامتياز مقصورا عليها ، لا يصح أن يحظى به أي نوع من
أنواع الأدب الأخرى ، إلا ما جرى مجراها ، ويخيل إلى أنه لم يوح إليهم

بهذا القرار الحكيم ، إلا أن احتفاظ الأمثال بصيغتها الأصلية ، أدل على تاريخ الأفراد والجماعات ، وما مر بها من مراحل في لغتها ، وفي تفكيرها ، وفي أحوالها المختلفة ، فوق إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، ودقة التشبيه ، ونبيل الكناية .

وبكل هذه كان لها سحرها ، وبلاغتها ، ونفاستها ، واعتزاز العرب بها ، ولا يشبه حرصهم على صورها وأشكالها ، إلا حرص الأمم المتحضرة الآن على آثارها ، وتماثيل عظمائها

في الأمثال المنسوبة لتاريخها

ولكن الأمثال المبثوثة في ثنايا الكتب ، ليست سواء في القيمة ، لأنها ليست سواء في الدلالة ، فالمثل المنسوب لقائله ، يدل وحده على أخلاقه ، وبعض ظروفه ، بل تاريخه ، ومبلغ قدمه .

أما الأمثال التي جهل قائلها ، فلا تفيد شيئاً من هذا ، فقائدها لا تدل على تاريخ الأدب ، بل على غيره ، فالأولى أرحب جانباً ، وأبعد مدى ، وأكثر دلالة ، وأنفس قيمة .

لهذا سأجعل الأمثال المنسوبة ، نقطة ارتكازي ، ومركز بحثي ، ودليلي على أن الآثار الأدبية ، التي تركها عرب الجاهلية بين أيدينا ، ليست وليدة قرن ونصف قبل الهجرة ، كما زعم الزاعمون ، بل هي أقدم من أضعاف هذه المدة ! وحسبك أن منها ما هو أقدم من الميلاد المسيحي ، أي أقدم من البعثة المحمدية بأكثر من ٧٠٠ سنة

وإذا تمكنت من إثبات الأقدمية ، سهل على الأدباء والباحثين أن يصدقوا ، أن من المقطوعات الشعرية ما يقرب من هذا التاريخ ، ولولم أبرهن على هذا . القدم .

وإذا صدق المنكرون من قبل أقدمية الأمثال ، والمقطوعات التي سأذكرها ، انفتحت مغاليق الموضوع بين أيديهم ، واتسعت الآفاق أمامهم ، فأصبحوا لا يجدون غصاة في قول من يقول : إن بعض القصائد العربية

التي بين أيدينا ، ترجع أقدميتها ، إلى القرن الرابع قبل الهجرة ، ولولم أبرهن عليها بالسجلات الملكية ، أو السلاسل النسبية ، أو الأرقام الحسابية .

نماذج من البرهنة على أقدمية الأصول المفسوبة :

(١) «إن العصا من العصبية» يضرب لبيان العلاقة بين الفرع والأصل ، أو الكبير والصغير ؛ وقد نقل الميداني عن المفضل أن أول من قاله «الأفعى الجرهمي» وكان يعاصر «نزار بن معد بن عدنان» ،

«وجرهم» ، أحوال سيدنا إسماعيل ، أشرفوا على إدارة السكبة أحقابا طوالا ، ثم تلتهم «خزاعة» نحو ٣٩٠ سنة ، قبل قريش .

وتعذر العشور على نسب الأفعى الجرهمي ، تحتم علينا أن نلجأ إلى قاعدة أخرى من القواعد الخمس ، التي تقوم عليها نظريتي ، وهذه القاعدة هي «دليل المعاصرة» ،

وقد تقدم أن «نزارا» كان يعاصر «الأفعى» فكيف نسير في البرهنة؟ من نزار إلى عدنان ثلاثة أجيال ، فمن نزار إلى عصر النبوة ، اعتمادا على متوسط عدد الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان ، ١٨,٥ جيلا

مدتها $١٨,٥ \times ٤٠ = ٧٤٠$ سنة قبل الهجرة .

واعتمادا على الأجيال من سيدنا محمد نفسه إلى نزار ، نجد عددها ٢٠ جيلا .

مدتها $٢٠ \times ٤٠ = ٨٠٠$ سنة .

وبناء عليه نجد أن هذا المثل ، كان قبل الهجرة بنحو ٧٤٠ سنة على الأول و ٨٠٠ سنة على الثاني ، وعلى كلا الأمرين ، كان هذا المثل في القرن الثامن قبل الهجرة ، والقرن الثاني قبل الميلاد المسيحي .

وفظرة أخرى إلى هذا المثل لفظا وأسلوبا ومغزى ، نجده متين الصلة بلهجة الأدباء الآن ، وباللهجة التي نزل بها القرآن قبل الآن بنحو ١٤ قرنا .

أى قبل المدة التي حددوها لأقدم الآثار الأدبية العربية ، التي بين أيدينا بنحو ٦٥٠ سنة قلم هذا التجنى ! والاحتطاب في حبل الغربيين ، الذين

لا يتورعون أن ينكروا آدابنا وتاريخنا وآثارنا ، وكل ما يرفع رأسنا !
كانهم وحدهم شعب الله المختار !

(٢) من الأمثال القديمة : « السليم لا ينام ولا ينعيم » . يضرب لبيان أن الضرر لا يقتصر على منبعه وحده ، بل يتعداه إلى غيره .

وقد اخترت هذا المثل بعد مثل الأفعى الجرهمي ؛ لأن السابقين نسبوه إلى « إلياس بن مضر » ، ولا يجرؤ على إثبات أقدمية هذا المثل ، أو تعيين مركز « إلياس بن مضر » من دورة الفلك إلا نظريتي التي ابتكرتها لتعيين أي زمن في الجاهلية .

وقد لجأت إليها لتعيين زمن إلياس ، وهو الجد السادس عشر لصفوة الرسل ﷺ فدلتنى على ما يأتي :

من إلياس إلى عدنان ٤ أجيال ، ومتوسط عدد الأجيال من عدنان إلى عصر النبوة ٢٢,٦٥ جيلا ، فمتوسط الأجيال من إلياس إلى عصر النبوة = ٢٢,٦٥ - ٤ = ١٨,٦٥ جيلا .

مدتها ١٨,٦٥ × ٤٠ = ٧٤٦ سنة .

أي إن إلياس بن مضر كان قبل الهجرة بنحو ٧٤٦ سنة ، وقبل الميلاد المسيحي بنحو ١٢٤ سنة ، ولو لم نعبأ بمتوسط الأجيال في شجرة العدنانيين ، واعتمدنا على سلسلة النسب الطاهر لسيدنا رسول الله ﷺ منه إلى عدنان ، لبلغ عدد الأجيال ٢٢ جيلا .

(٣) مدتها ٢٢ × ٤٠ = ٨٨٠ سنة ، وبحذف الأجيال الأربعة بعد مضر إلى عدنان يكون الباقي من إلياس إلى سيدنا محمد ﷺ ٢٢ - ٤ = ١٨ جيلا .

مدتها ١٨ × ٤٠ = ٧٢٠ سنة أي إن إلياس على هذا كان قبل الهجرة بنحو ٧٢٠ سنة ، وقبل الميلاد المسيحي بنحو ٩٨ سنة وهي قريبة جدا من النتيجة الأولى ، وبناء عليه نجد أن عمر هذا المثل أكثر من سبعة قرون ، وأن إلياس

قاله في القرن الثامن قبل الهجرة فأين ٧٤٦ سنة أو ٧٢٠ سنة من ١٥٠ سنة التي اعتبروها حدا أقصى للآثار الأدبية، في اللغة العربية ! أليس من الظلم أن يقتضبوا من تاريخ الأدب ، بل تاريخ العرب نحو سنة قرون !

(٣) ومن الأمثال التي ساقها الرواة ، فتحدثت إلينا من أغوار الجاهلية الأولى ، خلال ستة قرون ، قول ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، تلك الأمثال الثلاثة الآتية :

« الحديث ذو شجون ، ود أسعد أم سعيبد » ، ود سبق السيف العذل »

ونظرة إلى ضبة هذا ، نجده أحدث من جده إلياس بثلاثة أجيال ، مدتها $3 \times 40 = 120$ سنة فكان ضبة أحدث من إلياس بنحو ١٢٠ سنة .

وعلى هذا يكون قبل الهجرة ، على متوسط الأجيال في شجرة عدنان - بنحو ٦٢٦ سنة ، ونحو ٤ سنوات ق.م ، وعلى عدد الأجيال من سيدنا محمد ﷺ بنحو ٦٠٠ سنة قبل الهجرة ، وسنة ٢٢ بعد الميلاد المسيحي ، وهذا الزمن يبين لنا أن هذه الأمثال الثلاثة ، قيلت في القرن السابع قبل الهجرة ! وفي القرن الأول قبل الميلاد ، أي قبل « قصي » أول ملوك قريش بنحو أربعة قرون .

(٤) ومن قديم الأمثال قولهم : « رمتني بدائها وانسلت » يضرب للبريئة تقذف من المعيبة قالته رهم بنت الخزرج « زوج سعد بن زيد مناة بن تميم » . والنظر في أقدمية هذا المثل من جهتين : جهة قحطانية تمثلها « رهم » ، ووجهة عدنانية تمثلها « سعد بن زيد مناة بن تميم » .

١ - ومتوسط الأجيال من رهم إلى دليل الصحابة ١٢,٥ جيلا مدتها $12,5 \times 40 = 500$ سنة .

ب - ومتوسط الأجيال من سعد إلى دليل الصحابة ١٠,٥ $10,5 \times 40 = 420$ سنة ، وهي قريبة من النتيجة الأولى ، ومتوسط النتيجةين $492,5$ سنة .

ودلالة هذا أن ذلك المثل ولد قبل الهجرة بنحو ٥٠٠ سنة (١٢٢م) أى قبل قصى أول ملوك قريش بنحو ٣٠٠ سنة .

(٥) وعلى ذكر سعد بن زيد مناة بن تميم ، اذكر ثلاثة عشر نصا جرت في محادثة بين ثلاثة من بني تميم . « سعد بن زيد مناة ، هذا و « جندب بن العنبر ابن عمرو بن تميم ، - ابن أخى سعد - وجارية لبني تميم ؛ وقد جعلت عنوان هذه المحادثة : « نموذج للغة المحادثة . . . » وسقأتى بعد صفحتين

(٦) ومن الأمثال القديمة قول حكيم العرب « عامر بن الظرب » :

« رب زارع لنفسه ، حاصد لسواه ،

وقد برهنت فيما سياتى من الكتاب على أن « عامر بن الظرب » ولد حوالى ٤٠٠ ق م (٢٣٤م) فلو لم يصدر منه هذا المثل إلا وهو فى سن الأربعين ، لا يمكننا أن نقرر ، أن ميلاد مثله كان فى القرن الرابع قبل الهجرة ، والقرن الثالث الميلادى أى قبل أن يتولى قصى أول ملوك قريش بنحو قرنين ، وقبل أن تظهر نتائج إصلاحه بنحو ٢٥٠ سنة .

(٧) ومن المعاصرين لحكيم العرب ، ذلك الملك اللخمى « جذيمة الوضاح ، فهو وإن كان من أرومة قحطانية ، إلا أن هجرته إلى العراق ، واستيطانه تلك الجهة التى تعج بالقبائل العدنانية ، وقلهج ألسنتها باللهجة العدنانية ، وتقديره لتلك اللهجة التى كانت لسانا عاما لأدباء العرب ، عدنانية وقحطانية ، كل هذه الدواعى كان لها أثرها ، فادخرت كتب الأدب والتاريخ كثيرا من الآثار الأدبية لهذا العاهل الأديب الشاعر .

ومنها : « شب عمرو عن الطوق ، و « ويل أمه حزما على متن العصا ، و « دعوا دما ضيعه أهله » إلى آخر ما يعرفه الأدباء من الأمثال الكثيرة التى وردت على الألسنة فى « مصرع الزباء » كعمرو بن عدى اللخمى ، الذى تولى الحكم بعد جذيمة ، والزباء التى كان مصرعها على يد عمرو هذا عند العرب .

ونظرة إلى سجلات اللخمين ، تريناً أن « جذيمة الأبرش » هذا ، تولى الحكم من ٢٦٨م - ٣٨٨م ولهذا فستطيع - في يسر - أن نحكم أن كل الآثار الأدبية ، التي صحت نسبتها ، إليه إنما قيلت سنة ٢٨٨م (٣٤٥ق م) وما قبلها ، أى قبل قصى ، أول ملوك قريش ، بنحو قرنين من الزمان .

وسأذكر فيما سيأتى ثلاثة أمثال ضربت فى العهد القريشى :

(٨) المثل الأول قولهم : « مايوم حليلة بسر » بضرب للأمر المشهور .

وحليلة هذه بنت الحارث بن أبى شمر الغسائى ، وهى التى ضرب بها المثل الآخر :

« أعز من حليلة » وهذا اليوم هو الذى قُتل فيه « المنذر ابن ماء السماء » ملك المناذرة ، وكان ذلك سنة ٥٦٣م (٦١ ق هـ) .

ونسب إلى حليلة ، لأنها ، مبالغة فى تحريض الغساسنة ضد المناذرة ، خرجت إلى جنود أبيها - وكانت من أجل النساء - فجعلت تمنح كل واحد بسمتها ، وجزءاً من طيب كان معها ، فها هى إلا ساعات حتى جاءها البشير بمصرع المنذر ، فنسب إليها ، لأن صنيعها كان من أكبر عوامل النصر .

(٩) والمثل الثانى : « المرء بأصغريه : قلبه ولسانه » أول من قاله « شقة بن ضميره التميمى » للملك المنذر ابن ماء السماء ، وقد تقدم أن مصرع المنذر كان سنة ٥٦٣م (٦١ ق هـ) فهذا المثل يرجع تاريخه إلى هذه السنة ، والسنين الخمسين التى سبقتها ، وهى التى تولى الحكم فيها المنذر .

(١٠) والمثل الثالث : « الصيف ضيعت اللبن » قاله : « عمرو بن عمرو ابن عدس التميمى » لإحدى مطلقاته ، ومن عمرو إلى عدنان ٢١ جيلاً ، ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان ٢٢,٧١ جيلاً ، فمنه إلى عصر النبوة ٢,٧١ من الأجيال ، مدتها ٢٧ × ٤٠ = ١٠٨ سنة فكان هذا المثل يرجع تاريخه إلى نحو قرن قبل الهجرة (٥١٤م) .

نموذج للغة المحادثة

قبل الهجرة بنحو خمسة قرون

ومن الآثار الأدبية القديمة التي تناقلها العلماء جيلا عن جيل ، وتلقفها الرواة راوية بعد راوية ، تلك النصوص التي سجلها الميداني (١) لدى ذكره المثل .

انصر أخاك ظالما أو مظلوما

(١) وقد نقل عن (المفضل) أن أول من قال ذلك (جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم)

وكان رجلا دميما فاحشا ، إلا أنه مشهور بالشجاعة ، جالس هو و (سعد ابن زيد مناة بن تميم) - عمه - يشربان ، فلما أخذ الشراب منهما قال جندب لسعد وهو يمازحه - وفي هذا ما يدل على تقاربهما في السن - :

(٢) « يا سعد ، لشرب ابن اللقاح ، وطول النسكاح ، وحسن المزاح ، أحب إليك من الكفاح ، ودعس الرماح ، وركض الوقاح ،
(٣) فقال سعد : « كذبت والله ! إنى لأعمل العامل ، وأنحر البازل ، وأسكت القائل ،

(٤) فقال جندب : إنك لو فزعت دعوتي عجلا ، وما ابتغيبتني بدلا فرأيتني بطلا ، أركب العزيمة « وأمنع السكرية ، وأحمي الخريمة ،
فغضب سعد وأنشأ يقول - من بحر الخفيف -

هل يسود الفتى إذا قبح الوج ٥ وأمسى قراه غير عتيد
وإذا الناس في الندى رأوه ٥ ناطقا قال قول غير سديد
(٦) فأجابه جندب من البحر نفسه :

ليس زين الفتى الجمال ولكن ٥ زينه الضرب بالحسام التليد
إن ينلك الغنى فزين وإلا ٥ ربما ضن باليسير العتيد

(٧) فقال سعد - وكان عالما بالعيافة (٤) - « أما والذي أحلف به لتأسرنك ظعينة ، بين العرينة والذهينة ، ولقد أخبرني طيري ، أنه لا يفكك غيري ، :
(٨) فقال جندب : « كلا ، إنك لجبان ، تسكره الطعان ، وتحب القيان ، فتفرقا على ذلك حيننا ، ثم إن جندبا خرج على فرس له يطلب القنص ، فر بأمة لبنى تميم .

(٩) فقال لها : لنمكنيني مسرورة ، أو تقهرين مجبورة .

(١٠) فقالت : مهلا ، فإن المرء من نوكة ، يشرب من سقاء لم يوكه ، ثم قبضت على يديه وما زالت تعصرهما ، حتى صار لا يستطيع حراكا ، ثم كتفته بعنان فرسه ، وراحت مع غنمها وهي تحذو به وتقول :

(١١) لا تأمن بعدها الولائد فسوف تلقى بأسلا موارد

وحية تضجى لحي راصدا

فرأى في أثناء رجوعه سعدا في إبله ، فاستغاثه ، فقال له :

(١٢) « إن الجلبان لا يغيث ،

(١٣) فقال جندب :

يأيها المرء الكريم المشكوم انصر أخاك ظالما أو مظلوم

فأقبل إليه سعد فأطلقه .

قدم هذه المحادثة .

قدم هذه المحادثة مرتبط بقدم من جرت بينهم ؛ والاهتداء إلى زمانهم سهل ، لأن سعدا وجندبا من شجرة بنى تميم .

١- ونظرة إلى متوسط عدد الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان ترينا أنه ٢٢,٧١ جيلا .

س - ومن سعد وابن أخيه جندب إلى عدنان ١١,٥ جيلا، فكان متوسط
أجياهما إلى عصر النبوة ١٢ جيلا مدتها $١٢ \times ٤٠ = ٤٨٠$ سنة .
وبذا يتبين أن هذه المحادثة جرت في نهاية القرن الخامس قبل الهجرة ،
ومنتصف القرن الثاني الميلادي (١٤٧ م) وهذا التاريخ كان قبل ظهور
المجد القرشي بنحو ثلاثة قرون .

إنظار قديم هذه الآثار

أثبت فيما سلف أن من الأمثال ما قالته العرب من زمن مديد ، يرجع
إلى القرن الأول قبل الميلاد المسيحي ، والقرن الثامن قبل الهجرة . وهى مع
هذا بنفس تلك اللهجة الحبيبة إلى نفوسنا ؛ الشجية فى أسماعنا ، المعمودة
جملة وتفصيلا لنا ، بل إن أكثرها بلغ من الرقة والوضوح والدقة ، ما يخيل
إلى سامعه أنه من ثمرات الثقافة العباسية لا الآثار الجاهلية البعيدة ! وقد
يمعنون فى الإنكار قائمين :

إن وجود لغة من القرن الأول قبل الميلاد ، إلى القرن السابع بعده ،
أى فى مدة . . . سنة دون أن يعترها تبدل لا يتعذر معه فهمها أمر بعيد !
فألغة التى كان يستعملها العرب فى القرن الأول قبل الميلاد ، يتعذر
على الأدباء استعمالها بعد ذلك بثمانية قرون ، لإمتاع الآخرين ، بل أن
يجازوها لتسجيل خواطرهم .

ردافى

وعندى أنه ليس هناك ما يحول دون خلود تلك اللهجة ، وتنقلها على
أسلات الألسنة ، وصفحات القلوب والافهام ، وأسنة الأقلام ، جيلا
بعد جيل ، أضعاف هذه الحِقَب ولى شاهدان على هذا :

الشاهد الأول

في اللغة اللاتينية ، ويمثله أصدق تمثيل الخطيب الروماني المشهور « شيشرون » .

فقد دوت شهرته في النصف الأول ، من القرن الأول قبل الميلاد المسيحي ، كمكاتب وخطيب ، وقد ظل الكتاب ينسجون على منواله ، مدة ١٦ قرناً^(١) - إلى القرن الخامس الميلادي ، والسابع الهجري - ولم يكن سبب شهرته ، وخلود آثاره ، أنه كان إلى جانب ذلك سياسياً ، ومؤرخاً ، وفيلسوفاً ، وناقداً ، ومحامياً ، بل كان مما خلد ذكره في عالم الأدب ، استمساك أولئك الكتاب بلغه اللاتين ، لغة العلم والأدب والروايات والأغاني - قبل عصر النهضة^(٢) ، وتقديسهم إياها وحرصهم على الاحتفاظ بآثار عظمائها وتقليدهم ما راقهم من خطبائها ، في ميادين البيان ، والسياسة ، والحرب ، فكل هذه الظروف ، مما ضمن لهذه اللغة البقاء ، تلك المدة الطويلة ، على الرغم من اختلاطهم بكثير من الشعوب والأمم الأخرى ، في سلمهم وحربهم .

الشاهد الثاني

أما الشاهد الثاني فاللهجة العربية التي ينطق بها أدباء العرب الآن ؛ في مصر ، وفلسطين ، وسورية ، ولبنان وجزيرة العرب ، والعراق أليست هي التي كان ينطق بها العرب في صدر الإسلام ! بل قبله بالمائة والخمسين سنة ، التي حددها الأدباء في العصر الحديث ، جرياً وراء حدس الغربيين ، الذين يلذمت عصبيتهم أن ينكروا كل فضل للعرب ، قبل هذا الحِقبة ! أليست هذه المدة ١٥٠ قبل الهجرة + ١٣٦٩ - من الهجرة إلى سنة طبع هذا الكتاب = ١٥١٩ سنة !

(١) قصة الادب في العالم ج ١ : ٣٠٦

(٣) تاريخ أوربا الحديثة ج ١ : ١٥

أليست هذه الفترة قريبة من التي ظلت فيها خطب شيشرون وأثاره البيانية ، نموذجاً لكتاب أوربة إلى القرن الخامس عشر بعد المسيح ، والقرن التاسع الهجرى ، يقتبسون منها جملة وتفصيلاً ، ويحاكونها ، للتأثير في السامعين مثلما كان يؤثر « شيشرون » في أهل زمانه .

إذا كانت بلاغة « شيشرون » من العوامل التي ساعدت على تخليد لغة اللاتينيين ، بين أهل أوربة قبل النهضة - وأكثرهم ليسوا لاتينيين - فلا بدع أن تحتفظ العراق ، ولبنان ، وسورية ، وفلسطين ، والمملكة السعودية ، واليمن ، وبقية سكان شبه الجزيرة العربية ومصر - وأكثرهم عرب - باللغة العربية ، وأثار خطبائها وحكمائها وشعرائها ، وقصائدها ، من ١٥٠ قبل الهجرة إلى ١٢٦٩ وما بعدها ، احتفاظ أهل أوربة - قبل عصر النهضة - بلغة اللاتينيين تلك المدة الطويلة ،

بل لا بدع أن يحتفظ العرب المحصورون في شبه جزيرتهم ، في جاهليتهم بلغة آبائهم وأجدادهم ، أضعاف تلك المدة الطويلة التي استنبطتها ، بل العرب أولى . لأن تلك اللغة لغتهم لا لغة المستعمرين الأول ، ولأنها لغة آبائهم وأجدادهم ، لا لغة جنس آخر ، ولأنها في جملتها كانت لغة الجميع ، ولا يطعن في هذا ، ذلك الاختلاف التافه في لهجات القبائل ، في داخليتها ، فأكثر العرب كانوا يستعملون لهجتين للمحادثة : اللهجة الداخلية القبلية إذا كانوا يتحادثون بين قبيلتهم ، واللهجة العامة إذا كانوا يتحادثون غيرهم من القبائل الأخرى .

ويقرب إلى أذهاننا هذا ، أن للمتعلمين منا لهجتين للمحادثة : لهجة لمحادثة المثقفين إذا كنا في القاهرة أو إحدى الحواضر الإسلامية ، والمدن الكبرى ، ولهجة لمحادثة أقاربنا في الصعيد ، أو أسفل الأرض - الوجه البحرى - ولا ينكر واحد أن لهجة الوجه البحرى في مصر ، غير لهجة الوجه القبلى ، واللهجتان غير لهجة أهل القاهرة مثلاً .

كما لا ينكر في الوقت ذاته أن أهل الصعيد يفهمون لهجة الوجه البحري، وأهل الوجه البحري يفهمون لهجة الصعيد، وأن نسبة ما يفهمونه من ألفاظ تلك المداخلة نحو ٩٩ ٪ .

هكذا شأن العرب في شبه جزيرتهم، في جاهليتهم الأولى والثانية . فكيف إذا راعينا أن سكان شبه الجزيرة العربية، لم يكونوا متصلين بالفرس والروم والهند والحبش والمصريين : فراغنا وأقباطا ؛ اتصال الشعوب الأوروبية بعضها ببعض، وهذا مما جعلهم بعيدين عن التأثير بحضارات تلك الأمم المجاورة، فحفظ ذلك لغتهم من لوثة تلك الأمم الأعجمية، ولم تجد الأمم الأجنبية المجاورة - وهي ذات حضارة وثروة - ما يشجعها على الاختلاط بالعرب . لركة حالها، وترامى صحاريها، وصعوبة الاستيلاء عليها، وانغماسها في البداوة، وخشونة طباعها .

ولا يحتاج بالقبائل العربية التي كانت تجاور تلك الأمم، فإنها قلة لا يعتد بها، ومع هذا كانت أكثر القبائل - وهي محافظة - تنظر إلى القبائل التي لها علاقة بتلك الأمم نظرة ازدراء حتى في الجاهلية .

أما في العصر العباسي الأول عند تدوين اللغة، فلم يرض العلماء أن يجمعوا لغتهم من هذه القبائل :

وفيما يلي أشهر تلك اللهجات المنبوذة التي
مرت لوثة الأعجام فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات

القبائل التي نبذت لهجتها	سبب نبذها
(لخم وجذام وعاملة) من يمن الشمال (قضاة وغسان وإياد) وعرب (ثعلب وبعض قبائل اليمن الشمالية) (بكر) ومن احتطبوا في حبلهم (عبد قيس وأزد عمان) ومن انتشر حولهما بالبحرين أهل اليمن المشرفون على المحيط الهندي والبحر الأحمر بنو حنيقة وسكان اليمامة والطائف حاضرة الحجاز في صدر الإسلام	مجاورتهم مضر القبطية مصاقتهم أهل الشام قربهم من يونان دنوهم من القبط غربا والفرس شرقا اختلاطهم بالهند جنوبا والفرس شمالا مخالطتهم الهند شرقا والحبشة غربا امتزاجهم بتجار اليمن ازدحامها بكثير من تجار العرب والعجم

الشعر العربي

تمهيد

بينت قبلا أن أقدم الشعر الذي وصل إلينا، كان قبل الهجرة بنحو ١٥٠ سنة، كما يظن كثير من الأدباء قديما وحديثا، أو قبلها بنحو ٤٠٠ سنة كما نقله ثعلب عن الأصمعي، أو قبلها بأكثر من ٦٠٠ سنة، كما تفيد أجيال الأنساب، وسجلات الرواة، وانتقال هذه الآثار إلينا، بل تحدرها من أغوار الجاهلية على هذا النمط البديع، والاكتمال العجيب، وبحورها الستة عشر، وأعاريضها الستة والثلاثين، وأضربها السبعة والثلاثين، وأوزانها المركزية السبعين... كل هذه أمور تثير العجب، وتدل على أنه لم يصل إلى هذه

الدرجة من (النضج) إلا بعد أن مر في مرحلة (الطفولة) ، ثم قطع مرحلة أخرى من (مراحل الشباب) ، في خلالها عرف الشعراء كيف يؤثرون بين عواطفهم وأفكارهم ، ليتم لهم التنسيق بينهما وبين وحدة القافية ، واللامعة ، ودقة الأسلوب ، وتنويع الوزن ، وبراعة التصوير ، وأنهم (قبل ذلك) لا بد أن يكونوا قد مروا (بالبحور ذوات التفعلة الواحدة) أولاً ، كالرجز ، ثم الكامل ، ثم المتدارك ، والمتقارب ، وأنهم قبل القصائد ، كانوا ينظمون (المقطعات) متدرجين فيها من الشطر إلى البيت ، ومن البيت إلى البيتين .. وقبلها عثروا (بالأمثال والحكم المفردة ، ثم (المزدوجة المرسلة) ، ثم (المزدوجة الموزونة) ، وقبلها بدءوا يضعون (أسس السجع الفنى) ، وإن لم يكن من الضروري أن تسير الحقيقة في هذا التدرج ، ولا سيما في البحور ١٠٠ ٪ ؛ فإن اللغات وغيرها كثيراً ما نشذ عن المنطق ، وتستعصى على القوانين .

تلك سبع مراحل ، كل مرحلة منها تحتاج إلى عشرات السنين ، قبل نضجها واكتمالها ، ثم الانتقال إلى ما بعدها ، متدرجة من البسيط إلى المركب ، ومن السهل إلى الصعب غالباً .

فهل الـ ١٥٠ سنة التي زعموها ، تكفي لمثل تلك الأمور الفنية المعقدة ، بين قبائل بدوية أمية فقيرة !

مبصرة

رأى أن ميلاد الشعر العربي سبق «انفجار سيل العرم» ، وقد قدمت أن السيل كان قبل الميلاد بنحو قرن ، اعتماداً على نظريتي ، وبنحو ١٢٥٠ ق م بناء على استنباطها العلامة الألمانية جلازر : (Glaser) وعلى كلا القولين ، يمتد عمر الشعر الجاهلي أكثر من سبعة قرون قبل الإسلام ، وهي كافية لسكل ما قدمت من مراحل ، أو ضحها مرحلة شبابه التي أدركها الإسلام ،

تشق طريقها إلى ذروة مجدها ، واكتمال سموها في العصر العباسي الأول
لفظ وأسلوباً ومعنى وفكرة وخيالاً وأناقاً .

البزرة الأولى للشعر
وإنه ليسرني بعد هذا أن أرى تقارباً عجيباً بين تحديددي هذا ، وما قاله
علماء العرب قديماً :

فتدحكي (الزبير بن بكار) في حديث رفعه . « أن رسول الله ﷺ
قال لقرم من غفار ، حين سمع حاديهم بطريق مكة ليلاً : « إن أباكم مضر
خرج إلى بعض رعائه . فوجد إبله قد تفرقت ، فأخذ عصاً فضرب بها كف
غلامه ، فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح : « وايداه ، ! « وايداه ، ! !
فسمعت الإبل ذلك ، فعطفت عليه ، فقال مضر : « لو اشتق مثل هذا لانتفعت
به الإبل واجتمعت ، فاشتق الحداء .
وقد روى هذا الخبر بأسلوب آخر وإن كان الأساس واحداً ، هو أن
مضر هذا سقط عن جملة ، فأنكسرت يده ، فأخذ يقول : « وايداه ،
« وايداه ، ! ! وكان أحسن خلق الله صوتاً ، فأصغت إليه الإبل وجدت في
السبر . فجعلت العرب مثالا له ، هايدا هايدا ، يحدون به في الإبل (١)

تخيلوه المرة من مضر

الأجيال من مضر إلى العصر الإسلامي — في المتوسط —
١٧,٥ جيلاً ، مدتها ١٧,٥ × ٤٠ = ٧٠٠ سنة ، أي قبل الميلاد بنحو ٧٨ سنة . وقد
قدمت أن « العلامة الألمانية جلازر ، حددت سيل العرم بسنة ١١٥ ق م ، وبضمها
إلى ٦٢٢ م التي بدأت بها الهجرة نجد العددين ٧٣٧ سنة .

فالفرق بين تقديري لأيام مضر ، وتقدير جلازر لانفجار سيل العرم

٣٧ سنة فهذه المدة هي مدة الحصانة للشعر العربى على هذه الرواية ، بعدها بدأ الشعراء يتنقلون بالشعر فى حقول تجاربه ، من البسيط إلى المركب ، ومن الشطر إلى الشطرين ، ومن البيت إلى البيتين ، ومن المقطوعة الناقصة إلى الكاملة ، ومن هذه إلى القصيدة فى أضيق حدودها ، ثم تدرجوا إلى القصيدة المتوسطة فالطويلة .

أقدم القصائد الطوال

وأقدم ما وصلنا من القصائد الطوال قصيدة « لقيط الإيادى » ينذر بها قومه ، وقد زحف إليهم « سابور ذو الأكتاف » وقد بلغت أبياتها ٥٥ بيتا ومطلعها :

يادار عبلة من محتلمها الجرجا هاجت لى الهم والأحزان والوجعا
وسأبرهن الآن على أن هذه القصيدة قيلت فى سنة ٣٢٦م (٣٠٦ ق هـ) .

لقيط الإيادى وسابور ذو الأكتاف

وقد سجل المسعودى ^(١) أنه فى أيام (سابور بن هرمز) وهو سابور ذو الأكتاف ، غلبت العرب على سواد العراق ، وكانت جبهة العرب بمن غلب على العراق ، وُلد (إياد بن زار) وكان يقال لها (طبق) لإطباقها على البلاد ، وملسكها يومئذ (الحارث بن الأغر الإيادى) ، فلما بلغ (سابور) من السن ١٦ سنة نهض للإيقاع بهم ، وكان فى محبسه رجل منهم يقال له (لقيط) فكتب إلى إياد شعرا ينذرهم به وهو :

سلام فى الصحيفة من لقيط على من بالجزيرة من إياد
بأن الليث يأتىكم دلافا فلا يحبسكم سوق النقاد (٢)
أتاكم منهم سبعون ألفا

(١) مروج الذهب - ج ١ ص ١٥٨

(٢) النقاد بكسر النون جمع نقدة بالتحريك وهى صفار الغنم

فلم يقدروا نصيحته - وسرايا كسرى زحف نحو العراق - فلها تجهز
القوم نحوهم كتب إليهم :

يادار عبلة من محتلمها الجرعا

فدمهم القتل ، فما أفلت منهم إلا نفر قليل ، لحقوا بعدها بأرض الروم ،
وكان يخلع من الأسرى أكتافهم ، فسمى من ذلك اليوم وسابور ذا الأكتاف .

تحفيو

تصفحت تاريخ الفرس ، فوجدت أن « سابور الثاني : ذا الأكتاف » ،
انتخب ملكا في نفس السنة التي ولد فيها ، أي سنة ٣٠٩ م (٣٢٣ ق هـ) ،
ولم يزحف على الإياديين لطردهم عما احتلوه من مملكته ، إلا بعد أن بلغ
١٦ سنة ، أي سنة ٣٢٥ م (٣٠٦ ق هـ) فهاتان القصيدتان قبلتا سنين .

دلالة القصيدة العينية للفيط

وفوق ما دلت عليه القصيدة العينية ، من أنها أقدم القصائد المطولات
التي وصلتنا ، لها دلالة أخرى أعمق من الأولى ، هي أنها في لفظها وأسلوبها
ووضوحها وجزالتها ، صورة رائعة لا غاب الآثار العربية الجاهلية ، التي تركها
العرب بين أيدينا كالعلاقات ، وأنها لا تنافر بينها وبين أسلوب القرآن
وصياغته وألفاظه ، وهي مع هذا ليست من لهجة قريش ، إذ هي أقدم من
زمن قصي بأن يحد قريش بنحو قرن ، بل هي من لهجة العدنانيين ، فنسبه الالهجة
القرآنية وما يشابهها إلى قريش فيه مبالغة خطيرة .

أقدم دواوين الشعر :

ومن يتتبع آثار العرب في جاهليتهم كما تتبع ، يجد أن أقدم دواوين
الشعر إنما هو ديوان لقيط الأيادي ، ومن عجب أنه مخطوط إلى الآن !
وفي متناول أيدينا ! وفي مكان واحد في مصر ، هو دار المكتب المصرية ؛

وليس مستقلا ! بل « ضمن مجموعة مخطوطة رقم ١١٣٨٤ - أدب » (١) ؛ وكل ما بذله المشرفون على هذه المكتبة في القديم . أنهم بعد اقتنائه أدرجوه مع عدة قصائد مخطوطة ، لعمر بن قيس ، والعجاج ، وعلقمة ، وأوس بن حجر الخ ، ثم منوا على الرجل ، بل منوا على الجندى المجهول ، بتعريف متواضع لراوى قصيدته العينية ، والدالية لا للشاعر ولا لمنزله الأدبية ، وهذا الراوى هو العلامة اللغوى النسابة أبو المنذر بن هشام المعروف بابن السكبي ، وبهامشه ، وبين سطوره ، تقييدات كالشرح عليه

ولولا أن واحدا من أدبائنا طبع مختارات ابن الشجرى ، وفي طليعتها هذان الأثران لشاعرنا الخالد « لقيط الأيادى » ، فعمدت دار الكتب المصرية إلى شراء بعض النسخ المطبوعة ، وجعلتها بين نفائسها تحت رقم ١٨٤٥ (أدب) ، لولا هذه العناية المتواضعة لكان الأسف كبيرا .

وكيف لا نأسف وأقدم الدواوين العربية لا يلقى من أدبائنا ، ورجالنا الرسميين عناية كافية ! وكيف لا تضيق صدورنا حرجا ، وفيه تلك القصيدة العينية التى تعتبر أقدم قصيدة عربية فى الدنيا ، وأصدق دليل على بطلان ما تواطأ عليه المشتغلون بالأدب قديما وحديثا من وضعهم حدا - بالأسمنت المسلح - وسدا - ولا سد يأجوج ومأجوج - لأقدم الآثار الأدبية التى بين أيدينا ، وحرروا بهذا أن يكون للعرب آثار أدبية قبل الهجرة إلا بنحو ١٥٠ سنة ١ - مساقين بحسن نية وراء أعدائنا ، وأعداء ترائنا ! مع أن ديوان لقيط هذا يجلجل صوته مدويا بتسكديهم ، وتؤيده السجلات الملكية وتاريخ الفرس ، والتاريخ العام والخاص ، وكلها تجمع على أن تاريخ هذين الأثرين مرتبط بتاريخ السنة التى بلغ فيها « سابور ذو الأكتاف » ١٦ سنة ، وأنه سنتذاك ، زحف على الإياديين لاجلائهم عن الحمى المستباح ، الذى أسسه آبائهم وأجداده ، فعاث فيه الإياديون فسادا . يقتلون ويأسرون وينهبون ، وأن ذلك الزحف كان سنة ٣٠٥ م أى قبل الهجرة الإسلامية بثلاثة قرون

(١) هذا التعبير لدار الكتب المصرية لالى .

وست سنوات بالتقويم القمري ! أى قبل ضعف المدة التى حددتها علمائنا
لتاريخ الأدب الجاهلى قديما ، بل أكثر من ضعفها !

عدد أبيات القصيدة العينية

وقد بلغت أبياتها ٥٥ بيتا ، يدل عددها فى الوقت نفسه على زيف قول
« ابن سلام » ومن احتطبوا فى حبله :

« إنما قصدت القصائد ، وطول الشعر على عهد : عبد المطلب وهاشم بن
عبد مناف ، !! إذ بين عصر النبوة ، وبين عبد المطلب نحو قرن على الأكثر ،
وزمن هاشم أقدم من زمن ابنه عبد المطلب بنحو ٤٠ سنة على الأكثر .
فلو أن هاشما كان قبل الهجرة بنحو ١٣٠ سنة مثلاً ، لقارب ذلك سنة ٤٦٦ م
وقصيدة لقيط قيلت سنة ٣٢٥ م ، فهى أقدم من الزمن الذى حدده ابن سلام
لتقصيد القصائد بنحو قرنين إلا قليلا ، وفى هذا ما يدل على أن أكثر
ما يقوله الرواة فى تحديد أزمان الجاهلية رجم بالغيب ، ورمى بالظنون ،
غير معتمد على قاعدة كالتى ابتكرتها . وهذا بعض ما اخترته من قصيدة لقيط ،
التي تعتبر فوق ما تقدم أقدم أثر أدبى عربى يهدف ، إلى إثارة الشعب لدفع
ما يكره وتحقيق النفع العام :

يا دار عمرة من محتلها الجـرعا هيجت لى الهم والأحزان والوجعا^(١)
تامت فؤادى بذات الجزع خرعبة مرت تريد بذات العذبة البيعا^(٢)
بمقلتي خاذل أدماء طاع لها نبت الرياض تـزجى وسطه ذرعا^(٣)
وبعد سبعة أبيات فى تلك المقدمة الغزلية التفت إلى رسوله الإيادى محذرا فقال :

(١) طبقات الشعراء ص ١٨ .

(٢) (تامت) : تبمت وجماعته متيما ذليلا ، و (ذات الجزع) : موضع ، و (الخرعبة) :
الشابة الحسنة القول و (ذات العذبة) موضع .

(٣) الخاذل : النفور ، والأدماء : البيضاء ، طاع لها نبت الرياض : تشبه الظبية التى
لأنجد صغوبة فى تناولها نبت الرياض ، وتزجى : تسوق رفق ، والذرع : ابن البقرة الوحشية .

بل أيها الراكب المزجي مطيته إلى الجزيرة مرتادا ومنتجعا^(١)
أبلغ إيابا وخلل في سراتهم أنى أرى الرأى إن لم أعص قد نفعا^(٢)
وبعد ٢٤ بيتا قالها يخرض قومه أن يتحدوا ، ويحذرهم أن يتفرقوا ،
ويصف لهم استعداد فارس وقومهم ؛ ليثير حميتهم ، ويخوفهم الجلاء قال
ينصحبهم باختيار زعيم رحب الذراع ، خبير بفنون الحرب ، ليس له مال
ولا ولد

وقلدوا أمركم الله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا^(٣)
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا^(٤)
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه هم يكاد سناه يقصم الضلعا^(٥)
مسهد النوم تعنيه أموركم يروم منها إلى الأعداء مطالعا^(٦)
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا^(٧)
حتى استمرت على شذر مربرته مستحكم الرأى ، لا قحما ولا ضرعا^(٨)
وليس يشغله مال يثمره عفاكم ولا ولد يبغي له الرفعا^(٩)
ثم اختتمها بهذين البيتين :

لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا
هذا كتابي إليكم والنذير لكم لمن رأى رأيه فيكم ومن سمعا

(١) المرتاد والمنتجع : طالب الرعى .

(٢) خلل في سراتهم أى امش خلال زعمائهم محذرا ونذيرا .

(٣) الله دركم : عبارة يراد بها التعجب والمدح ، بأمر الحرب مضطلعا : خبيرا .

(٤) لا مترفا : من غير أرباب الترف فهؤلاء لا يصلحون لحشونة الحرب وقسوة الجهاد
وخشع : خضع أى لا يصح أن تختاروا من الزعماء من يذل إذا ما رأى مكروها .

(٥) الريث : الإبطاء أى لا تبأى إلا عند أقصى الضرورات .

(٦) مسهد النوم : مؤرق ، وتعينه : نومة ، يروم : يطلب ، ومطالعا : اطلاعا .

(٧) يحلب الدهر أشطره : يكون ذا تجارب قد خبر الأيام خبرها وشرها .

(٨) الشذر : فتلك الحبل مما يلى اليسار وذلك أشد لقتله ، والريبة من إمارة الحبل أى
شدة قتله أى زعما قويه شكيمته واستحكم أمره ، والضرع : الضعيف الدليل والقحم : الشيخ
الذى كبرت سنه جدا .

(٩) يثمر له ثمرة ورثا ، ولا ولد يبقى له الرفعا : أى وليس له ولد ؛ لأن
الولد مجتنة ممخلة ؛ إذ شأن ذوى الأولاد أن يعيشوا لتقديم مستقبل أبنائهم ورفع شأنهم ،
وكل ما عداهم هين وخيس ومثل هؤلاء لا يصلحون للمعارات القومية .

(٢) القسم الثانى

شعر المقطوعات فى الجاهلية

أزجيت بين يدى قرأتى - فى القسم الاول - صفحة ١٠١ من هذا الكتاب أن أقدم فنون الأدب العربى هى الأمثال المنسوبة ، وبرهنت على أن منها ما ترجع أقدميته إلى القرن الثامن قبل الهجرة ، أو القرن الثانى قبل الميلاد المسيحى ، وهذا ما عثرت عليه إلى الآن ، والأمل كبير أن أعثر على ما هو أقدم ، ونثرت بين أيدي الباحثين ، ورواد الحقيقة ، ما يعلمهم مطمحين إلى صحة ما ذهب إليه ، من تحديد الميلاد ، لكل مثل من الأمثال التى اخترتها فى أزمنة مختلفة ، ولا سيما أن للأمثال حصانة ، قررها العلماء قديما ، لم تحظ بمثلها فنون الأدب الأخرى ، من مقطوعات ، أو قصائد ، أو خطب ، أو وصايا ، أو أسجاع الكهان .

فالآن أقرر ، أنه لا يضير غير الأمثال من فنون الأدب ، أن لا تكون لها هذه الحصانة ، مادامت تروى فى أية صورة من صور الأمثال المنسوبة ، التى أزجيت نماذج منها ، تقطر من نبعها العربية الصافية ، وتنبج نهجها فى البيان ، والأسلوب ، والألفاظ ، والأغراض ، وما إليها ، وما دامت تنسب إلى قائلها ، لأننا بهذا الأسلوب ، وبهذه اللهجة ، لانجد حرجا فى أن يكون للعرب نوع منها ، فى القرن السادس قبل الهجرة مثلا ، وبهذه النسبة ، نستطيع أن نحدد ميلادها ، وبهذين نقضى - فى سهولة ويسر - على أخطاء القائلين : إن أقدم الآثار الأدبية التى بين أيدينا ، لا تسبق الهجرة بأكثر من ١٥٠ !

وفنون الأدب الأخرى مركبة إذا قيس بالأمثال ، فالأمثال أقدم منها . لأن البسيط أقدم من المركب كما تقدم ، وقياسا على هذا ، نجد المقطوعات أقدم من القصائد ، لأنها تتراوح بين بيت ، وستة أبيات ، أما إذا زادت

على هذا العدد ، فنسمى قصيدة لا مقطوعة ، فما أقدم أنواع الشعر التي
تحدثت إلينا ؟

أقدم المقطوعات

من أحفل المراجع لهذا النوع من الأدب ، كتاب المعمرين للسجستاني ،
فقد جمع فيه مقطوعات ، لا أكثر من مائة من المعمرين ، عدنانيين ، وقحطانيين
من كل القبائل العربية ، بينهم طائفة لا يستهان بها ، ممن سبقوا الهجرة بأكثر
من قرنين ، أى قبل قصي أول ملوك قريش ، وهو الذى يرتد إليه الفخر ،
في كل مانأها من شهرة في الجاهلية الثانية ، ولا مرية في أن هذه الطائفة ،
استودعتنا آثارها الأدبية بلسان عربي مبين ، ولهجة عدنانية صافية .
وأسلوب إذا جردناه من نسبته إلى قائله . ثم خلطناه بغيره من أساليب العصر
العباسي الأول ، لا يكاد يظهر الحديث من القديم والجاهلي من الإسلامى ،
وفي هذا ما يثبت من جديد ، أن اللهجة التي نزل بها القرآن ، لهجة عربية ،
كانت لسان الخاصة من العرب ، ولسانا عاما لأدبائهم .

وبعض هذه المقطوعات منشور في السكتب الأخرى ، مثل كتاب
المزهر للسيوطى ، وكتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، وكتاب
الأمثال للميداني ، وجمهرة أنساب العرب للعسكري ...

وقد ذيلت قسم الأمثال بنموذج من محادثة أدبية قديمة ، جرت بين
ثلاثة من بني تميم : سعد بن زيد مناة بن تميم ، وابن أخيه جندب بن العنبر
ابن عمرو بن تميم ، وجارية لهم . ويهمنا منه في هذا المقام عدة قطع وردت
على ألسنتهم . ومعرفه الزمن الذى قبلت فيه هذه المقطوعات سهل ، لا يكفنا
عناء إلا بمقدار ما نستفي فيه شجرة بني تميم .

وقد حققت في القسم الأول ، أن سعد بن زيد مناة بن تميم ، كان قبل
الهجرة بنحو ٤٨٠ سنة ، وابن أخيه جندب كان يعاصره ، ولو أنه أصغر
منه سنًا ،

وقد أعمنت في البحث ، فوجدت من هو أقدم من سعد بن زيد مناة ، وابن أخيه جندب ، وكنت أطير سرورا حينما وجدته من عرب اليمن ، لأن في هذا دلالة على قدم الزمن ، الذي اندمج فيه أدباء العدنانيين بأدباء القحطانيين .
وتحديدا للفترة التي بدأت تزوب فيها لهجة القحطانيين في لهجة العدنانيين ، ومفتاح ذلك كله هو « طى بن أدد » من السكهلانيين وهذا بيان ما وصلت إليه من النتائج :

طى بن أدد

وقد جست خلال أنساب السكهلانيين ، فوجدت منه إلى جدهم قحطان ١١ جيلا ، لأنه طى بن أدد بن زيد بن يشجب الأصغر بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

ورجعت إلى صفحة ٤٦ من هذا الكتاب ، فوجدت متوسط الأجيال ، من عصر النبوة إلى قحطان ٣١ جيلا ، فمن طى إلى عصر الإسلام ٢١ جيلا . مدتها $21 \times 40 = 840$ سنة .

ولكن يطعن في هذا التقدير أن « طيا » هذا كان يعاصر عدنان ، وأكبر الظن ، أن عدنان لم يكن ينطق بهذه اللمجة التي نزل بها القرآن ، بل كانت تختلف عنها نوعا ، لما قدمت .

والسجستاني^(١) يقرر أن « طيا » كان من المعمرين ، وأنه عاش ٥٠٠ سنة !! وأن أشياخا من طى يذكرون ذلك ، ويتناقلونه جيلا بعد جيل ، وأنه في أصيل عمره حمل من جبله « ظريب » بالين إلى جبل آخر ، نسب إليه فيما بعد ، قسمي « جبل طى » فقتل رجلا « من عاد » كان هناك ، وحل محله ، فقال في ذلك — من بحر السريع — :

إنا من الحى اليانينا إن كنت عن ذلك تسألينا
فقد ثوينيا بظريب حيناً ثم تفرقنا معا عضينا
أما إنه عاش ٥٠٠ سنة فهو مبالغ فيه ، فلو أنى قدرت لعمره منها
١٨٠ سنة ، وافترضت أن هذه الهجرة كانت فى أواخر أيامه ، لكانت دلالة أن
هذا الشر قيل فى القرن السابع قبل الهجرة (٨٨٠ - ١٨٠ = ٧٠٠ سنة) ،
وبذا يكون قد قصر عن القرن التاسع : عصر عدنان ، نحو قرنين ، فيها
وصلت لهجة بنيهم ومعاصريهم إلى ما قرأناه لطفى هنا .

مبرأذو بانه القحطانية فى العدنانية

ولهذا الأثر الأدبى المنسوب إلى طى قيمة كبيرة ، لأنه فوق دلالة على
قدم المقطوعات العربية ، فيه دلالة أخرى على أن زعماء القحطانيين بدءوا
يلبسون حاجة العيش فى غير أرضهم ، ويفرون إلى الجهات الشمالية المعتبرة
من حى العدنانيين ، وأن اصطناع لغة العدنانيين أصبح من المحتتمات ، حتى
يتم التفاهم ، وتنسجم العلاقات : وهو الأمر الذى سار على نهجه حوالى
هذا التاريخ عرب المناذرة ، والغساسنة وغيرهم ، من بعد سيل العرم ، وأن
« طيا » لم يقنع بتعلم اللغة العدنانية ، بل خطا خطوة أخرى ، فتعلم آدابها ،
وحاكمهم فى نظم الشعر بلهجتهم .

وبتصفح التاريخ النبى نجد « دولة سبأ » التى تأسست سنة ٨٠٥ ق . م .
كان قد مر عليها نحو سبعة قرون وهى مستقلة ، وأنها انهارت بانتهاء سيل
العرم سنة ١١٥ ق . م (٧٦٠ ق . هـ) فقامت على أنقاضها دولة حمير (١) ،
ودلالة هذا ، أن دولة سبأ كانت بوادر الانحلال تنخر فى صرحها ،
لا فى ميادين الاقتصاد . أو الاجتماع فحسب ، بل كذلك فى اللغة ، وكان
سيل العرم بمثابة القطرة التى تفيض بها الكأس . فلا عجب أن يبدأ
القحطانيون فى التقرب إلى العدنانيين ، وتعلم لغتهم ، ولا اعتراض إذا بدأت

صلة جديدة تربط زعماء العرب القحطانيين ، بزعماء العرب العدنانيين وليس كالآداب وسيلة .

إذن من الممكن جداً ، أن تكون نسبة هذا الشعر إلى «طى» صحيحة ، ومن الممكن في الوقت نفسه ، أن تكون المقطوعات العربية العدنانية . أقدم من هذه المقطوعة القحطانية بلسان عدنان .

رأى علماء الرواة :

فهل فيما نقله الرواة من بعد بتاريخ الشعر ، قبل المائة والخسين سنة ، التي مازال بعض العصريين مصممين ، على أن تكون حداً لا تتجاوزها الآداب العربية ؟ نعم فقد نقل إلينا السيوطي أن «عمر بن شبة» في طبقات الشعراء قال : (١) «للشعر والشعراء أول لا يوقف عليه» .

«وزعم بعضهم أن «الافوه الأودي» ، أقدم من «عبيد بن الأبرص» ، عند بني أسد ، و«عمرو بن قميئة» و«المرقس الأكبر» عند بكر و«أبي دؤاد» ، عند إيباد .

ونقل ثعلب في أماليه ، أن أول شعراء القصائد «ذؤيب بن كعب» التميمي ثم «ضمرة السكناني» و«الأضبط بن قريع» المزروعى ، وكان بين هؤلاء وبين الإسلام ٤٠٠ سنة .

بل أعجب من هذا ما نقلته في هذا الكتاب عند حديثي عن «الافوه» ورأى بعض الرواة أنه أدرك المسيح ! أى القرن السابع قبل الهجرة !

الحمد لله

فقد وجدت من يناصروني من رواد الألب العربى ، وتلاقى نظريتي وما نقله بعض روادنا المحققين ، وعلمائنا الإثبات في الصدر الأول . وبين يدي الآن ، طبقات الشعراء لابن سلام الجهمي ، وبما جاء فيه :

١- «ما روى من قديم الشعر قول «دويد بن زيد بن نهد» حين حضره الموت»:

اليوم يدني لدويد يتيه لو كان للدهر بلى أبلية

أو كان قرني واحدا كفيته يارب نهب صالح حويته

ورب غيل حسن لويته ومعصم مخضب ثنيته (١)

٢- «وأعصر بن سعد بن قيس عيلان» ...

٣- ومنهم «المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد» ...

٤- و«زهير بن جناب الكلبي» ...

٥- و«جذيمة الأبرش»

٦- و«لجيم بن صعب» بن علي بن بكر بن وائل ...

٧- وقبل كل أولئك قال: ومن قديم الشعر الصحيح قول «العنبر بن

عمرو بن تميم» - وكان مجاورا في بهراء فراه ريب - :

«قد رايتني من دلوى اضطرابها»

ومستأنى في تحقيق أقدميته .

٨- و«ابن خذام» وفيه قال امرؤ القيس بن حجر:

عوجا على الطلل المحيل لعننا نبكى الديار كما بكى (ابن خذام)

وهو رجل من طى ، لم نسمع شعره الذى بكى فيه الديار ، ولا غير هذا

البيت الذى ذكره امرؤ القيس .

نقط البحث فى هؤلاء الشعراء الثمانية

وسأجتهد فى البحث لأرى أكل أولئك الشعراء الثمانية، من قدماء الشعراء

حقا؟ وما مبلغ قدمهم؟ وهل كلهم من شعراء المقطوعات؟ وإن كان من

بينهم أحد من شعراء القصائد، فلم أغفلته المعسكرات الثلاثة الآتية، عند

سردها شعراء القصائد، وما أقدم الآثار العربية التى عثرت عليها؟ وهل بقى

أحد بعد هؤلاء الشعراء الثمانية؟ وبعد العشرة الذين سبقوهم؟ ولم تركوا؟

فيما يأتى نتائج مباحثى :

(١) دؤيد بن زيد القضايعي

ميلاده : ١٥٦ ق هـ (٤٧١ م)

١ - (ا) من هذا الشاعر الحميري إلى جده الأكبر قحطان ١٩ جيلا .

(ب) ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى هذا الجد في شجرة

حمير ٣٠ جيلا .

فالفرق الأول بين هذين العددين ١١ جيلا . مدتها

$$١١ \times ٤٠ = ٤٤٠ \text{ سنة .}$$

٢ - (ا) وبالرجوع إلى (دليل العشرة) بعد (دليل النسب) نجد من

عشيرته الأقربين دثعلبة بن دصيص ، ود و خالد بن عرفطة ، و

ود حمزة بن النعمان ، ود نبيه بن يزيد ، و د زميل بن عمر ،

ومتوسط أجيال هؤلاء الخمسة من الصحابة إلى جددهم

قحطان ٢٨،٢ جيلا .

(ب) وسبق أن من د دويد ، إلى قحطان ١٩ جيلا .

(فالفرق بين متوسط أجيال العشرة ، وأجيال دويد) ١٠،٢ أجيال .

وبمجموع الفرق الأول والفرق الثاني ٢١،٢ جيلا .

ومتوسط الفرق ١٠،٦ أجيال . مدتها $١٠,٦ \times ٤٠ = ٤٢٤,٠$ سنة .

وبناء على هذه الأرقام ، نجد أن د دويد بن زيد ، لما كان في سن الأربعين ،

كان هذا في سنة ٤٢٤ قبل الهجرة .

ولسكننا بالاطلاع على القاموس المحيط ، نجد أن د دويدا ، عاش ٥٠

سنة ١١ وأنه أدرك الإسلام ١١ وأنه ارتجز محتضرا : اليوم يبني لدويد ...

فأمامنا الآن قضيتان : (الأولى) أنه عاش ٤٥٠ سنة
(والثانية) أنه أدرك الإسلام

فكيف تصدر حكمنا فيها معتمدين على شجرة الأنساب !!

تقدم أن هذا الشاعر كان في سن الأربعين سنة ٤٢٤ قبل الهجرة ،
فكان ميلاده كان سنة ٤٦٤ قبلها ، فلو جارينا من حددوا له هذا العمر ،
لكانت وفاته حوالى سنة ١٤ قبل الهجرة أى حوالى ظهور الإسلام ؛ لأن
النبي ﷺ مكث بعد ظهور الإسلام نحو ١٣ سنة فى مكة ، ثم هاجر منها إلى
المدينة : فمن العجب أن يتفق هذا العمر الطويل مع (دليل النسب) !!

وبذا يثبت أيضا أنه أدرك الإسلام ! لكن هذا العمر ليس
معقولا مطلقا !! فكيف مع هذا تواطأ (دليل النسب) مع تحديد الرواة !!
بالإطلاع على معجم البكرى رأيت يقول : زعموا أنه عاش ٤٠٠ سنة ^(١) !
وبالرجوع إلى السجستانى ^(٢) وجدته يقول إن « دويدا » عاش ٤٥٦ سنة !!
والذى أرجحه أن عمره لم يصل إلى أكثر من ١٥٦ سنة ، وأنه فى
ذات الوقت أدرك الإسلام وهذا لا يسوغ إلا إذا مهدنا له بأمرين :

الأمر الأول

أن أربعة من أجداده ، أو ثلاثة على الأقل ، كانوا من المعمرين ، وأن القرون
الثلاثة التى اقتضبتها من العمر المنسوب إليه ، توزع على هذا العدد من أجداده ،
فوق السن المتوسطة وهى الستون ، وهذا ليس بغريب لأن طول العمر
بما يورث .

الأمر الثانى

أن أجداده الثلاثة أو الأربعة ، الذين اشترطنا أن يكونوا من المعمرين ،
يلزم أن يكون كل واحد منهم قد أنجب من بعده بعد المائة ، والطب لا يمنع

(١) معجم ما استعجم ج ١ ص ٣٤

(٢) كتاب المعمرين ص ٢٠ رقم ١٢

هذا والعرف والواقع يؤيدانه ، بل قد ينشأ من وفرة النشاط الجنسي قبيل المائة ، أن لا يقتصر الزوج على إنجاب طفل واحد ، بل ينبغي توهمين والمجلات العلمية ، والشركات البرقية ، كثيرا ما تنشر مثل هذا ، وأحدثها ما أذاعته إحدى هذه الشركات ، فنشرته الجرائد في ١٠ / ١١ / ١٩٤٩ خاصا بزوج مجرى ، في الثامنة والسبعين أنجب توهمين . .

ونتيجة لهذا

أن الشاعر ولد في سنة ١٥٦ قبل الإسلام ، وتوفي سنة ١٣ قبل الهجرة وكان في سن الأربعين في سنة ١١٦ قبل الإسلام .

شعره

ساق إلينا السجستان نموذجين من شعره ، ونموذجا من نثره .

النموذج الأول

أنه لما حضرته الوفاة قال :

ألقى على الدهر رجلا ويدا والدهر ما أصلح يوما أفسدا

يفسد ما أصلحه اليوم غدا

ويروى :

ويسعد الموت إذا الموت عدا

وهذا المعنى كثير الورد على ألسنة الشعراء في كل عصر ، أما قديما فكقول

الافوه الأودى :

والمرء ما يصلح له له بالسعد تفسده ليالي الفحوس

ومعنى الأفوه أدق ؛ إذ هو يفيد نسبة السعد إلى النحس في هذه الحياة ،

وخلا معنى دويد منها ، وبما يغفر له ، إفادته سرعة حدوث الشر بعد الخير ، على

الرواية الأولى ، وليس عند الأفوه إشارة لهذه السرعة ، وأما في القرن الرابع

فقد قال المتنبي في وصف الدهر والشكوى منه

ربما تحسن الصنيع لياليه ولكن تكدر الإحسانا

وفي عهد إسماعيل قال شاعره :

فلا تشق يوميض من يرقه فهو خلب

والنموذج الثاني

يارب نهب صالح حويته ورب غيل حسن لويته

اليوم يبني لدويد بيته لو كان للدهر بلي أبليته

أو كان قرني واحدا كفيته

النموذج الثالث نرى

وجمع بنيه عند موته فقال :

أوصيكم بالناس شرا . . . والحق أن هذه الوصاة لجدته نهد كما يفيد هذا

متجم البكري .

نهد بن نريد الفضاعى

وعلى ذكر نهد جده دويد ، يحسن بي أن أذكر هنا مكانه بين القدماء ، وآثاره الأدبية ، لارتباطها بما نريد البرهنة عليه ، وهو أن اللمجة التي نزل بها القرآن ليست لهجة قريش ، بل هي أقدم منها ، وليست لهجة قبيلة بعينها بل هي اللغة العامة لأدباء القبائل ، وهذا بيان قدمه وآثاره :

١ - (١) تقدم أن من حفيذه (دويد بن زيد بن نهد) إلى قحطان

١٩ جيلا ، فمن نهد إلى قحطان ١٧ جيلا .

(ب) ومتوسط الأجيال من عصر النبوة في حمير إلى قحطان ٣٠ جيلا

(ج) والمتوسط النهائي من الحفيد إلى عصر النبوة ٤٢٤ سنة ، ولكن

العمر الخيالي الذي حدده الأدباء لدويد لم يرقني ، فاقتضبه إلى ١٥٦ سنة

انتهت بظهور الإسلام ، فلو أني لم اعتمد إلا (دليل النسب) لكان عمر

(نهد) أربعين سنة في عام ٥٠٤ قبل الهجرة أى قبل الزمن الذي حققته

لحفيدة دويد معتمدا على شجرة الأنساب بنحو ٨٠ سنة وعندى ما يؤيده

من (دليل المعاصرة) وهو القاعدة الثالثة من نظريتي .

دليل المعاصرة

وقد أرسيت هذا الدليل على طائفة من عدة قبائل، كانوا يعاصرون (نهد بن زيد هذا) أخبرنا بأمرهم البسكري في معجمة فقال . . . وكان نهد منيعا كثير التبغ والولد، وعمر عمرا طويلا، وهو أكثر قومه ولدا لصلبه وهم أربعة عشر ذكرا منهم (من برة بنت مر بن أد) - وهي أم (أسد بن خزيمة) وأم (النضر بن كنانة) مالك و . . . وفي هذا النص دلالة على أن (برة) تزوجت خزيمة، وبعده تزوجت ابنه كنانة، وكان ذلك جائزا في الجاهلية، (١) وقد اكتفيت من هؤلاء المعاصرين بثلاثة هم الذين جعلتهم بين أقواس .

(١) فمن برة بنت مر أخت تميم إلى عدنان ٩ أجيال

ومتوسط الأجيال في تميم من عصر النبوة إلى عدنان ٢٠ جيلا

(فالقرن الأول) من عصر النبوة إلى (برة) ١١ جيلا

ومدة هذه الأجيال نحو $١١ \times ٤٠ = ٤٤٠$ سنة قبل الهجرة

(٢) ومن (ابنها النضر بن كنانة) إلى عدنان ٨ أجيال

فمنه إلى عدنان في قبيلة كنانة ١٠، ٨ أجيال

مدتها ١٠، ٨ $\times ٤٠ = ٤٣٢$ سنة قبل الهجرة

(٣) ومن (ابنها أسد بن خزيمة) إلى عدنان ٧ أجيال

ومتوسط الأجيال من قبيلة أسد إلى عدنان ٢٠ جيلا

فالفرق بين هذين العددين $= ١٣$ جيلا

مدتها ١٣ $\times ٤٠ = ٥٢٠$ سنة قبل الهجرة

وهذه المدد الثلاث قبل الهجرة هؤلاء المعاصرين الثلاثة $= ٤٤٠ +$

(١) وكان يسمى نكاح المقت، ويسمى الولد منه مقي وقد أبطل الإسلام ذلك تنفيذاً لأمر الله : (ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومعتداً وساء سبيلاً)

٤٢٢ + ٥٢٠ = ١٣٩٢ سنة متوسـطها ١٣٩٢ ÷ ٣ = ٤٥٤ سنة
قبل الهجرة .

وقد تقدم أن (نهـا) كان ابن ٤٠ سنة في سنة ٥٠٤ ق هـ
وبضم مدته قبل الهجرة إلى متوسط مدد الثلاثة المعاصر بن قباها وهو
٤٦٤ + ٥٠٤ = ٨٦٨ سنة متوسطهما ٨٦٨ ÷ ٢ = ٤٣٤ سنة هي التي
كان فيها (نهـد) قبل الهجرة وعمره أربعون سنة ،

من المعمرين

ولكن البكرى وكثيرا غيره يقولون إنه من المعمرين ، فلو أنه عاش
١٥٦ سنة التي افترضتها لحفيده (دويد) لدل هذا على أن ميلاده كان قبل
الهجرة بنحو ٤٣٤ سنة ، ووفاته قبلها بنحو ٢٧٨ قبلها ، ولو غـه الأربعين من
عمره كان سنة ٣٩٤ ق هـ (٢٤٠)

نهد الشاعر الأديب

(١) ويحدثنا البكرى أيضا فيقول . « أقامت جهينة ، ونهد ، وسعد
في نجد زمانا ، فبكثروا ، وتلاحق أولاد أولادهم حتى وثب (حزيمة بن
نهد) — وكان مششوما فاتكا جريئا — على الحارث وعرابة ابني سعد بن
زيد فقتلهما ، فقال في ذلك نهد أبوه :

وهل نجاني من دعوى عرابة أن صارت محلة بيتي السفح والجلبا
وحاجة مثل حر النار داخلـة سـليتـها بكنـاز^(١) ذمـرت كـجـلا ..

(ب) وأوصى بنيه حين حضرته الوفاة — أي سنة ٢٧٨ ق هـ — فقال .

« أوصيكم بالناس شرا ، ضربا أزا ، وطعنا وخزا ، كلبوهم نزا ،
وانظروهم شذرا ، واطعنوهم دسرا ، اقصروا الأعنة ، وطرروا الأسنة ،
وارعوا الغيث حيث كان^(٢) »

(١) ناقة كنـاز كـكـتاب كـثيرة الـاجـم صـلـة و (ذمـرت) قـذـرت و حـسـبت مـثل الجـل

في قوتها .

(٢) معجم ما استعجم ج ١ ص ٣٢

رأى في هذين الأثرين

برهنت فيما سبق أن (نهد بن زيد القضاعي) ولد حوالي سنة ٤٣٤ قبل الهجرة، فأخصب أيامه الشعرية كانت وهو في سن الأربعين، أى حوالي سنة ٢٩٤ أى أواخر القرن الرابع قبل الهجرة. لكن الأثرين الأدبيين اللذين تركهما، وسجلناهما هنا، ليسا من آثاره الأدبية في تلك السن (وأقدمها عهدا هو الأثر الشعري)، فهو فيه ييوح مرغما بما يقاسيه من فزق ابنه حزيمة وقصر نظره، وإثارة الفتن بين قومه وجيرانهم وما يجره عليهم من السكوارث، وهو بهذه الآيات الثلاثة التي سجلها له البكري، يدلنا على أنه بما استفاد من كثرة تجاربه، لا ينظر إلى طيش ابنه إلا نظرة الرجل المشفق الحذر، لما يتوقعه من نتائج كحر النار بين جنبيه، فهو لا بد أن يكون في نحو السبعين من عمره على الأقل أى في نحو سنة ٣٦٤ قبل الهجرة. (٢٦٩ م)

الأثر الثرى

(أما الأثر الثرى) وهو وصاته لبنيه، فقد قالها لهم قبيل وفاته، أى حوالي ٣٦٤ قبل الهجرة ولا عجب أن يكون (نهد) في الأثر الأول مشفقا حذرا، وفي هذه الوصاة صريحا متشائما من الناس بل جريئا عليهم. فهو أولا كان في موقف المتهم، بعد أن لوث ابنه يديه بدم قتيلين أخوين فهذه الزفات التي صعدرها في صورة شعر، إنما هي الحكمة بعينها، وأكبر ظنى أنها حققت ما كان يهدف إليه بها، من إطفاء نيران الثارات لدى أولياء القتيلين.

(أما الأثر الثانى) فلم يكن في موقف المتهم كما كان أولا، وفضلا عن هذا فهي وصاة الوداع، والدستور الذى يجب أن يسير عليه بنوه بين ذؤبان القبائل، ووحوش العرب، في تلك الأيام التي لم يكن لهم فيها حاكم زاجر، أو عقل رادع، أو حكمة تصد الأقوياء عن الضعفاء،

لم يبعد (نهد) بهذه الوصاة عن جادة الصواب كثيرا ، فالعرب من قديم يقولون : « إن الحديد بالحديد يفلح » ، وبعض المصلحين في القرن العشرين ما برحوا يقولون : « لا يمنع الحرب كالأستعداد للحرب » .

(دلالة الأثرين) وأجدى من كل ما تقدم ، أن هذين الأثرين قيدا في القرن الرابع قبل الهجرة ، وأول ملوك قريش وهو قصي كان في القرن الثاني قبلها ، فهما أقدم من المملكة القريشية بنحو قرنين من الزمان ، كما أنهما ليسا من لهجة قريش ، إذن هما من لهجة غير لهجتهم ، مع أنهما بنفس اللفاظ والأساليب والوضوح ، وكلها نراها في القرآن وأشعار المعلقات مثلا .

فليس بصحيح ما زعمه كثير من المثقفين قديما ، وجاراهم فيه مثقفونا في هذه الأيام ، من أن القرآن نزل بلهجة قريش ، وأن قريشا كانت لها لهجة تغاير اللهجة العربية العامة !!

(٢) الشاعر القيسي أعصر بن سعد بن قيس عيلان

ميلاده سنة ٥٦٠ ق هـ (٧٩ م)

من الشعراء القدامى الذين سجلهم ابن سلام الجمحي ، (١) شاعر قيس :
أعصر بن سعد بن قيس عيلان ولإثبات أقدميته ومبلغ تقدمها في الجاهلية اتبعت ما يأتي :

١ - (أ) عدت الأجيال منه إلى عدنان فوجدتها أجيال

(ب) ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان في « قبيلة قيس »

٢٠ جيل

(فالفرق الأول) بين هذين العددين ١٣ جيل

(٢) ثم اخترت خمسة من دليل العشيرة هم :

مرثد بن مرثد وأجياله ٢١ جيلا) و (الصدى بن عجلان وأجياله ١٨ جيلا) و (عتيبة بن وهب وأجياله ١٩ جيلا) و (سمرة بن جندب وأجياله ٢٤ جيلا) و (وعينة بن حصن وأجياله ٢١ جيلا) وهو الذي سماه النبي ﷺ « الأحمق المطاع »

و بمجموع أجيالهم هذه ١٠٠ جيل ، ومتوسطها $100 \div 5 = 20$ جيلا

(٣) وتقدم أن منه إلى عدنان ٧ أجيال

(فالفرق الثاني) بين أجياله إلى عدنان ، وأجيال خمسة من عشيرته

١٣ جيلا .

وبمجموع الفرقين ٢٦ ، ومتوسطهما ١٣ جيلا ، مدتها $13 \times 40 = 520$ سنة ،
فنتيجة هذه الموازنات أن « أعصر » عندما كان في سن الأربعين ، كان
ذلك في سنة ٥٢٠ قبل الهجرة ، وهذه توازي سنة ١١٧ م .

شعره :

لم يصل إلينا من شعره غير ما رواه لنا « ابن سلام » في بيتين هما :
قالت عميرة : مال رأسك بعدما نفد الزمان أنى بلون منكرا !
أعمير إن أباك شيب رأسه كـر الليالى واختلاف الأعصر
وهذا الشعر لا يمكن أن يكون في السن التى حددتها له آنفا ، إذ هذا
التحديد كان وهو ابن أربعين سنة ، فى عنقوان شبابه ؛ والشعر يدل معناه على
أنه قيل فى مغرب عمره بعد أن علاه المشيب ، لكـر الليالى واختلاف الأعصر
وذهاب الشباب .

فلو أنه قال هذين البيتين وهو فى سن الستين لوافق ذلك سنة ٤٩٩ ، أى آخر
القرن الخامس قبل الهجرة (١٢٨ م) .

ولو وازنا هذا الأثر الأدبى بالأثار الأدبية فى عهد قريش ، أو العهد
الأموى ، أو الإسلامى ، لكان الجميع من نبعة واحدة ، ولحكمتنا أنه من بحر الكامل
أحد بحور الشعر المتداولة ، وأنه لا تنافر بينه وبين الشعر العربى ، على اختلاف

العصور ، مع أنه قيل قبل الهجرة بهذه المدة المديدة ، وقبل اللهجة القريشية بأكثر من ثلاثة قرون .

فلا مَعْدَى لنا أن نعتبر هذا الأثر من اللغة الأدبية للعرب ، أو اللغة العامة لأدبائهم ، وفي هذا دليل آخر ، على أن في نسبة هذه اللهجة إلى قریش ، ونفيها عما عداها ، نوعاً من المبالغة على أقل تقدير .

(٣) شاعر المزارعة في القرن الثاني قبل الهجرة

ولد قبل الهجرة بنحو ١٢٠ سنة (٥٠٦ م)

هو المستوغر: عم - بن ربيعة بن (كعب - وهو مزروع الأكبر -) ابن سعد بن زيد مناة بن تميم .

١ - وليبان أقدميته نذكر أن منه إلى عدنان ١٤ جيلاً ، فمنه إلى عصر النبوة ٦,٢٥ أجيال .

لأن متوسط أجيال النسب بن تميم ، من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٢٥ جيلاً
٢ - وبالإطلاع على (دليل العشيرة) نجد من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٢٥ جيلاً .

إذن بينه وبين الهجرة ٦,٢٥ أجيال ، مدتها $٦,٢٥ \times ٤٠ = ٢٥٠$ سنة
أي إنه عندما كان ابن ٤٠ سنة كان بينه وبين الإسلام ٢٥٠ سنة
هل هو من المعمرين ؟ يرى المؤلفون في الأدب كالمزباني^(١) إنه كان منهم ، وإنه عاش ٣٣٠ سنة !

ولأن المبالغة واضحة في هذا العمر رغبت في رأي السجستاني^(٢) فأخبرني أنه عاش ٣٣٣ سنة ! فتركتهما إلى ابن قتيبة^(٣) فرأيتَه يقول : إنه عاش ٣٢٠ سنة وأنه قديم من المعمرين .

فاكتفيت في أمر السن بهؤلاء ، لأنني خشيت أن أستزيدهم إيضاحاً
فيزيدوه عمراً ! وقياساً على ماضى من الأعمار التي بولغ في بعضها ، سأعتبر
أن بعض آبائهم كانوا من المعمرين مثله ، وأن أباه رزقه في مغرب حياته ،
وأن جده كذلك ، فيسقط نحو جيلين من الأجيال التي بعده إلى الإسلام ،
فيكون الباقي منها $3 \times 40 = 120$ سنة ، يضم إليها مئـة دار سنه وهو
في الأربعين ، فيكون العددان $120 + 40 = 160$ سنة يذنه وبين الإسلام ،
وبناء على هذا نجده أدرك عصر النبوة . بل عصر معاوية أي بعد الأربعين
من الهجرة (١) ، فهل في أخباره ما يدل على ذلك ؟

نعم روى ابن السكبي في كتاب الأصنام ، ونقله عنه البغدادى (٢) عند
الكلام على (رضا) :

« وقد كانت العرب تسمى بأسماء يعبدونها ، لا أدري أعبدوها للأصنام
أم لا ، منها عبد رضاء ، كان يبتا لبني ربيعة بن (كعب وهو مزروع الأكبر)
ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهدمه المستوغر في الإسلام وقال :
ولقد شددت على (رضا) شدة فتركها تلا تنازع أسحا

نعم ، به كثر مشهوراً عند العرب

والذى يؤكد أنه كان يتمتع بصحة جيدة ، فساعدته هذا على أن يطول
عمره ، ويشتهر بين الناس ، ما قصه علينا ابن قتيبة ، أنه مر بسوق عكاظ يقود
ابن ابنه خرفاً ، فقال له رجل :

يا عبد الله ، أحسن إليه فطالما أحسن إليك ! فسأله المستوغر : أو
تعرفه ؟ قال : هو أبوك أو جدك ، قال : هو والله ابن ابني !! قال الرجل :
ما رأيت كاليوم قط ! ولا المستوغر ! قال : فأنا المستوغر !

فإذا كان المستوغر يحمل حفيده الهرم تارة، ويقوده تارة أخرى ، فلا غرابة أن يبلغ من العمر ١٦٠ سنة أو أكثر .

سُعره : في المراجع السابقة ثلاثة أبيات، يحدد فيها عمره بأكثر من ٣٠٠ سنة ، مما يدل على أنها اعتمدت على شعره في تحديد عمره ! وليس من الدقة اتخاذ الشعر قضية مسلمة في تحديد الأعمار ، لأن الشعر لم يخلق لهذا أما الأشعار فهي :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة أت من بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سئينا
ويظهر أنهم كذلك اعتمدوا على قوله وقد ضجر من طول عمره، وإصابته بالصمم ، وملا عيته حقدته :

إذا ما المرء صمم فلم ينجح وأودى سمعه إلا ندابا
ولاعب بالعشى بنى بنيه كفعل الهر يحترش العظايا
فذاك الهم ليس له دواء سوى الموت المنطق بالمنايا (١)
وروى (ابن عبد ربّه) (٢)

أن المستوغر دخل على (معاوية) في خلافته وهو ابن ٣٠٠ سنة فسأله :
كيف تجدك يا مستوغر ؟ فقال :

أجدني يا أمير المؤمنين قد لان مني ما كنت أحب أن يشتد !
واشتد مني ما كنت أحب أن يلين !
وابيض مني ما كنت أحب أن يسود !
واسود مني ما كنت أحب أن يبيض ! ثم أنشأ :

سئني أنبئك بآيات الكبر نوم العشاء ، وسعال بالسحر !

وقلة النوم إذا الليل اعتـسكر
وسرعة الطرق وتحميج النظر
وقلة الطعم^(١) إذا الزاد حضر!
والناس يبلون كما يبلى الشجر

أما أنا فأشك في هذه الرواية التي تجعل المستوغر قد عاش إلى أيام ابن أبي
سفيان ، ويؤكد شكى أن هذا الحديث ورد في (عيون الأخبار^(٢)) منسوباً إلى
(العريان بن الهيثم) أمام عبد الملك بن مروان .
وعلى كل فأننا لا أتمسك بهذه الآثار الأدبية للمستوغر ، لأنه عاش
ما عاش من العمر في دولة القرشيين ، وقد يعترض بأن هذه اللهجة صورة
من صور اللهجة القرشية ، المزعومة ،

(٤) الأمير الشاعر زهير بن جناب الكلبي

ميلاده (٢٩٦ ق هـ) (٤٢٢ م) من شعراء القصائد

إذا كانت دولة الشعر نعمت طويلاً بالملك الشاعر : جزيمة الوضاح ، في
القرن الرابع قبل الهجرة ، فقد تألق نجمها ، وازدهرت رياضها مرة أخرى ،
بالأمير الشاعر . زهير بن جناب الكلبي في أغلب القرن الثاني قبل الهجرة ،
ومنتصف القرن الثالث قبله .

ومن عجب أنهما من أورمه قحطانية ، كأنهما لم يقنعا بأبهة الملك ،
وجاه المنصب ، فأثرا أن يغزوا العدنانيين في ميدان الأدب العدناني ، بعد
أن زحموهم في ميادين العروش وظلال التيجان ، مع أنهما من الدخلاء على
العدنانيين ، وليبيان أن زهيراً كان حقاً من قدماء الشعراء في دولة الأدب
طبقت نظريتي بالأسلوب الآتي :

(١) في بعض الروايات الزاد (٢) التجميع : تضييق العين لتمكن من النظر

(٣) عيون الأخبار ٢ : ٣٢١

مركز الدائرة التي سأختار الجولان فيها هو « بكر بن عوف » في شجرة بني كلب ، وجعلته مركز الدائرة ؛ لأنه الجد الذي يلتقي عنده الحفدة الأربعة : « زهير بن حناب » و « دحية الكلبي » و « ميسون بنت بحدل » زوج معاوية و « أسامة بن زيد » .

ولكن زهيراً نجهل حفدته إلى عصر النبوة ؛ في الوقت الذي نجد الثلاثة الذين اخترتهم بعده وكانوا يعاصرون النبي ﷺ ؛ فأجياهم معروفة منهم إلى مركز الدائرة : « بكر بن عوف » .

١ - فن « دحية » إلى « بكر » والغاية داخله - ١٢ جيلا

٢ - ومن « ميسون » إليه ، ١٢ ،

٣ - ومن « أسامة » ، ١٢ ،

فأجياهم متساوية ؛ ولكن من « زهير » إلى « بكر » هذا - والغاية داخله - ٦ أجيال .

فيجب إسقاطها من « دليل العشيرة » وهي ١٢ فيكون الباقي من زهير إلى عصر النبوة ٦ أجيال ، مدتها $6 \times 40 = 240$ سنة قرية أى أن « زهيراً » في سن الأربعين كان في سنة ٢٤٠ قبل الهجرة (٣٩٠ م) .

فلو أنه عاش ١٥٠ سنة التي رآها الأصفهاني لكانت وفاته سنة ٥٠٠ م ولكن لا نفسي أن جده هبل كان من المعمرين أيضا ، فلو لم يعيش إلا ١١٢ سنة ، لكان من الواجب أن يزيد على متوسط العمر العادي له ٧٢ سنة وأن نفترض أن ابنه جنابا أباه زهير رزقه في أواخر عمره ، وبذا تتأخر وفاة زهير من ٥٠٠ سنة إلى حوالي ٥٧١ م (٥٠١ ق هـ) ويصير ميلاده حوالي ٤٢٢ م (٢٠٢ ق هـ) ويكون عمره عند احتلال الأحباش اليمن (سنة ٥٢٥ م) نحو ١٠٣ سنوات .

وقد اختارته اليمن أميرا على بكر وتغلب قبل ذلك التاريخ بضع سنوات

عند ما شعر ملوك حمير بظروفهم السيئة في الداخل والخارج ، أرادوا أن يتخذوه ردماً لهم ، اذا ما اكفهر وجهه الحادثات ، ولكن موجتها كانت أقوى من أن تعترضها السدود بعد أن بلغ الحزام الطيبين :

وبعد أن اشتد نصارى نجران في نشر النصرانية ، فاشند (ذو نواس آخر ملوك حمير) قبل احتلال الحبشة في تحريفهم بالأخدود : النار ذات الوقود ، فضج النصارى بالشكوى ، فانقضت الحبشة المتربصة على الين الغافلة ، فاندك صرح استنقلالها ، واذا أردنا أن نملك قرية أمرنا بترفيها (ففسقوا فيها) ، فحق عليهم القول ، فدمرناها تدميراً .

سهر الالب لوبس سنجو

فليس بصحيح أن زهيرا توفى سنة ٥٦٠ م^(١) لما روى ابن قتيبة^(٢) أنه لما قدمت الحبشة تريد هدم السكبة ، بعثهم ملىكهم الى أرض العراق ، ليدعو من هناك الى طاعته ، ومعلوم أن قدوم الحبشة لهدم السكبة كان سنة ٥٧١ م وهي السنة التي ولد فيها سيدنا رسول الله ﷺ أى بعد موت زهير على رأى صاحب شعراء النصرانية بنحو عشر سنوات ، فكيف يوفد بعد موته !! الله وحده هو المنزه عن السهو .

آثاره الادبية وصرفته

حسب زهير دليلاً على مكانته في الجاهلية أن تتنازعه طوائفها ، ليكون كوكب سماءها في ميادين فخارها ، (قال شعراء) يعدونه منهم بل زعيمهم ، (والابطل) من قضاة كلها ، بل من قحطان جميعها يحرصون على أن يكون قائدهم وصاحب مرباعهم (وملوك الين وأقباؤها) لا يجدون من بين أمرائهم من يصاح أن يكون مليكاً لبكر وتغلب ، أكبر قبائل ربيعة غيره ،

(١) شعر النصرانية ج ١ ص ٢٠٥ .

(٢) الشعر والشعراء ص ١٤٢ .

(والأطباء) على مكانتهم في الجاهلية لندرتهم يقفرون أن يكون منهم ،
و(السكان) ...

فصل العشر

ولذا قالوا : كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه :
كان سيد قومه ، وشريفهم ، وخطيبهم ، وشاعرهم ، وأوفدهم إلى
الملوك وطبيبهم .
- والطب في ذلك الزمان شرف - وحازى قومه وفارس قبيلته ،
وله البيت فيهم والعدد منهم .

آثاره الأدبية

كثير من شعره وبعض من نثره منشور في كتب الأدب والتاريخ القديم
شعره : يغلب على شعره الوقار والترفع شأن الملوك والأمراء ، والقصد
في التعبير شأن النبلاء ، وانتقاء الألفاظ الشريفة والمعاني الواضحة شأن
الزعماء ، أما فرائسته وصادق نصائحه فحسب أنه كان يلقب بالسكان لبعده
نظره ، وصادق فرائسته ، ويمتاز شعره الحربي بالجزالة .

١ - ولعل أطول قصائده هي التي سجلها له السجستان في النصيحة ،
ومطلعها :

أبني إن أهلك فقد أورثتكم مجدا بنية
وتركتكم أولاد سا دات زنادكم وريه

وهي في ١٥ بيتا : فهو من شعراء القصائد ، وقد قالها بعد أن فارق المائة
فهو من المعمرين ولذا يقول في آخرها :

فالوت خير للفني فليهلكن وبه بقية

٢ - (طول عمره) ويظهر أن عمره طال إلى درجة كره معها الحياة ،
وأكثر من تمنى الموت في كثير من أشعاره ، وما روي له قوله :

ليت شعري والدهر ذو حدثان أي حين منيتي تلتقاني . . .

٣ - ورووا أنه قال وقد أتت عليه مائتا سنة :

لقد عمرت حتى ما أبالي أحتفي في صباحي أو مساءي
وَحَقَّ لِمَنْ أَتَتْ مِائَتَانِ عَامَا عَلَيْهِ أَنْ يَمِلَ مِنَ الشَّوَاءِ

وعلى البيت الثاني اعتمد من يقولون إنه عاش ٢٠٠ سنة ، فما حجة من
جعلوا عمره ٣٠٠ سنة؟ والقائلين ببلوغه ٣٥٠ سنة ، !! بل ٤٠٠ سنة !! بل
٤٢٠ سنة !! أما رأى نظريتي فسيأتي .

٤ - ولما تنمرت بكر وتغلب ، وثاروا ضد أميرهم زهير ، اجتمعوا
بقيادة (ربيعة بن الحارث بن مرة ابن كليب) فالتقوا بمذحج ، وعليهم
زهير في « السلان » بأرض تهامة ، مما يلي اليمن ، انتصر عليهم أولا فقال :

أين أين الفرار من حذر الموت إذ يتقون بالأسـلاب
إذ أسرفنا مهلهلا ، ود أخاه ، ود ابن عمرو ، في القيد ود ابن شهاب ،
وسيدنا من تغلب كل بيضا كنوز الضحى ، برود الرضاب
وهي عشرة أبيات رواها ابن الأثير .

ولزهير نصائح نثرية رائعة لاداعي إليها ؛ إذ لا جدوى منها لأنها قيلت
في العهد القرشي

٥ - وما يذكر فوق ما تقدم ، للدلالة على أن من شعر الجاهليين ما فيه رقة ،
وعليه طلاوة ، وله من الروعة والوضوح ما يبرز كثيرا من الشعر الإسلامي
والعباسي ، قوله وقد مر بداز من أحب :

وذى دار سلمى قد عرفت رسومها فعبجت (١) إليها والدموع تترقق
وكادت تبين القول لما سألتها وتخبرنى ! لو كانت الدار تنطق !
فيا دار سلمى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض أو يترقق !

ذو الرمة بسطو على شعره

وقد راع هذا المعنى ، ذا الرمة ، فجعله مطلع قصيدة طويلة أبياتها
٥٧ بيتا أولها :

(أ) أدارا بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض أو يترقق ! (٢)
(ب) وقفنا فسلمنا وكادت بمسرف لعرفان صوتى دمنة الدار تنطق !

نموذج من شعره

ولزهير بن جناب نثر ، لو نسب إلى أبلغ أدباء العصر العباسى ما أنكره
منكر ، بما يدل على مبالغة من يزعمون أن العصر الجاهلى كان عاطلا من مثل
تلك الآثار الأدبية السلسلة المنطقية ، من ذلك أنه جمع بنيه فى أواخر عمره
للنصيحة فقال لهم :

« يا بني . إنى قد كبرت سننى ، وبلغت حرماً (٣) من دهرى ؛ فاحكمتنى
التجارب - والأمور تجربة واختبار - فاحفظوا عنى ما أقول ، وعوه :
أيامكم والخوَر (٤) عند المصائب ، والتواكل (٥) عند النوائب ، فإن ذلك
داعية للغم ، وشماتة للعدو ، وسوء ظن بالرب ، وإياكم أن تسكنوا بالأحداث
مغترين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين ؛ فإنه ما سخر قوم قط إلا ابتلوا ،

(١) عبجت رجعت

(٢) المراد بماء الهوى دموع الحب ، وارقضاض الدموع ترشها (حزوى) كقصوى

موضع ومثله « مسرف » فى بيت ذى الرمة

(٣) قال الزبيدى : الحرس بالفتح الدم ، والمراد شطرا كبيرا من دهرى

(٤) الخور : الجبن والضعف

(٥) والتواكل : أن يكل الفرد أو الجماعة أمورهم إلى غيرهم وهو من الامراض الاجتماعية

وأما دليل السجلات الملكية فيدل على أن هذا الملك العربي ، توفي سنة ٢٦٨ م ٥٠٥ ق ٣٦ هـ ،

صورت بين الدليلين :

برهنت بدليل النسب على أن قدم جذيمة يرجع إلى سنة ٣٦٠ قبل الهجرة .
وهذه بالسنين الشمسية توافق سنة ٣٥٥ سنة شمسية قبل الهجرة و (٢٦٧ م ،
فالفرق بين الدليلين بالسنين الشمسية سنة على أكثر تقدير ، أو شهر في الحقيقة .
وبذا أجمع الدليلان على أن هذا الملك الشاعر ، الخالد لشعره أولاً ، وملكه
ثانياً ، كان يملأ القرن الثالث الميلادي ، والقرن الرابع قبل الهجرة روعة
وأبهة ، وبهذا نكون قد انتهينا من الإجابة عن السؤال الأول .

آثاره الشعرية :

أما ماذا وصل إلينا من شعره ؟ « وهو السؤال الثاني ، فهذا جوابه :
روى المسعودي وغيره (١) أنه قال يوماً لندمائه : لقد ذكر لي غلام
من إباد ، له ظرف وأدب ، فلو بعثت إليه فوليته كائى ، والقيام على رأسى
لكان الرأى ، قالوا : الرأى مارأى الملك ، فلما حضر بين يديه ولاد مجلسه ،
فعشقه « رقاش » أخت جذيمة ، فأشارت عليه إذا سقى الحاشية أن يمزج
لهم . ويحملها صرفاً للملك ، فإذا أخذت منه الخمر فاخطبني منه ، فإنه يزوجك ،
فإن فعل فأشهد القوم ، فلما تم لهما ما يريدان ، وأصبح الإيادى متضامنا
بالطيب علم حيلتهما ، فأحس زوجها الإيادى بالخطر ، فأسرع بالحرب ،
وطلبه جذيمة فلم يجده ، فكتبت إلى أخته « رقاش » من بحر الخفيف :

حدثني رقاش لا تكذبيني أبحر زينت أم بهجين !

أم بعبد فأنت أهل لعبد أم بدون فأنت أهل لدون !

(١) مروح الذهب ج ١ ص ٢٨٨ وبلوغ الأرب ج ٢ ص ١٧٨ ، والاعاني ج ١٤ : ٦٢

وسرح العيون ص ٤٨ .

فأجابته رقاش من نفس البحر :

أنت زوجتى وما كنت أدرى وأتأتى النساء للترزين !

ذاك من شربك المدامة صرفا وتماذك في الصببا والمجون !

فنقلها إليه جذيمة وحصنها في قصره؛ فولدت بعد مدة غلاما فسمته «عمرا».

وما زالت أرصاد جذيمة حتى قبضت على عدى بن نصر الذى زوج برقاش

في سكرة الملك ، فلم يكن جزاءه إلا القتل ! .

(٢) وروى له ابن سلام قوله :

ربما أوفيت في علم ترفعن عني شمالات

(٣) وسجل له ابن نباته في مختاراته أن له أشعارا حسنة منها :

أضحى جذيمة في (بيرين) منزله قد حاز ما جمعت من قبلها عاد

مستعمل الخير ، لا تفنى زيادته في كل يوم وأهل الخير تزداد

وأما السؤال الثالث وهو : هل تلك الآثار التى تنسب إليه ، مما اعتمدها

نقده الأدب ؟ فجوابه أن هؤلاء النقدة لم يعترضوا على نسبة تلك الآثار التى

ذكرتها ، وفى هذا موافقة منهم ، بل إن من آثاره ما استشهد به علماء النحو

أو علماء العروض .

كقوله السابق :

ربما أوفيت في علم ترفعن عني شمالات

وأما كيف استدلنا بهذه الآثار على نفي اللهجة التى نسبت لقريش ، زلنى

إلى خلفائها فأمره سهل ، إذ أن هذه الآثار ، ثبت أنها قبل المملكة القرشية

بنحو قرنين من الزمان ، وثبت أنها لجذيمة بإجماع الرواة ، وثبت من قبل أن

العصر الرابع قبل الهجرة كان العرب عامة ، والأدباء خاصة ، يتحدثون

(١) شرح الميوس في رسالة ابن زيدون ص ٥١

(٢) الأغاني ٤ : ٧٤

ويتفاهمون ويتفاخرون ويوصون ، ويشيرون الحمية بهذه اللمحة نفسها فكيف
نفى عنه ما ثبت لأمثاله ؟ إن في ذلك رجحاً بلا مرجح وهو ليس من شيم
الإنصاف ، ولا من الأدلة المنطقية التي هي أساس كل بحث أدبي

كان جذيمة من أفضل الملوك رأياً ، وأبعدهم مفاراً ، وأشدهم نكايَةً ،
وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق . وكانت منازلهم بين الأنبار
وبقة وهيت وعين التمر وأطراف البر والقطقطانة والحيرة فقصد في جموعه
(عمرو بن الطرب بن حسان بن أذينة بن السמידع بن هوبر) العامل من عاملة
العمالق ، فجمع عمرو جموعه ولقيه فقتله (جذيمة) وفض جموعه ، فملكوا
عليهم (ابنته الزباء) وكانت من أحزم الناس ، خافت أن تغزوها ملوك العرب
- وغيرهم - فتخذت لنفسها نفقاً في حصن كان لها على شاطئ الفرات ، وبنت
أرجاء من الأجر والسكس ، متصلاً بذلك النفق ، وجعلت نفقاً آخر في
البرية ، متصلاً بمدينة لأختها ، ثم أجرت الماء عليه ، فكانت إذا خافت عدوا
تحصنت فيه .

(٦) الشاعر لجيم بن صعيب

ميلاده سنة ٣٦٠ ق هـ (٢٧٣ م)

لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل من قدامى الشعراء حقاً ، وعلى وجه
الدقة من شعراء القرن الرابع قبل الهجرة ، فهو من أقدم شعراء ربيعة أخت مضر .

١ - (أ) لأن منه إلى عدنان جدها الأكبر ١٥ جيلاً (١)

(ب) ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان في ربيعة ٢٥ جيلاً

د فالفرق الأول ، بين هذين العددين ١٠ أجيال

وهذه نتيجة دلائل النسب ،

(١) لأنه لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي

ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

٢ - أما « دليل العشيرة » فقد أرسيت قواعده على خمسة من حفدته ، منهم أربعة من الصحابة وهم :

« خدّاش الراوية » ، و « الأغلب الراجز » ، و « ثمامة بن أثال » ، و « طلق ابن علي » ، ثم « مسيلمة الكذاب » ،

(١) و « مجموع أجيال هؤلاء الخمسة إلى عدنان ١١٥ جيلا ، ومتوسطها لكل ٢٣ جيلا .

(ب) وقد سبق أن من « لجيم » إلى عدنان ١٥ جيلا

« فالفرق الثاني » بين هذين العددين ٨ أجيال .

و « مجموع الفرقين ٨ + ١٠ = ١٨ جيلا ، ومتوسطها ٩ أجيال

و متوسط عمر الجيل في قبيلة ربيعة ٣٦ سنة ، فمدة الأجيال التسعة

$9 \times 36 = 324$ سنة فكان « لجيم » عندما كان في سن ٣٦ سنة كان ذلك

قبل الهجرة بنحو ٣٢٤ سنة (٣٠٨) فهو « بدليل النسب » و « دليل العشيرة »

من رجال القرن الرابع قبل الهجرة .

مقدمة من الخالدين :

فليس عجبا أن يكون من حفدته أعلام دوت شهرتهم وقتنا ما ، في سما .

الجزيرة العربية ، مثل الصحابة الأربعة السابقين في دليل العشيرة ، أو قواد

عظام مثل « ثعلبة بن حنظلة » صاحب القبة يوم ذي قار (١) ، و « السفند

الزيماني » قائد كتبية بني حنيفة التي أرسلت لنجدة بكر على تغلب ، في حرب

البسوس (٢) . أو أباء يغسلون العار بالدم مثل « عمرو بن عبد الله » قاتل

المنذر بن ماء السماء (سنة ٥٨٥ م) ، وزعماء مثل « نافع بن الأزرق »

مؤسس الأزارقة .

وليس غريبا أن يكون من نسله شعراء مثل « أبي النجم العجلي » ،

(١) جهرة أنساب العرب لابن حزم الاندلسي ص ٢٩٢

(٢) ديوان الحماسة ١٣ ص ٢٠٨ ، ٥

و «الأغلب» ، الراجز بن عمرو بن عبيدة و «والعباس بن الأحنف» ، و
«طفيل ابن علي» ، و «الفند الزماني» ، (١)

شعره :

ا - لم يذكر له السيوطي (٢) إلا قوله :

من كل ما نال الفنى قد نلته إلى التحية

ب - وروى له أبو عبيدة ، البيت المشهور :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

وحذام هي امرأته وينسب في بعض الروايات إلى «ديسم بن طارق» ،
ونقله السيوطي في المزهرة منسوباً إلى زهير بن جناب الكلبي ، كما أن البيت
الأول : من كل ما نال الفنى ... نسبة ابن قتيبة (٣) لزهير بن جناب في ترجمته
مع يثين سابقين له

والرواة معذورون إذا اشتد بينهم الخلاف ، ويشفع لهم هذا
قدم العهد .

دلالة شعره

وسواء أصبح للجيم هذا الشعر أم صبح غيره ، فإن مما لا شك فيه ، أنه كان له
شعر بهذه اللهجة العربية التي نفهمها الآن ، وقد أصبح من المؤكد أن كل
الشعر المنسوب إليه وإلى غيره من معاصريه ، كان قبل المملكة القرشية ، فهو
حتماً ليس من آثار اللهجة التي زعمها بعض الرواة لقريش ، وأنه من
قدامى الشعراء .

(١) جهرة بن حزم ٢٩٢

(٢) المزهرة ج ٢ ص ٢٩٥

(٣) الشعر والشعراء ص ١٤٢

(٧) الشاعر التميمي : العنبر بن عمرو بن تميم

ميلاده حوال ٣٩٨ ق هـ (٢٢٦ م) ،

هذا الشاعر قديم العهد ، ولإثبات أقدميته اتبعت الخطوات الآتية :

١ - (أ) منه إلى عدنان ١١ جيلا

(ب) ومتوسط الأجيال في تميم من عصر الغبوة إلى عدنان ١٩,٢٥ جيلا

فالفرق الأول بين العددين ٨,٢٥ أجيال

مدتها $٨,٢٥ \times ٤٦ = ٣٧٩,٥$ سنة

٢ - واخترت ستة من الصحابة من عشيرته القريش وهم :

ورد بن مخزوم ، وربيع بن ربيع ، ورفيع بن سمرة ، ومالك بن

الحشاش ، وعبيد بن الحشاش ، والحسين بن الحر

(أ) فوجدت جملة أجيالهم إلى عدنان ١١٠ من الأجيال ، ومتوسطها

١٨,٣ جيلا .

(ب) وقد تقدم أن من العنبر إلى عدنان ١١ جيلا

فالفرق الثاني بين أجياله المباشرة وأجيال حفدته من الصحابة

٧,٣ أجيال

مدتها $٧,٣ \times ٤٦ = ٣٦٣$ سنة .

٣ - وبمجموع الفرقين $٣٧٩,٥ + ٣٦٦ = ٧٤٥,٥$ ومتوسط الفرقين

$\frac{٧٤٥,٥}{٢} = ٣٥٨$ سنة قبل الهجرة ، أي إن العنبر كان في سن الأربعين في نحو

٣٥٨ ق هـ [٢٧٥ م]

(وفاته) فلو أنه عاش ٦٠ سنة فقط لكانت وفاته بعد التاريخ السابق

بنحو عشرين سنة أي ٣٢٨ ق هـ [٣٠١ م]

(مبرره) وكان ميلاده حوال ٣٩٨ ق هـ [٢٣٦ م]

دليل السموات المسكينة : (٧)

وقد تقدم في شعر اقيط الإيادى أن العاهل الفارسى ، ذا الأكتاف ، زحف على تميم في البحرين بعد أن بلغ من العمر ١٦ سنة ، وأن هذا كان سنة ٣٢٥ م (٣٠٦ قه)

وبما قرره المسعودى (١) عن الزحف أن « سابور ذا الأكتاف ، بعد زحفه ، أمعن في قتل بنى تميم ففروا ، وشيخهم يومئذ عمرو بن تميم ، وله ثلثائة سنة ، فأرادوا حمله معهم ، فأبى إلا أن يتركوه وقال : « أنا هالك اليوم أو غدا !! وماذا بقى لى من فسحة العمر !! ولعل الله ينجيكم من صولة هذا الملك المسلط على العرب ، نخلوا عنه ، فصبحت خيل سابور الديار ، فنظروا إلى أهلها وقد ارتحلوا ، وسمع عمرو صهيل الخيل ، ووقع أقدامها ، وهمهمة الرجال ، فأقبل يصيح بصوت ضعيف ، فأخذوه وجاءوا به إلى سابور ، فقال له :

من أنت أيها الشيخ الفانى ؟ قال « أنا عمرو بن تميم ، وقد بلغت من العمر مائتى ! وقد هرب الناس منك لإسرافك في القتل ، وشدة عقوبتك إياهم ! وآثرت الفناء على يدك لتبقى من مضى قومى ! ، ولعل الله ملك السموات والأرض يجرى على يدك فرجهم ! ويصرفك عما أنت بسبيله من قتلهم ، فنادى سابور بالأمان ، ورفع السيف ، وقال : ٦٧ × ٣٣ = ٢٢١١
ويقال إن (عمرا) بقى في هذا العالم بعد هذا الوقت ٨٠ سنة ، وقيل أقل .

نتائج :

السنة التى زحف فيها ذو الأكتاف على البحرين وفيها بنو تميم ، وعلى العراق وفيها إياد كانت سنة ٣٢٥ م ، فعمر العنبر بن عمرو كان في هذه السنة ٥٩ سنة ، وعمر أبيه عمرو ٩٩ سنة فليس بصحيح زعم المؤرخين أنه كان عند الزحف ابن ٣٠٠ سنة .

فلو أنه عاش بعده نحو خمسين سنة إمكان عمره إلى حين وفاته نحو ١٥٠ سنة وهو عمر معقول فقولهم أنه عاش بعد الزحف ٨٠ سنة فيه مبالغة ، فوق مبالغتهم في مبلغ عمره .

شعر العنبر

فأى شعر منسوب إلى العنبر بن عمرو بن تميم يكون أكثره قبل الزحف الفارسي أي قبل ٣٢٥ م لأن أكثر مواسم الشعر تكون والشباب غض ، والخيال في أقصى مراميه ، والأحلام لذاذ ، ولم أعثر على شعر للعنبر أقدم مما رواه لنا ابن سلام الجهمي (١) وقد قال في هذا :
 « من قديم الشعر الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم ، وكان مجاورا في بهراء :

قد رابني من دلوى اضطرابها والنأي في بهراء واغترابها
 إن لاتبجى ملائى بجى قرابها

وقبيلة بهراء التي ارتحل إليها كانت في الحجاز (٢) وكان أبوه عمرو وقومه بنو تميم يخيمون في البحرين (٣) وذلك قبل زحف الفرس .
 فإذا كنت قد أثبت أن شعر « لقيط الإيادي » عندما حذر قومه الإياديين كسرى وما جمع ، كانت سنة ٣٢٥ م (٢٠٦ ق هـ) فإني أثبت هنا أن الأشرار الثلاثة التي تقدمت للعنبر كانت قبل شعر لقيط بأكثر من ٢٥ سنة على الأقل ، أي في أواخر القرن الثالث الميلادي (وأواخر القرن الرابع قبل الهجرة) .

فهذا الشعر مع توغله في الجاهلية ، غير منكور اللفظ ، أو المعنى ، أو الأسلوب ، مع سبقه أول ملوك قريش - وهو قصي - بنحو قرنين ، فكيف يدعى مدح أنه من لهجتها ، وكيف يجرؤ غيره على إنكاره بعد هذا ، وبعد أن قرر ابن سلام أنه من قديم الشعر الصحيح ! وحسبك بابن سلام ثقة حتى عند الدكتور طه

(١) طبقات الشعراء ص ١٨ (٢) معجم ما استعجم ج ١ ص ٥١

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ١٤٩

ابن خذام

ميلاده حوالى ٢٠٠ ق هـ (٤٢٨ م)

تعجب الأدباء كثيرا للعثور على ابن خذام ، الذى أشار إليه امرؤ القيس فى قوله :

عوجا على الطلل المحيل ^(١) لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن خذام .

ولعل مما حير الباحثين من أمره ، كثرة ما أطلق عليه من أسماء :

فعند الزبيدى أنه امرؤ القيس بن الحمام .

وعند صاحب القاموس المحيط ابن خذام ككتاب ، وبالذال المهملة .

وعند الآمدى ابن خذام ، بمعجمتين .

وعند ابن رشيق فى العمدة ابن خذام ، بذال معجمة وحاء مهملة .

وكأنه أخذ هذا الضبط أى ابن خذام ، عن الجاحظ .

وفى المؤلف والمختلف للآمدى ^(٢) أنه امرؤ القيس بن حمام بن مالك ،

ابن عبيدة بن هبل بن عبد الله بن كنانة .

و « السجستان » ^(٣) يسرد هذا النسب مخدوفا منه و مالك ، لذا جعلتها

بين شولات .

وابن حزم الأندلسى ^(٤) فى جمهرة أنساب العرب يقول : هو امرؤ القيس

بن « الحمد » بن مالك .

وابن قتيبة ^(٥) يقرر أنه امرؤ القيس بن « حارثة » بن الحمام بن معاوية ،

وضبطه بعضهم « ابن حمام » بحاء مهملة مضمومة .

هذا فيما يختص باسمه .

(١) المؤلف والمختلف من ١٠ ، ٩٢ .

(٢) المحيل الذى أتى عليه الحول

(٣) كتاب المعربين ص ٥٦ رقم ٥٠ .

(٤) جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٦ .

(٥) الشعر والشعراء ، ص ٧٦ .

أما ما يختص بنسبه فقد تنازعه القبائل ، ولكن قبائل اليمن ولا سيما
قبيلة كلب تمسكت به ، وصممت على نسبته إليها ، وتحدّره من أصلها ،
وتربّيته بيدها ، فسلم كثير من العرب بقولها ، وأنكروا ما تدعيه (بكر بن وائل)
من هذه النسبة بدليلين :

الأول : أن كتب الأنساب التي سبقت هنا وغيرها أكثر منها ، تتصاعد
بنسبه إلى هبيل بن عبد الله ، فيلتقى بالأمير الشاعر (زهير بن جناب) في
هبل الجد الأول لزهير ، ولا يشك واحد من علماء النسب في أن زهيراً من
بنى كلب القضاعيين القحطانيين .

الرّيل الثاني : على أن (ابن خدام) من أسرة زهير ، أن كتب الآداب
والتاريخ القديم تذكر معاصرتهم ، واشتراكهما ضد كليب ومهلل في ميادين
القتال ، ودفاعهما عن عرب اليمن ضد عرب معد ، وذودهما عن حياض بني
كلب القضاعيين ، ولم يذكروا واحداً منها أنه قاتل في صفوف (بكر)
العدنانيين ، ويزيد النسبة أيضاً قول (العسكري) في كتاب التصحيف : إنه
ابن أخى زهير بن جتاب .

إشارة امرئ القيس إليه

ولم يقتصر الاختلاف على اسمه ، أو نسبه فحسب بل لقد تعدّاهما إلى
الآيات التي هاجت بلابل « امرئ القيس السكندی » ، فبكي فيها الديار كما
بكاهها (امرؤ القيس بن خدام الكلبي) : فأعراب بني كلب إذا سئلوا
عنها أنشدوا خمسة أبيات متصلة من أول (قفا نيك) التي جعلها

امرؤ القيس بن حجر مطلع معلقته ، وهذه هي :

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فؤومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجته من جنوب وشمال (١)
 ترى بعرا الأرام في عرسانها وقيعانها كأنه حب فلفل (٢)
 كأن غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل (٣)
 وقوفا بها صحى على مطيهم يقولون : لآتملك أسى وتحمل

وهؤلاء الأعراب يقولون : بقية المعلقة من شعر امرئ القيس ، وإذا
 صح ذلك يكون اقتباسا لاسرقة : لأن الشعراء يعمدون إلى السرقة فيما قل ،
 ثم يغيرون معالم ما سرقوا غالبا ، واقتباس نصوص الشعر عادة يكون من
 الحاملين أو الضعفاء الصغراء ، وهذه النقط الثلاث لا تنطبق على امرئ القيس ،
 ولا على هذا العدد من شعره ، ولا يقال إنه اقتبسها في فجر حياته الشعرية ؛
 لأن أسلوبها ؛ ودقة التعبير في البيت الأول وروعة التشبيه في البيت الرابع ،
 وما في البيت الخامس من لوعة وروعة ، وحشرها بين معلقاته التي أراد بها
 مزاحمة شعراء العرب قاطبة ؛ كل أولئك ينفي هذه الدعوى ، والذي دعاه إلى
 الاقتباس من « ابن خدام » دون غيره ؛ وإلى كثرة ما اقتبس ، وبجهرته
 بهذا الاقتباس ، لا بد أن يكون قد قرأ له كثيرا ، فأعجب به ، فسجل ولاده
 له وإعجابه به في شعره مرتين ، مرة بذكر اسمه ، ومرة بما اقتبس منه ، فزعم
 النحاة أو الأدباء أن « امرأ القيس » ذكر « ابن خدام » لبذل على قدمه ،
 أو على أنه أول من بكى الديار ، إنما هو زعم باطل ، وفكرة عتيقة بدليلين
 سأذكرهما بعد إيضاح زمنه .

« وغير بنى كلب » يقولون : إن « ابن خدام » بكى الديار في قوله :

لآل هند بجني نفث دار لم يمح جدتها ريج وأمطار

(١) سقط اللوى والدخول وحومل وتوضح والمقراة أسماء ممكنة .

(٢) الأرام مفردا ونم كبير وهو الظلي الحامس البياض والعرضات الامكنة بين الدور ، ليس

فيها بناء ، والقيعان جمع قاعة : فناء البيت :

(٣) ناقف حنظل المراد : تنهد عيونى لمرارة ما أجده من لوعة الفراق .

إما ترى بنى بحنب البيت مضطجعا لا يطبيني لدى الحين إبتكار
فرب بيت يضم القوم رحبته أفاته ، إن بعض القوم عوار

لم أدعاه بنو كلب ؟

ولعل السبب في دعوى « بكر » نسبة « ابن خذام » إليها ، أنه اشتهر
بين العرب بالهجنة ، والهجين كما في كتب اللغة من أبوه عربي وأمّه أمة ،
ويخيل إلى أن أصلها من بكر ، أصيبت بالسبب في إحدى الوقعات بين بنى
كلب القحطانيين ، وبنى بكر العدنانيين ، - وكان مثل هذا يحدث كثيرا في
العرب - ، فنشأ ابنها كما ينشأ الهجناء ، شاعرا بما يشعرون به ، وأقله شهرته
بين الناس بالهجين مرة ، وتلقبهم إياه بعدل الأصرة مرة أخرى ، ولم يريدوا
بالأصرة هنا الرحم أو القرابة ، وما إليها من معاني هذه الكلمة ، بل أرادوا
بهذا اللقب تحقيره ، الذي شاءوه بإطلاق « الهجين » عليه تارة ، و « الشريد »
تارة أخرى ، إذا لأصل في الأصرة ، الحبل الصغيرة يشد به أسفل الخباء
وإلى هذه الذلة التي جرّها على « ابن خذام » سبباً أمّه ، يشير مهلهل في
قوله الآتي :

لما توعر في السكراع « هجينهم » هلمت أثار « جابرا » أو « صنبلا »

فالسكراع ، وعدل الأصرة والهجين ، والشريد - في بعض روايات
البيت ، تشير إلى قصة سبأ أمّه ، ورَبطها ببنى وائل أخواله ، ويظهر أن
الظروف بعدها لم تلبث أن ابتسمت لهذا الهجين ، الذي لاذب له في لقبه ،
أو سبأ أمّه ، أو تنكر العرب وتقاليدها له دهرًا ، ويؤيد هذا ملازمته لعمه
الأمير « زهير بن جناب » ومشاطرة بني كلب - أعمامه - بأساء الحياة ولينها ،
وحربها وسلبها ، وانقضاضه في كثير من الأحوال ، على بنى ربيعة أمرة
« مهلهل » ، تحت لواء ، عمه الأمير القائد الشاعر الطبيب .

وشرعت الأيام بعد ذلك تبرز من مواهبه ، تارة في ميدان الإغارات ، وأخرى في ميدان الأدب والشعر ، ثم تسكفل له د امرؤ القيس ، بعد وفاته بالخلود ، والاقتياس من شعره ، والتغنى بوفاته .

زمنه : أجمع علماء الأدب على أن د ابن خذام ، شاعر قديم ؛ دثر شعره ، لأنه لم يكن للعرب كتاب ، وما بقي من أشعارها إنما هو شعر من أدرك روايته الإسلام^(١) .

ولا يضاح ما له من قدم بنظريتي أذكر ما يأتي :

الرواية التي اعتمدت عليها في شجرة نسبه ، هي رواية السجستاني ، وقد بين فيها أنه امرؤ القيس بن حمام بن عبيدة بن هبل . فهذه أربعة أجيال ، وقد قدمت أن من عشيرته (زهير بن جناب) .

(فابن خزام) أحدث من (زهير) بجيل ، وقد تقدم أن دليل العشيرة المنتزع من دحية الكلبي وميسون بنت بحدل ، وأسامة بن زيد ، يدل على أنهم أحدث عهدا من زهير بخمسة أجيال ، فهم أحدث عهدا من ابن خذام بأربعة أجيال ، مدتها $4 \times 40 = 160$ سنة أي أن ابن خذام في سن الأربعين كان قبل الهجرة بنحو ١٦٠ سنة ٤٦٧ م فيلاده حوالى سنة ٢٠٠ ق هـ (٤٢٨ م) ولا يهمننا بعد ذلك أكان من المعمرين أم لم يكن .

صرو هذا التحديد : والذي يدل على صدق هذا التحديد أنه بعد هذا التاريخ بنحو ٢٠ سنة كان د يوم السلان ، وفيه اجتمع بنو بكر وبنو تغلب بقيادة ربيعة بن الحارث — أبى كليب ومهلل — فالتفوا بمذحج وعليهم زهير بن جناب ، في هذا اليوم والأيام التي قبله ، والتي بعده ، وفي إحدى هذه الوقعات ، كان مع زهير الرجل الناصح الشاعر الفارس ابن خذام فاكتفيا بالإغارة الخاطفة ثم انسحبا — بعد أن قتل من بنى تغلب رجلين هما جابر

« صنبِل ، لما وجدا (كَلِيَا) و (ومهللا) وآل ربيعة متيقظين فقال
(مهلهل) مفتخرأ :

لما توعر في السكراع (هجينهم) هلهلت أثار جابرا أو صنبلا

ويقصد بهجنتهم (امرأ القيس بن خدام) (١) وكان يسمى أيضا (عدل الأصرة)
فيرى من هذا أن (ابن خدام) لم يكن متعمقا في القدم إلى الدرجة
السحيقة كما يتوهم الناس ، بل كان قبل الهجرة بنحو قرن كامل ، لو أنه عاش
٩٥ سنة ، ويكون موته قبل ميلاد (امرئ القيس السكتدي) بنحو
٢٧ سنة ، فليست المدة عميقة في الجاهلية كما نرى فهو إذن ليس أول من بكى
الديار ، بل سبقه كثيرون من الشعراء بنحو أربعة قرون أو خمسة ، ويرى هذا
واضحا في هذا السكتاب

(الثاني) أن من سبقوه في بكاء الديار (زهير بن جناب) في أبياته الثلاثة
التي تقدمت في ترجمته ، وهي التي سرق منها ذو الرمة ،

أول من بكى الديار :

فإن خولم ليس أول من بكى الديار ، بل هو سارق لأسابق ،
ويرجع الفضل في ضبطه ملتبسا بجريمته إلى نظريتي ، لأنها فيما حققته من
الأزمة ، أوضحت أنه أحدث عهدا من (زهير بن جناب) : فهذا الشاعر قد
بكى الديار في أبياته الثلاثة التي سطا عليها (ذو الرمة) مرتين ، كما سطا عليها
(ابن خدام) من قبله ؛ وزهير كذلك ليس أول من بكى الديار ، فقد سبقه
« لقيط الإيادي » بنحو ١٥٠ سنة في قصيدته : التي مرت في زمن لقيط ومطاعها :

يادار عبلة من محملها الجرعا هيجت لي الهم والأحزان والوجعا

(١) جهرة ابن حزم ص ٤٢٦

(٢) المؤلف والمختلف من ١٠ ، ٩٢

جدول ترتيب شعراء المقطعات بحسب أزمانهم

أعداد	الشاعر	ميلاده		ملاحظات
		قبل هجرة	بعد الميلاد	
١	أعصر بن سعد القيسي العدناني	٥٦٠	٧٩	
٢	المالك جزيمة الوضاح القحطاني	٤٤٠	١٩٦	
٣	العنبر بن عمرو بن تميم العدناني	٣٩٨	٢٣٦	
٤	لجيم بن صعب الربعي العدناني	٣٦٠	٢٧٣	
٥	الأمير زهير بن جناب السكبي القحطاني	٢٩٦	٤٢٢	
٦	المالك بهرام جور الفارسي	٢٢٩	٤٠٠	
٧	ابن خذام الكلبي القحطاني	٢٠٠	٤٢٨	
٨	دويد بن زيد القضاعي	١٥٦	٤٧١	
٩	المستوغر المزروعى العدناني	١٢٠	٥٠٦	

تعقيب

يرى فيما تقدم مبلغ ما في تقارير الباحثين قديما من الجرأة ، ومن الخلط ، لا اعتمادا على قاعدة معروفة لديهم ، وإلا لاتحدث نتائجهم ، أو تقاربت ، ولكن المهم لديهم كان حشد المعلومات للطريقة ، ولإمتاع قرائهم ، أو طلابهم ، أو ذوي نعمتهم بما قد ينقض آخره أوله .

وآيه ذلك هؤلاء الشعراء الذين لقبوهم بالقدماء ، وجعلوهم من شعراء المقطوعات لا القصائد .

وما لامية فيه أن مردهم بهذا الترتيب إنما قصدوا به بيان أن قدمهم في الجاهلية هكذا ، ولكن بحسب نظريتي يختلف ترتيبهم الزمني اختلافا ينسأ عن ترتيب السابقين .

وحسبى مكافأة على هذا العمل المضنى أنى بهذه النظرية وصلت إلى أمور ثلاثة :

(الاول) أنى رتبت شعراء المقطوعات، ثم شعراء القصائد ترتيبا زمنيا منسجما يستوى الجميع أمامها، فلا حيف ولا محاباة، وهكذا القوافين الصالحة يجب أن يكون جميع الناس أمامها سواء .

(الثانى) أنى قرنت كل واحد من هؤلاء الشعراء بتاريخ، وبيان قدمه، منسوباً إلى التاريخ الهجرى، والتاريخ الميلادى، لأول مرة فى عالم الأدب، من أقدم عصوره إلى الآن .

(الثالث) أنى نسفت ذلك السور الجديدى، الذى ضربه السابقون واللاحقون لعمر الأدب الجاهلى، لزعهم أن أقدم ما بين أيدينا من الآثار الأدبية للغتنا لا يتجاوز الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة؛ وهذا إجمال ما فصلت من شعراء المقطوعات فى زعم السابقين، مراعيًا ترتيبهم بحسب ميلادهم .

« بهرام جور » ملك الفرس

من شعراء المقطوعات العربية

إذا كان عجيباً أن يجد الباحثون، عشرات الأدلة لى، على أن من الآداب العربية ما ترجع أقدميته إلى القرن الثامن قبل الهجرة،

أو أن يقرموا ما قررته، من أن من المقطوعات العربية ما سبق الهجرة بنحو ستة قرون .

أو أن أقدم ديوان شعرى للعرب كان ديوان لقيط بن يعمر الإيادى،

أو أن أطول قصيدة عربية فى الجاهلية هى التى تضمنها ذلك الديوان الخالد،

أو أن أقدم ما عثرت عليه من المقطوعات فى هذه الطبعة، كان لشاعر قحطاني

لأعدنان، وذلك حوالى القرن الأول قبل الميلاد (القرن الثامن قبل الهجرة) ،
فأعجب من كل أولئك ، أن نجد للأدب العربية من يقدرها من الأجانب
حق قدرها فى جاهلية العرب ، قبل الهجرة بأكثر من قرنين .
وأن يكون ممن استهوتهم بلاغتها ، وأساليها ، وروعها ، ملكان من
ملوك الفرس :

أما الملك الأول فهو « يزدجرد الأول » الذى تولى حكم الفرس من
٢٩٩م (٢٣٣ ق هـ) ، ومظهر عنايته باللغة العربية وآدابها ، وبالعرب وتربيتهم ،
وشيمهم ، وشجاعتهم ، أنه وكل تربية ولى عهده إلى « النعمان بن امرئ القيس
العربى ملك الحيرة (١) » ، وهو الذى قبض على صولجان الملك سنة ٤٠٣ م
(٢٢٥ ق هـ) فمكث بينهم عشرين سنة حتى تشرب طباعهم ، وتخلق بأخلاقهم ،
وتعلم لغتهم ، وأتقن آدابهم .

وأما الملك الثانى فهو ابنه الملك « بهرام جور » ملك الفرس من ٤٢٠ م
(٢٠٩ ق هـ) ويقول حمزة الأصفهاني فى (٢) .

إن « المنذر » تولى تربية بهرام ، دفعه إليه أبوه « يزدجرد الاثيم »
ليربيه منذ أن كان رضيعا ، وهذا منهج تربيته ودراسته :

منهج تربيته :

(١) من السنة الأولى إلى الثالثة أحضر له صفوة المروضات من ذوات
الخلق والصحة : عربيتين ، وفارسية (٣) .

(٢) ومن ٣ - ٥ أشرفن على حضائنه وتلقينه مبادئ العربية والفارسية

(٣) ومن ٥ - ١٢ أحضر له « المنذر » مدرسين ، فعلموه السكتة والرمي

(١) مروج الذهب - ١٦٢٠ (٢) تاريخ سنى ملوك الأرض

(٣) تاريخ ابن الأثير - ١ ص ١٦٠

والفقه - بطلب من بهرام - وأحضر له حكيمًا من حكماء الفرس ، فوعى كل ما عليه ، وفي نهاية تلك المدة ، فاق معاليه فصر فهم المنذر .

(٤) ومن ١٢ - ٢٠ أحضر صفوة ممتازة من فرسان العرب ، وخيولها ، فتعلم ركوبها ، والسباق بها ، والرمى والصيد ، وما أشبه ذلك ، فوق أمرار اللغات وآدابها ومات أبوه وهو عند المنذر .

وبالاطلاع على السنة التي توفي فيها المنذر في كتابي هذا (١) نجد أنها سنة ٤٢٠ م (٢٠٩ ق هـ) .

شعر الملك بهرام مجور

ويقرر المسعودي (٢) أن هذا الملك الأديب كان يقول الشعر بالعربية ، ويتكلم بسائر اللغات ، وما حفظ من شعره . وقد ظفر بخاقان - ملك الترك - وقتله :

أقول له لما فضضت جموعه كأنك لم تسمع بصولات بهرام ،
فإن حامى ملك فارس كلها وماخير ملك لا يكون له حامى !!
وقال أيضا :

لقد علم الأنام بكل أرض بأنهم قد اضحوا لى عبيدا
ملسكت ملوكهم وقهرت منهم عزيزهم المسود والمسودا
فتلك أسودهم تقعى حذارى وترهب من مخافتى الورودا
وكنت إذا تشاوس ملك أرض عبأت له السكتائب والجنودا
فيعطين المقادة أو أواني به يشكو السلاسل والقيودا

ويكرر المسعودي أن له أشعارا كثيرة بالعربية والفارسية ، أعرض عنها طلبا للإيجاز .

(١) الأنس المبكرة صفحة ٢٠

(٢) روج الذهب ج ١ : ١٦٣

صحة هذا الشعر

وأكبر ظني أن النظرة الأولى لهذين الأثرين ستدعو المتشككين إلى إنكارهما ، وإنكار نسبتتهما ، أما إنكارهما فلتلك السلاسة ، وهذه الصياغة التي تنتظمهما جملة وتفصيلا ، لأن ما عهدوه من الآثار الأدبية الجاهلية للعرب أنفسهم ما هي إلا صورة من خشونة الحياة البدوية ، ونماذج صادقة من جبالها الوعرة ، وطبيعتها المتنافرة ، فكيف بالأعاجم وليست اللغة لغتهم وليس السبك سبكهم !!

ولقد كدت أنسرك كما أنسكروا ، وأنكر لهذين الأثرين كما تنكروا ! لولا أن أسعفى الأستاذان الكبيران : أحمد بك أمين ، ونجيب محمود (١) فقد نقلا عن « محمد عوفى » في كتاب « لباب اللباب - وهو أول كتاب في تاريخ الأدب الفارسي - أن « بهرام جور » تعلم الشعر من العرب ، إذ نشأ بينهم ، ووقف على دقائق لغتهم ، وأن له شعرا عربيا بليغا ، وأن هذا المؤلف رأى ديوانه في خزانة كتب بخارى (٢) وطالعه ، وكتب أشعارا منه وحفظ ، ومنها أبيات نظمها حينما رجع إلى فارس ، واستقر على سرير الملك بسبب انتصار العرب له . . . ويذكر عوفى بيتا فارسيا ارتجله بهرام في وقت طربه .

وكذلك يذكر كتاب « المعجم » في معايير أشعار العجم (٣) ، تربية « بهرام جور » في الخيرة وتأدبه بآداب العرب . ومن أعجب ما نقله أن العلماء في عصر بهرام لم ينكروا شيئا من أخلاقه وأحواله إلا قول الشعر !! فلما تملك ، تقدم إليه أحد حكامهم ونصحه قائلا :

(١) قصة الادب في العالم ج ١ : ٤٤٨

(٢) وبنده در كتاب خانه سربل بازار جة بخارا ديوان اودیده است ودر مطالعه آورده است واز آنجا اشعار نوشته وباد کرفته - آزان جمله این است الخ لباب الالباب ج ١ ص ١٩ ط براون

(٣) قصة الادب في العالم ج ١ : ٤٥٠

أيها الملك ، إن قول الشعر من كبار معائب الملوك ، لأن أساسه الكذب والزور ، والمبالغة الفاحشة ، لهذا أعرض عنه عظماء فلاسفة الأديان . . . فارعوى « بهرام » ، ولم يقل شعرا بعدها ، ونهى عنه أولاده وأقاربه .

أفيسوغ المنكر بعد هذا أن يرفع عقيرته بإنكار هذا الشعر ، ونكران نسبته ، بعد إجماع علماء العرب والفرس على صحته ! وإذا ثبت أن هاتين المقطوعتين قيلتا بعيد سنة ٤٢٠م أى قبل الهجرة بأكثر من قرنين ، أفيظال المنكرون متمسكين برقم ١٥٠ سنة التى لا ظل لها من الحقيقة !

حسبى إلى هنا ذلك المشوار ، الذى قطعته إلى تلك المقطوعات الشعرية وتلك الإمامة التى كشفت بها عن أمور كانت ولا تزال خفية .

وكانت « قواعد التنسيق » تقضى أن أقدم مقطوعتى ملك الفرس العظيم « بهرام جور » ، وأؤخر حديثى فى ديوان لقيط أقدم دواوين الشعر عند العرب ، وقصيدته الخالدة الرائعة ، ليأنس النظير بنظيره فى الأمرين . لأنى سأتكلم بعدئذ فى شعراء القصائد .

ولسكن اعتزأى بشعر بهرام الشاعر ، ورغبى فى أن أختتم به شعر المقطوعات ، ليكون مسك الختام . هذان وغيرهما مما جعلنى أوثر ذلك الترتيب فلا على بعد ما تقدم أن أحلق مع الباحثين فى سماء القصائد وشعرائها ، بعد ما اعتركت فيها الروايات ، واشتجرت فى ميدانها الآراء قديما وحديثا ، ثم أزن كل ماورد بميزان نظريتى ، التى نسأها الله لظهر على يدى ، والحكم للباحثين بعد ذلك .

(٣) القسم الثالث

شعراء القصائد فى الجاهلية

بعد أن بدأت البرهنة على أن الأمثال العربية المنسوبة أقدم الآثار الأدبية عند العرب ، ثم ثنيت بالمقطوعات ، مستدلا على أنها أحدث من الأمثال وأقدم من القصيد ، اعتمادا على أن البسيط أقدم من المركب ، لم يبق بد

من الإفاضة في القسم الثالث من الآثار الأدبية ، وهو شعراء القصائد ، وأقدميتهم ، وأقدم آثارهم ، مبتدئا باصناف الروايات التي تداولتها ألسنة الرواة ، معقبا بما استنبطته من منطق نظريتي ، التي مارأيتها خاتمتي - على كثرة ما مر بي - تاركا أمر الفصل لأدبنا اليوم والغد ، فان هذه القضية التي أبسط وجهات النظر فيها ، ليست لجيل دون جيل ، ولا لعصر دون عصر ، وحقائق الأشياء ثابتة ، ولكنها مرهونة بظروفها .

فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ،

أول من قصص القصائد

ندر أن تتصفح كتابا في الأدب الجاهلي ، في القديم أو الحديث ، عند المشاركة أو المستشرقين ، إلا رأيت أن أول من قصد القصائد ، وذكر الوقائع « مهمل بن ربيعة التغلبي » في قتل أخيه « كليب » ، وتصفح أمالي ثعلب ، فتجده ينقل عن الأصمعي :

« أول من تروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر « مهمل » ثم « ذؤيب التيمي » ثم « ضمرة السكناني » و « الأضبط بن قريع » وكان بين هؤلاء وبين الإسلام ٤٠٠ سنة .

وبترديد النظر في هذا التقرير نجد ثلاثة أمور :

الأول - أن أول من قصد القصائد « مهمل » ،

الثاني - أن « ذؤيب التيمي » وضمرة السكناني : والأضبط القريني

المزروعى ، أحدث عهدا من « مهمل » ،

الثالث - أن هؤلاء الأربعة قبل الإسلام بأربعة قرون !

تحفيس :

١ - بالرجوع إلى ما حققته في تاريخ مهمل نجد أقدميته كانت قبل الهجرة

بنحو ١٨٠ سنة .

٢- وبالاطلاع على شجرة أنساب بنى تميم ، نجد من ذؤيب التيمي إلى عدنان ١٢ جيلا ، لأن أباه كعب بن عمرو بن تميم ، بن مر بن أد بن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان و (دليل الصحابة) يفيد أن متوسط الأجيال في شجرة تميم من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٥ جيلا ، فمنه إلى الهجرة نحو ٨,٢٥ من الأجيال .

مدتها ٨,٢٥ × ٤٦ = ٣٧٩ سنة قبل الهجرة (٢٤٣ م) .

فيلاده قبل هذا التاريخ بنحو ٤٦ سنة أى سنة ٤٢٥ ق هـ (٢١٠ م) .
وبالمبحث في شجرة كنانة ، نجد من ضمرة السكنان إلى عدنان ١١ جيلا لأنه ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان و (دليل الصحابة) يفيد أن متوسط الأجيال في شجرة قبيلته من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٨ جيلا ، فمنه إلى عصر النبوة ٩,٨ أجيال .

مدتها ٩,٨ × ٤٦ = ٤٥١ سنة .

إذن ضمرة كان يعيش حوالى سنة ٤٥١ قبل الهجرة فى سن الأربعين .

فيلاده كان حوالى سنة ٤٨٢ ق هـ (١٤٠ م) .

آثاره الأدبية :

لم تزد المراجع المختلفة على ذكر اسمه ، ونظمه فى سلك أول من تروى لهم كلمة تبلغ ثلاثين بيتا ، ومثله فى هذا مثل « ذؤيب بن كعب بن عمرو ابن تميم ، و « الأضبط بن قريع ، .

نتائج :

فينتج مما تقدم :

١ - أن هؤلاء الشعراء الأربعة لم يكونوا معاصرين ، بل كان ترتيبهم فى الأقدمية هكذا :

أقدمهم : ضمرة ، ثم ذؤيب ، والاضبط ، ومماهل .

٢ - والنتيجة الثانية أن مهلهل ليس أول شعراء القصائد ، بل سبقه كثير منهم مثل الشاعر ضمرة السكناجى ، وكان أقدم من مهلهل بنحو ٣٠٢ سنة .
« وذؤيب التيمى » وكان أقدم من مهلهل بنحو ١٩٩ سنة .
« والاضط المزروعى » ، « » « » « ١٦٥ سنة .

٣ - والنتيجة الثالثة أن هؤلاء الشعراء الأربعة ، لم يكن بينهم وبين الإسلام ٤٠٠ سنة كما نقل ثعلب عن الأصمعي ، بل كانت مددهم تتراوح بين ٨٢ ، و ١٨٠ سنة ، فأقربهم إلى ال ٤٠٠ سنة التي رواها الأصمعي هو ضمرة

استثنای:

وإمعانا في الاستئناس ، ورغبة في العثور على قد ما يكون هناك من المعسكرات الأخرى التي تنقض رأى هذا المعسكر ، تابعت البحث ، فعثرت على معسكرين آخرين .

(١) أحدهما يقول : (١) « للشعر أول لا يوقف عليه ، وقد اختلف في ذلك العلماء ، وادعت كل قبيلة لشاعرها أنه الأول : فادعت النمانية لامرئ القيس ، وادعت بنو أسد لعبيد بن الأبرص ، وادعت تغلب لمهلل ، وبكر لعمر بن قتيبة ، وإياد لآل داود . »

(ب) والمعسكر الثاني يقرر أن بعضهم زعموا ، الأفوه الأودي ، أقدم من هؤلاء ، وأنه أشعر شعراء القصيدة ، وهؤلاء النفر المدعى لهم التقديم في الشعر متقاربون ، ولعل أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة منه أو نحوها .

تجميع :

ولعل خير ما أعقب به على هذه المعسكرات الثلاثة ، أن أجمل الإشارة

إليها فيما يأتي :

أما المعسكر الأول فقد قضيت على نظريته بالبراهين الحسائية ، والأدلة النسبية ، ولمعرفة وجه الحق في نظرية المعسكرين الباقيين ، لابد أن ننظر أولاً إلى عدد القضايا التي تضمنتها هذه الأحكام ، ثم نزنها بميزان هذه النظرية ، التي كان لي شرف ابتكارها ، وتدعيمها ، وتطبيقها .

تضمن كلام عمر بن شبة ، ما يأتي :

أولاً - أن المهمل وعمر بن قيس ، والمرقس الأكبر ، وأبادؤاد وامراً القيس ، لا يسبق أقدمهم الهجرة بنحو مائة سنة .

ثانياً - أن هؤلاء متقاربون زمنياً ، لأن الزمن هو أساس الخلاف .

الثالث - أن عمر بن شبة لا يصدق من قرروا أن الأفوه أقدم من هؤلاء . كما لا يسلم بأنه أول من قصد القصيد .

وسأبدأ بتحقيق زمن « مهمل » ، لأن الإجماع كاد ينعقد على أنه أول من قصد القصيد ، وإلى كل باحث أسوق الحديث :

(١) مهمل بن ربيعة

ميلاده حوالي ١٨٠ ق هـ (٤٤٨ م)

كاد الرواة يجمعون على أن « امراً القيس بن ربيعة بن مرة » ، الملقب بمهمل أول من قصد القصائد^(١) ، وقال الغزل ، وقد سرى ذلك إلى الشعراء فقال الفرزدق .

ومهمل الشعراء ذاك الأول

وفي طبقات الشعراء لابن سلام الجحى : إنما سمي « مهمل » ، لهيلة

(١) الأغاني - ص ٥٥ ، والشعر والشعراء ص ٩٩ والادب - ق ٢٠٤ ، والمرزباني

شعره كهله الثوب وهو اضطرابه واختلافه ، وفي الصحاح : سمي «مهلهل» ،
لأنه أول من هلهل الشعر أى أرقه ، ولا يهمنا إلا (الأمر الأول) وهو
أنه أول من قصد القصيد ، (والأمر الأخير) وهو أنه أرق الشعر فما
حظ الأمرين من الصدق ؟

تحقيق :

١ - (١) بالرجوع إلى « شجرة ربيعة » يظهر لنا أن من « مهلهل » إلى
جده الأكبر « عدنان » ^(١) ٢١ جيلا .

(ب) ومتوسط الاجيال في هذه القبيلة من عصر النبوة إلى
« عدنان » ٢٥ جيلا .

(فالفرق الأول) ٤ أجيال .

٢ - وبالرجوع إلى (دليل العشيرة) القربى لانجد لمهلهل نسلا إلا من
قبل « ابنته : ليلي » أم « عمرو بن كلثوم التغلبي » ، فلا يحصى أن ننقل منه
إلى سلالة أخيه « كليب » ، وكليب ليس له عقب إلا « هجرس بن كليب » ،
وبالرجوع إلى أخويهما الباقيين : « عدى » و « سلمة » لانجد لهما خلفا ^(٢) !
فلم تبق لنا حيلة إلا أن نترك حفدتهم ، للعشور على طائفة من الصحابة
التغلبيين ، وهؤلاء لم أوفق إليهم ، فلا علمنا بعدها أن نقيم شطر القبيلة
الأخرى : قبيلة بكر التي شقت عصا الطاعة على تغلب ، وثارت لحريتها ،
بل كرامتها بمصرع كليب أخى « مهلهل » ولكل جان مصرع !

فاخترت من بكر ثلاثة من عاصروا النبي ، ولو أنهم من « العشيرة البعدى »

(١) لأنه مهلهل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم
ابن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن دغيم بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد
ابن عدنان

لمهل . اكتفاء بأن هاتين القبيلتين بجمعهما أبوهما وائل أولا ، وأمهما
الكبرى ربيعة بعد ذلك ، وهؤلاء الثلاثة هم :

(١) (ثمame بن أنال) وترتيبه في كتاب الإصابة (٩٦١) ومنه إلى وائل
أبي بكر وتغلب ١٣ جيلا .

(٢) من (شراحيل بن معبد) ومنه إلى وائل أبي بكر وتغلب ١٤ جيلا

(٣) من (خالد بن المعمر) وترتيبه في كتاب الإصابة (١٣٣١) ومنه
إلى وائل أبي بكر وتغلب ١٥ جيلا .

(١) فمجموع الأجيال لهؤلاء الصحابة الثلاثة ٤٢ جيلا متوسطها
١٤ جيلا .

(ب) وبالعودة إلى (مهمل) نجد منه إلى وائل أيضا ١٠ أجيال .

(فالفرق الثاني) بين العديدين الآخرين - وهو الذي فات فيه هؤلاء
الصحابة مهمل - ٤ أجيال .

وقد سبق أن (الفرق الأول) بين مهمل وعدنان ، وبين متوسط أجيال
الصحابة إلى عدنان ٤ أجيال .

فمتوسط العديدين الآخرين ٤ أجيال .

مدتها $4 \times 36 = 144$ سنة ، لأن متوسط عمر الجيل في ربيعة ٣٦ سنة

أى إن عمر مهمل وهو ابن ٣٦ سنة كان سنة ١٤٤ قبل الهجرة (٤٨٣ م)
وميلاده حوالى ١٨٠ ق هـ (٤٤٨ م) .

بين مهمل وزهير بن جناب :

وقد كانت المدة من عمر مهمل بين الثلاثين والأربعين حافلة بشتى
الغارات بين كليب ومهمل وأبيهما ربيعة ، ومن ورائهم بكر وتغلب من
ناحية ، وزهير بن جناب ومذحج وكثير من قبائل الين من ناحية أخرى ،

وأشهرها بالترتيب الزمني ١ - غارة (زهير بن جناب) ومعه (ابن خذام) على مهمل وقومه لكنهما وجدا في مهمل وأخيه وأبيه وقومه يقظة ، فاكتفيا من الغنيمة بالإياب ، وذلك قبل حكم زهير ، فطاردهما مهمل ، وقال مشيرا إلى « ابن خذام » ، ملقبا إياه بالهجين .

لما قوعر في السكراع « هجينهم » هلمت أثار « جايرا » أو « صنبل »

وقد نقل السيوطي ^(١) عن « ابن دريد » أن طائفة من الشعراء غلبت عليهم ألقابهم بشعرهم حتى صاروا لا يعرفون إلا بها ، ثم ساق منهم « مهمل » ، وقد سمي به لهذا البيت ، فيحسن أن يضم هذا التعليل إلى التعاليل الثلاثة السابقة في صدر هذا البحث .

٢ - واشتباك الفريقين بعد موت (ربيعة) وقد انجلى عن أسر (كليب) « ومهمل » وكثير غيرهما وقد قال في هذا « ابن جناب » :

أين أين الفرار من حذر المو ت إذ يتقون بالأسلاب
فهمنا « مهمل » و « أخاه » « وابن عمرو » في القيد و « ابن شهاب »
وسينا من تغلب كل بيضا « كنور الضحى » برود الرضاب

٣ - يوم خزازي :

وبعد هذا الاشتباك سجل التاريخ يوما خالدا من أيام العرب ، وهو (يوم خزازي) فهو أعظم أيامهم بعد يوم ذي قار إذا كان الأول أول يوم انتصف فيه العدنانيون من الينين ، فقد كانت الين قاهرة لها في كل يوم التقوا فيه حتى كان هذا اليوم ، فانتصرت فيه معد ، ولم تزل لها المفعة إلى أن جاء الاسلام ، كما كان (يوم ذي قار) بعده أول يوم انتصفت فيه العرب عامة ، من دولة أجنبية هي الفرس .

ويقول ابن الأثير (١) : « إن ملكا من ملوك اليمن كان في يديه أسرى من ربيعه ومضرو وقضاة ، وأنا أقرر أن هذا الملك هو (زهير بن جناب الكلابي) الذي كان ملوك حمير أقاموه ملكا على بكر وتغلب الربيعين - فلما سمعت عشائر الأسرى أنه يقول : ايتوني برؤساء قومكم لأخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي ، وإلا قتلت أصحابكم ، ثارت ثارتهم ، كما هيجت آساد غضابا ! ، فاجتمعت معد على « كليب » فجعل على مقدمته « السفاح التغلبي » وأمرهم أن يوقدوا نارا على جبل خزازي (٢) ، ليهتدي بها من يريد الانضمام إليهم ، فإن غشيهم العدو فليوقدوا نارين ، فلم يكذب كليب يراهما حتى زحف بالعدنانيين ، فصيح مذحجا ومن معهم من قبائل اليمن ، فحم القتال ، وزلزل الزلزال ، فلم يلبث اليمنيون أن ولوا منهزمين ، بقيادة زهير بن جناب أما تغلب وبكر : الحيان الشقيقان ، أكبر بني ربيعة ، فوجدوا أن أحسن ما يكافأ به كليب لهذا النصر المؤزر ، أن يختاروه ملكا ، وبهذا خرج بنو وائل من ربة الاستعباد الخارجى إلى ظلال الحرية والكرامة ، فسار على ذلك زمنا حتى نفخ للشيطان في أوداجه ، فاستولى عليه الغرور ، فكان كالباحث عن حتفه بظلفه ، فلقى مصرعه ! وسنه حوالى ٥٥ سنة لا أكثر ، ويدل عليها قول أخيه مهمل في إحدى مرثياته :
 إن تحت الأحجار حزما وعزما وقتيلا من الأراقم (كهلا)
 والسكهل من جاوز الرابعة والثلاثين إلى فوق الخمسين .

هرب البسوس ٤٩٧ م

وليس يهمننا من هذه الحرب أنها أطول وأقدم ما سجله المؤرخون من الحروب بين العرب كافة ، أو أنها كانت مسرحا كشف عن بطولة مهمل ، فهو لم يكن بالبطل المغوار ، ولا المحارب الفذ ، ولا السياسى المخنك بما أتاحت الفرصة لغرمائه البكريين أن يتجمعوا ، وأن يعود إلى صفوفهم الرجل

(١) تاريخ ابن الأثير ج ١

(٢) خزازى أو خزاز هو كما يقول الهمداني جبل بالعالية من حمى ضريبة بين البصرة ومكة

الحكيم « الحارث بن عباد » وكان قد اعتزلهم بعد قتل كليب ، مستعظما أن يقتل كليب في ناقة !! ، وأن ينتهي أمره بالفشل بل بالأسر .

إنما همنا منها أنها كانت فرصة ذهبية للشعر العربي في الجاهلية ، ففجرت مواهب كثير من الشعراء بأصدق الشعر وأروع ، فأضافوا إلى الآداب العربية ثروة ، ليس لها نظير فيما كثر من أيامهم ومواقعهم ، وقل أن نجد قصيدة قبلها بلغت الثلاثين أو جاوزتها ، إلا ما كان من قصيدة لقيط اليادي ^(١)

وما لاشك فيه أن مهلهلا في هذا الميدان كان أروعهم ؛ لأنه كان أجمعهم ، لهذا نجد في شعره ما لا نجد في شعر السابقين ، وهل كان للعرب « كليب » قبل ملك ربيعة ! أو لمعد « ملك » قبل أخى مهلهل !

(١) مما يدل على أنه أول من رقق الشعر حقاً وهلهله قوله - من بحر الكامل - وقد رأى الاميرات والعذارى يخرجن من بيت الملك صارخات ناديات :

كنا نغار على العواتق أن ترى بالأسخارجة عن (الأوطان)
(٢) وبعد دفن أخيه قام على قبره يرثيه بقصيدة في ٣١ بيتاً - من الوافر - مطلعها :

أهاج قصيدة عيني الادكار هدوما فالدموع لها انحدارا
(٣) ومن أروع قصائده تلك التي كان العرب يطلقون عليها الداهية ، وهي أولى المتنقيات السبع في ٣٧ بيتاً من السريع ، ومطلعها :

جارت (بنو بكر) ولم يعدلوا والمرء قد يعرف قصد الطريق
(٤) وفي حموة الفجعية ، خشي أن يتذكر الناس تلقيب أخيه كليب إياه بزير النساء ، أو أنه سيغفل عن الثأر ، فجمع أطراف قومه ، وجزنا صيته ، وقصر ثوبه ، وآلى على نفسه ألا يشم طيباً ، ولا يشرب خمراً ، ثم خاض غمرات الحرب ، فكان من أعظم الوقعات (وقعة الذنائب) ؛ ثم (واردات) فانتصر

مهلهل وفومه انتصارا دامغا ، فقال مفتخرا - من الوافر :-

أليتنا بذى محسم أنيرى إذا أنت انقضيت فلا تحورى
ومنها فإن يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكى من الليل القصير

وهي أكثر من ٣٠ بيتا ، وغير هذه القصائد كثير أودع في ديوانه ،
وحسبه أنه من أقدم دواوين الشعراء . بعد ديوان لقيط الإيادى

المصادر :

الآن وقد تم ما أردت في أمر مهلهل الشاعر ، يحسن بي أن أجمل نتائج
البحث فيما يأتى :

١ - كان مهلهل ، فى الأربعين من عمره ، قبل الهجرة بنحو ١٤٠ سنة ،
فهو ليس بأقدم الشعراء ، ولا بأسبقهم قصيدا ، إذ قد سبقه كثير ، مما
تردد العلماء قديما فى حقيقة قدمهم ، مثل ابن خدام ، و زهير بن جناب ،
و الأفره الأودى ، . ثم لقيط الإيادى ، صاحب أطول قصيدة قديمة

٢ - وتلقب مهلهل بهذا اللقب لم يكن لأنه أول من قصد القصائد ،
بل لقب به إما بالبيت :

لما توعر فى الكراع هجينهم ، هلهلت ، أنار جابرا أو صنبلا

كشأن كثير من الشعراء . الذين اشتهروا بألقاب انتزعت من أشعارهم ،
وإما لأنه أول من هلهل الشعر أى أرقه ، وقد برهنت على هذه الرقة
التي تضمنها كثير من شعره فيما اخترته منه ، فليس صحيحا ما نقله الجمحى
أنه سمي مهلهلا لهلهلة شعره ، أى اضطرابه واختلافه .

٣ - وحرب اليمسوس اشتعلت نيرانها ومهلهل قارب الخمسين من عمره ،
أى حوالى سنة ٤٩٧م

ثم انطلقت جمرتها بعد أربعين سنة ، ومهلل في نحو التسعين من عمره
سنة ٥٢٧ م .

٤ - ويدل على دقة هذا التقدير ، أنه بعد أن تفانى الخيان : « تغلب ،
أسرة كليب ومهلل و بكر » ، أسرة جساس وهمام بن مرة ، رأى « الملك
المنذر بن ماء السماء ، أن يصلح بينهما ، فتم له ما أراد ، كما قرره ابن الكلبي ،
والمنذر تولى حكم اللخمين من سنة ٥١٤ - ٦٣ م .

فليس بصحيح ما رآه « أبو عمرو الشيباني » أن الذي تولى هذا الصلح
« عمرو بن هند » الذي حكم من ٥٦٣ م فالتقطه بعض المؤلفين دون تحرر .

٥ - وقد كانت وفاة « امرئ القيس سنة ٥٥٩ م بعد وفاة خاله « مهلهل »
« بنحو ٢٢ سنة » ، فكان مهلهل لما مات ، كان شاعر كندة في نحو الثامنة من
عمره ، وهذا من الأسباب التي جعلته لا يذكر حرب البسوس وضحاياها
وأهوالها ، فوق أن آل كندة آثروا أن يلتزموا الحياد ، بين الحيين الشقيقتين ،
لأنها مسألة داخلية ، ليس من الحكياسة تأجيج نيرانها ، وتسعير جحيمها ،
في الوقت الذي يجدون فيه الزاحم شديدا بينهم وبين المنافرة .

لهذا لا تجد في ديوانه دمة مسكوبة ، أو زفرة مشبوبة ، أو بيت رثاء
في أخواله .

(٢) عمرو بن قميصة (١)

ميلادة سنة ١٨٠ ق هـ ٤٤٨ م ،

(دليل النسب) يدل على أن منه إلى عدنان ٢٢ جيلا .

(١) هو عمرو بن قميصة كسفيئة ، وأخطأ الاب لويس شيخو في كتابه شعراء النصرانية
إذ حذف الياء ، وجده سعد بن مالك ، وفي بعض الروايات أن ذريح بن سعد بن مالك
ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن علي بن بكر بن وائل .

و (دليل الصحابة) يدل على أن متوسط أجيال ربعة من عصر النبوة إلى عدنان ٢٥ جيلا، فمنه إلى عصر الصحابة ٤ أجيال، مدتها $4 \times 36 = 144$ سنة فابن قتيبة في سن السادسة والثلاثين كان قبل الهجرة بنحو ١٤٤ سنة، فيلاده كان قبلها بست وثلاثين سنة أى نحو ١٨٠ سنة (٤٤٨ م) .

فلو أنه عاش ٦٠ سنة لا غير لمكانت وفاته حوالى سنة ١٢٠ ق ٥ (٥٠٦ م) ولكن الرواة ومنهم السجستاني (١) قرروا أنه عاش ٩٠ سنة ، واتفقوا على أنه لا يعد من المعمرين إلا من بلغ ١٢٠ سنة أو جاوزها .

وقرروا من جهة أخرى أنه فى أواخر أيامه ، مر بقيامته ربعة « امرؤ القيس الشاعر ، بعد مصرع أبيه للاستنجاد بهم ، ولدى جلوسه بينهم أراد أن يسرى عن نفسه فسألهم :

هل فيكم من يقول الشعر ؟ فأجابوا : ما فينا شاعر إلا شيخ قد خلا من عمره ، فطلبه ، فأثروا به ، فاستنشدوه ، وأنشدوه ، فأعجب به ، وقال :

ألا تركب معى إلى الصيد ؟ فقال عمرو :

شكوت إليك أنى ذو جلالة وأنى كبير ذو عيال محجب

فاكتفى بمجالسته (٢) ، ويقرر بعض الرواة أنه رحل معه أخيرا إلى دقيصر : جوستينيان ، فمات فى الطريق ، فسمته العرب « عمرو الضائع » لموته فى غربة ، وفى غير أرب ولا مطلب .

وقد قررت فى إيضاح مبلغ أقدمية « امرؤ القيس » أنه توفى حوالى سنة ٥٥٩ م ، والبعد بين ميلاد ابن قتيبة الذى قدرته له هنا ، أى ٤٤٨ م وبين سنة ٥٥٩ م الى توفى فيها شاعر كندة يبلغ ١١١ سنة .

وعمر ومات قبل موت امرؤ القيس ببضع سنوات ، فلنفرضها

(١) كتاب المعمرين ص ٨٩ رقم ١٠٩

(٢) الأغاني ١٦ : ١٦٦

سبعاً ، فيكون موت ابن قتيبة كان حوالي ٥٢ م ، وبذا يتبين أنه جاوز المائة ، وبلغ من العمر نحو ١٠٤ من السنوات .

شعره :

١ - لم يختلف الرواة في أنه من شعراء القصائد .

٢ - وأن أكثر شعره عدا عليه الضياع .

٣ - ومن أروع شعره قوله وقد طال عمره ، وشعر بفداحة عبء الحياة :

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى وليس برام !!

٤ - وقد صرح في شعره أنه جاوز التسعين في قوله :

كأن وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عني عذار لجامي

فليس بصحيح زعم من زعموا أنه عاش ٩٠ سنة ، بل جاوز المائة

(٣) أبو دؤاد الإيادي

مولده حوالي ٢٢٣ ق هـ (٤٠٦ م)

حاولت تطبيق (دليل النسب) لاهتدى إلى قدم أبي دؤاد ، فأعيان تطلبه ، ووجدت من المستحيل أن أعثر على نسبه كاملاً ، إذ كل ما ذكره الآمدي أن أبا دؤاد ، اسمه جويرية بن الحجاج ، من حى من إياد يقال له « يقدم » وهو الشاعر المشهور الذي يقول :

وكان « الطيالىسى » أوجز تعريفاً ، ولدى « الأصمعى » أنه حنظلة بن الشرق ومثله « ابن قتيبة » (١) ولم أجد من استوعب نسبه أكثر من غيره إلا أبا الفرج الأصفهاني (٢) ، فانه قال :

هو حائثة بن الحجاج : « حمران » بن بحر بن عصام بن منبه بن حذافة ابن زهير بن إباد بن زار بن معد بن عدنان ، وهو لم يذكر هنا من نسب أبي دؤاد إلا ١١ جيلا ، وهي أقل من نصف العدد المتوسط من عدنان إلى عصر النبوة ، لأن هذا المتوسط ٢٢,٦٥ جيلا .

فلا معدى إذن من تحقيق الموضوع بدليل السجلات الملكية ، ودليل المعاصرة ، وقد اجتمع الدليلان في ملوك أربعة هم بحسب الأقدمية : « المنذر بن النعمان الأعور ملك المناذرة » وقد كان « أبو دؤاد » على خيله (١)

و « المنذر بن ماء السماء » وقد كان أبو دؤاد جاره (٢) و « قباد بن فيروز » و « حجر بن الحارث » أبو امرئ القيس شاعر كندة ، فقد كان ابنه من رواة أبي دؤاد .

وكان دليل السجلات الملكية أدق في الدلالة على تعيين هؤلاء من دورة الفلك الزمانية ، فقد أرشدتنا هذه السجلات في بلاط المناذرة إلى أن « المنذر بن النعمان » حكم من ٤٣١ - ٤٧٣ م ، و « المنذر بن ماء السماء » - وهي أمه - ابن امرئ القيس ذى القرنين - وهو أبوه - حكم من ٥١٤ م وفي بلاط الأكاسرة أفادت سجلاتهم أن « قباد » أبا كسرى أنوشروان ، قبض على صولجان الملك من ٤٨٨ - ٥٢١ م ، وترى هذه التواريخ في جدول الملوك صفحة ٢٠ من هذا الكتاب ، وعند بحثك في صفحة ٣٠ منه كذلك ، تجد ملك كندة لقي مصرعه سنة ٥٥٠ م وبرجوعك إلى صفحة ٨٤ ، تجدني أثبت أن ابنه : شاعر كندة ، توفي ٦٣ ق هـ (٥٥٩ م)

النتيجة :

بترديد النظر في هذه التواريخ تجد ما يأتي :

(١) الشعر والشعراء ، صفحة ٦٩ ، والاعاني - ١٥ ، ومجمع الامثال ج ١ عند ذكر المثل « أنا المنذر المريان » (٢) المراجع المذكورة هنا .

١ — أكثرها إيغالاً في الجاهلية « المنذر بن النعمان » فقد بدأ حكمه سنة ٤٣١ م ، وأحدثها عهداً وفاة امرئ القيس ، فقد أثبت أنها كانت سنة ٥٥٩ م ، والمدة بين هذين الزمانيين ١٢٨ سنة ، ولم أعثر على أن أبا دؤاد من المعمرين حتى كان يصلح له هذا العمر ، فلو أنه عاش حوالى ٧٠ سنة ، وانطلقاً مصباح حياته حوالى مصرع « حجر أبي امرئ القيس » أى فى نحو ٥٥٠ م لكان ميلاده حوالى سنة ٤٨٠ م « ١٤٧ ق هـ » ومعنى هذا أنه لم يعاصر المنذر بن النعمان ، ولكن المراجع دلتنا على أنه عاصره ، لأنه كانه مرفاً على إدارة خيله ، وأنه أدرك خمس سنوات من حكم هذا العاهل أى اتصل به سنة ٤٢٦ م فلا مفر من مراعاة هذا ، ومراعاة أن امرأ القيس كان من رواته ، وهو فى سن العشرين أى سنة ٥٤٩ م وأنه عاش نحو ٢٠ سنة قبل أن يشرف على خيل المنذر بن النعمان .

ونتيجة لهذه الموازنات نجد ميلاد « أبي دؤاد » حوالى ٤٠٦ م « ٢٢٣ ق هـ » ووفاته حوالى ٥٤٩ م (٧٦ ق هـ) فيكون عمره بالسنين القمرية ١٤٧ سنة ، وبهذا يثبت أنه من المعمرين ؛ وليس من الضروري أن يذكره السجستاني منهم لأنه لم يستوعبهم .

مزلّة الشعرية :

اتصال « أبي دؤاد » بالأكسرة والمناذرة ، وانتظامه فى سلك الموظفين بالخاصة الملكية لدى ملوك الفرس ، وتنعمه بترف التصور ، واين العيش فى ظلالهم ، لا بد أن يكون قد أضفى على شعره كثيراً من الرواء والرواق ، وأكسبه كثيراً من الرقة والصقل ؛ بجارة لحضارة البيئة إذ ذاك . ولا يد فوق هذا من أنه قد حدثته نفسه بالتجديد فى الشعر العربى ، ونبت التقاليد البالية ، التى يقدسها المحافظون فى كل زمان وكل أمة ، ونتيجة هذا أن يثور عليه زعماء المحافظين ، وينفروا منه ، ويرموا شعره بكل نقيصه ، أو يعملوا على إيماته ، فهل ورد فى تاريخ الأدب ما يثبت كل هذا ؟

نعم ، فقد قص علينا « أبو الفرج الأصفهاني » (١) أن الرواة كانوا لا يروون شعر « أبي دؤاد » ولا شعر « عدى بن زيد التيمي » ؛ لمخالفتهم مذهب الشعراء . إذن كان « أبو دؤاد » من الشعراء المجددين ؛ وكان يخالف مذهب المحافظين من الشعراء فيما وجدوا عليه آباءهم ، جملة وتفصيلا ، وفي اللفظ وفي الأسلوب وفي المذهب ، وفي الفكرة .

الأغراض الشعرية التي نبغ فيها

وإذا رجعنا مرة أخرى إلى تاريخه الذي أشرت إليه هنا ، نجده في شبابه كان يشرف على إدارة الركائب الملكية (٢) في بلاط الأكرسة ، ومعنى هذا أنه كان مشهورا بالفروسية ، ومن الفرسان الممتازين ، بل من خبرائهم ، وهذا - من غير شك - هو الذي جعله أهلا لهذه الثقة الملكية السامية الغالية ، وقلده هذا العمل الفني الذي اشتهر به فرسان العرب ، فإذا راعينا مع هذا أنه كان شاعرا ، وأنه مرهف الحس ، وأنه من المجددين ، وأن الترف مما يفجر ينابيع النبوغ لبعض الأغراض ؛ كما أن البؤس يفتح آفاقا للشكوى من الزمان ، تبين لنا أن الأغراض التي نبغ فيها ، لا بد أن تمت إلى ما في بيئته بأقوى صلة ، فهل في آثاره الشعرية ما يؤكد استنباطي ؟

نعم ، فقد أجمعت المصادر الأدبية والتاريخية أن أبا دؤاد كان آية في وصف الخيل ، ولهذا قرر « الأصمعي » أن ثلاثة كانوا يصفون الخيل ، لا يقارهم أحد : « طفيل الغنوي » و « أبو دؤاد » و « النابغة الجعدي » بل قال محمد بن العباس اليزيدي : لم يصف أحد قط الخيل ، إلا احتاج إلى « أبي دؤاد » .

(١) الأغاني ١٥ : ٩٦

(٢) يشبه في هذا جد المرحوم أحمد حسنين باشا في عهد الخديوية

حكمهم :

ولم يفت « أبا دؤاد » أن يكون حكيمًا في شعره ، وحسبك أن الخطيئة جعله أشعر الناس عندما سئل : من أشعر الناس ؟ فقال الذي يقول :

لا أعد الإقتار مُعدما ولكن فقد من قدر زنته الأعدام (١) !

فأبهم شعره أذنه ؟

ندر أن يزيد ما اختاره له المؤلفون القدامى على ستة أبيات ، فما السبب ؟ مع أنهم قد حكموا أنه من شعراء القصيد ! لا سبب إلا تعصب الرواة ، وحقد المحافظين ، وحسبك من شر سماعة .

(٢) الأضبط بن قريع (٢)

ميلاده حوالي ٢٥٨ ق هـ (٣٧٢ م)

من مفاخر بني تميم أن يمثلهم في ركب الشعراء الجاهليين « الأضبط بن قريع المزروعى » بن شعراء القصائد ، و « المستوغر بن ربيعة » من شعراء المقطعات ، وقد تقدم الثانى فى القسم الثانى وهو المختص بالمقطعات ، صفحة ١٣٨ من هذا الكتاب .

أما « الأضبط » فقد نظم الرواة بين شعراء القصيد ، الذين كانوا أول من زوى لهم كلمات تبلغ الواحدة منها ثلاثين بيتا من الشعر ، وهم : مهلهل وذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، وضمرة بن بكر السكناني ، والأضبط

(١) الشعر والشعراء ص ٦٩

(١) هو الأضبط بن قريع بن مزروع الأصغر : «مالك : عوف» بن مزروع الأكبر :

«كعب : عوف» بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس

بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

هذا (١)، ثم استأنف ثعلب كلامه فقال :

« وكان بن هؤلاء وبين الإسلام ٤٠٠ سنة ، وكان « امرؤ القيس »
بعد هؤلاء بكثير . »

كيف عرفت أقدميته ؟

برهن (دليل النسب) على أن من الأضبط إلى عدنان ١٥ جيلا ،
ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان - وهو دليل الصحابة -
٢٥ / ١٩ جيلا ، فمن الأضبط إلى دليل الصحابة ٢٥ رء أجيال .

دليل العشرة :

وفي دليل العشرة الأقربين ، عمدت إلى « المزارعة » عشيرة الأضبط ،
وعشيرتي ، فاخترت منهم خمسة من صحابة النبي ﷺ ، وهم صعصعة بن معاوية
وجارية بن قدامة ، وربيع بن مالك ، وزباد بن هوذة ، والحريش بن «لال ،
فوجدت جملة أجيالهم إلى عدنان ١٠٠ جيل ، متوسطها ٢٠ جيلا ، لكل صحابي
منهم ، وقد تقدم أن من الأضبط إلى عدنان ١٥ جيلا فهم يفوتونه في
النسب إلى عصر النبوة بخمسة أجيال - بحسب الواقع - وكنت من قبل
جعلت منه إلى عصر النبوة ٢٥ رء أجيال - نظريا - فجموع الفرقين ٢٥ رء
أجيال متوسطها ٦ رء أجيال ، مدتها ٦ رء × ٤٦ = ٢١١٦ سنة ، أي
إن الأضبط في سن السادسة والأربعين كان قبل الهجرة بنحو ٢١٢ سنة ،
فيلاده كان سنة ٢٥٨ ق هـ ٢٧٢ م فلا يضيرنا بعد هذا أكان من المعمرين
أم من غيرهم ، وأن يقرر السجستاني أنه مات في آخر الزمان بعد عده من
المعمرين (٢) .

(١) مجالس ثعلب ٤٧٩

(٢) كتاب المعمرين ص ٨ رقم ٨

أبجاده الأدبية :

إذا كان الرواة قد قرروا أنه ممن تروى لهم كلمة شعرية تبلغ ثلاثين بيتاً، وكان هذا في العصر العباسي، فإن تطاول الأمد بيننا وبينهم قد ضل علينا أن تصلنا هذه الكلمة، ولو وصلت إلينا لوجدنا فيها ما يسمع بالحكم لمنزلة الشعرية، أو عليها، وقد حاولت العثور على ديوان له في دار الكتب المصرية فلم أجد، فلا مناص بعد هذا من أن أقرر أن « ابن قتيبة » (١) وغيره سجلوا أنه القائل :

أذ ود عن نفسه ويخدعني !! يا قوم من عاذري من الخدعة! (٢)

وأن أول الشعر :

لكل ضيق من الأمور سعة والمسي والصبح لا فلاح معه
فصل حبال البعيد إن وصل الحب - ل وأقص القريب إن قطعه

إذن كان الأضبط من شعراء الحكم، ولم أعثر على شاعر أقدم منه، أو أمثله في كثرتها، فأكثر الشعراء بعده عالة عليه في هذا الغرض، ولن يستطيع أن يصدر هذا الحكم الجريء إلا نظريتي، التي وفقني الله إليها.

(٥) امرؤ القيس

ولد حوالي ٩٦ ق هـ (٥٢٩ م)

أما « امرؤ القيس » فقد أثبت في صفحة ٤٢ من هذا الكتاب أن وفاته كانت ٥٥٩ م (٦٣ ق هـ) وديوانه المتداول بين أيدي الأدباء يدل على أنه من

(١) الشعر والشعراء ص ١٤٤

(٢) الخدعة كما شير الخداع والتبس الأمر على صاحب الأغاني في الجزء ١٦ فقرر أن الخدعة هنا قوم من بني تميم وليس بصحيح لأن الخدعة في البيت واحدل عليه الضم، والخدعة من بني تميم جماعة هم عند الدقة أولادكمب : « مزروع الأكبر » بن سعد بن زيد مناة ابن تميم، وأنا أعرف الناس بعشيرتي ورب الدار أعرف بمن فيها

شعراء الفصحاء ، بل أمير الشعراء الجاهليين ، فتصفحه إن شئت ، وحسبه أن يرجح الدكتور طه حسين أنه أقدم الشعراء الذين يروى لهم شعر كثير ، ويتحدث الرواة عنهم بأخبار كثيرة (١)

(٦) عبيد بن الأبرص (٢)

ولد حوالي ٢١٢ ق هـ (٤١٧ م)

ال نظرة الأولى إلى ما نسب إليه من شعر في مغرب حياته ، تدل على أنه عاش أكثر من ٢٢٠ سنة ، ويؤخذ هذا من قوله - من بحر الكامل - :

ماتني زمان كالمدين وبضعة عشرين عشت معمرا محمودا
أدركت أول ملك نصر ناشئا وبناء شداد وكان أيدا
وطابت ذا القرنين حتى فاني ركضا وكدت بأن أرى داودا
ما ينبغي من بعد هذا عيشة إلا الخلود وهل تنال خلودا (٣)

وقد أشار في هذه الأبيات إلى :

١ - أنه عندما قال هذا الشعر ، متبرها بالأيام لطول عمره كان ابن ٢٢٣ سنة على الأقل .

٢ - وأنه عندما كان غلاما ناشئا أدرك أول ملوك نصر اللخميين .

٣ - وكان يدرك ذا القرنين وداود عليه السلام .

فأما بلوغه من السن نحو ٢٢٣ سنة على أقل تقدير عندما قال هذا الشعر ، ففيه مبالغة ، تكاد تبلغ ضعف العمر الحقيقي ، لأكثر المعمرين ، لهذا سآزره مؤقتا حتى ننتهي من الدعويين الباقيتين :

والدعوى الثانية أنه كان غلاما لما أدرك أول ملوك اللخميين .

وبتصفح جدول هؤلاء الملوك صفحة ٢٠ من هذا الكتاب ، نجد أن أول ملوكهم عمرو بن عدى بن نصر اللخمى ، حكم من ٢٦٨ م ٣٦٥ ق هـ .

(١) في الأدب الجاهلي ص ٣٠٤

(٢) أخبرتنا جهرة ابن حزم أنه عبيد بن الأبرص بن حشم بن عامر بن هر بن مالك ابن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان ، ودلتني شجرة الأنساب التي جمعتها على أن دودان ابن أسد بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

(٣) كتاب المعمرين صفحة ٦٠ رقم ٥٩ ، وبلوغ الأرب ج ٢ : ٢٨١

فلو أنه كان ابن عشر سنين إذ ذاك ، لكان ميلاده حوالى ٢٥٨ م (٣١٥ ق) ، واعتمادا على أنه عاش بعد مصرع 'حجر الكندي' بيد بنى أسد سنة ٥٥٠ م ، بل لقي حتفه أيام المنذر بن امرئ القيس ملك الحثم - أى بين ٥٥٠ (٥٦٣ م) أى حوالى سنة ٥٥٦ م ، نجد أن «عبيدا» عاش من ٢٥٨ - ٥٥٦ م أى نحو ٢٩٨ سنة !! .

وهذا بعيد لا يتصور العقل ؛ ويأباه العرف ، فوق أنه يزيد على ما قدره لعمره عند شكوى طوله بمراحل ؛ ولو أنه قريب من العمر الذى رواه له السجستاني ؛ إذ جعله ٢٢٠ سنة أو ٣٠٠ سنة ؛ بل أقل مما نقله ابن قتيبة (١) وهو ٣٠٠ سنة .

٣- والدعوى الثالثة أنه كاد يدرك « ذا القرنين » و « داود » ولاداعى لبحث زمنهما لأنه لم يدركهما باعترافه ؛ فما حقيقة عمره ؟ .
استفتيت « دليل النسب » و « دليل المعاصرة » ، وفيما يأتى ما أرشدا إليه :

دليل النسب

بالرجوع إلى شجرة أنساب بنى أسد ، رهط عبيد ، نجد منه إلى عدنان ١٨ جيلا . ومتوسط الأجيال لقبيلته من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٦ جيلا ، فمنه إلى عصر النبوة ٢,٦ من الأجيال ، مدتها $٢,٦ \times ٤٦ =$ نحو ٢٢٠ ق هـ (٤٠٩ م) .

وهذا عندما كان فى السادسة والأربعين من عمره - لأن الجيل عند بنى أسد ٤٦ سنة - فميلاده كان قبل هذا الزمن بنحو ٤٦ سنة أى سنة ٢٦٦ ق هـ (٤٤٣ م)

ولمعرفة مقدار عمره ، لا بد من معرفة سنة وفاته .
ولا سبيل إلى ذلك إلا باستفتاء (دليل المعاصرة) فإذا يرشد إليه
هذا الدليل ؟

دليل المعاصرة :

أفادنا هذا الدليل أن « عبيد بن الأبرص » كان يعاصر ملوكين مشهورين
وامرأ القيس الشاعر .

١ - الملك الأول هو « حجر الكندي » أبو « امرئ القيس » الشاعر ؛
وكان على بن أسد قبيلة « عبيد » وهذا الملك لقي حتفه على يد هذه القبيلة
سنة ٥٥٠ م (٧٥ ق هـ)

٢ - وملك الحيرة : « المنذر الثالث بن امرئ القيس » ، وهذا قد
غربت شمس حياته سنة ٥٧٨ م (٤٤ ق هـ)

٣ - أما امرؤ القيس فقد أثبت أنه توفي سنة ٥٥٩ م .

وأجمعت المراجع المختلفة على أن عبيدا قتل قبل موت امرئ القيس
ببضع سنوات ، أي حوالى سنة ٥٥٢ م (٧٣ ق هـ)

ربط

بعد هذا يسهل علينا أن نعرف عمر عبيد ، بعد أن أرشدنا دليل النسب
إلى أن ميلاده سنة ٢١٢ ق هـ (٤١٧ م) وهذا دليل المعاصرة إلى أن
مصرعه كان سنة ٥٥٢ م (٧٣ ق هـ)

فعمره = ٥٥٢ - ٤١٧ م أى نحو ١٣٥ سنة بالتقويم الشمسى ، ونحو
١٤٠ سنة بالتقويم القمري .

المبالغة في تقدير عمره :

فليس بصحيح ما تضمنه الشعر المنسوب إلى عبيد ، أنه عاش أكثر من

٢٠٠ سنة، وبضع وعشرين سنة ١١ ولا ما أخبرنا به « السجستاني »، أنه عاش ٢٢٠ سنة، أو ٣٠٠ سنة. ولا ما سجله « ابن قتيبة »، أنه عاش أكثر من ٣٠٠ سنة ! إذ هذه الأفعال تناقض تمام المناقضة، عمره الذي جمع طرفيه دليل النسب ودليل المعاصرة، فوق أن هذا العمر الذي حدده الشعر، والسجستاني وابن قتيبة، وأضرابهم لا يقره عقل، ولا يجيزه عرف، ويأباه الطب الحديث والصحيح الذي يؤيده المنطق، ويسنده دليل النسب. ودليل المعاصرة. ودليل السجلات الملكية، ويزكيه الطب الحديث، ويناصره العرف العام هو أن عبيد بن الأبرص عاش حوالي ١٤٠ سنة بالتحويم الهجري، وكانت وفاته سنة ٧٣ ق هـ (٥٥٢ م).

ديوانه شعره :

منه نسخة مطبوعة في ليدن سنة ١٩١٣، رقم ٣١٣١ أدب في دار الكتب المصرية، والدكتور طه ينكره إلا قليلا (١).

شفاة: عبيد بن أسد :

ومما يدل على أن « عبيدا » كان ذا منزلة ممتازة، وأن الشعر في الجاهلية كان ينال من الأهداف ما تعجز عنه الأسنة والرماح، ما قصته علينا المراجع التاريخية والأدبية، من أن « حجرا أبا امرئ القيس » غضب على بني أسد — رعاياه — فقتل بعضهم بالعصا — فسموا عبيد العصا — وأسر من بينهم طائفة أخرى، منهم « عبيد »، فقام بين يديه ضارعا معذرا قائلا من قصيدة :

يا عين ها فابكي بني أسد هم أهل الندامة !
أهل القباب الحمروا نعم المؤبل والمدامة !

ومنهما:
 في كل ما د بين يث رب والقصور إلى اليامة
 تطريب عان أو صيا ح محرق وزقاء هامة
 أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة

فعفا عنهم ملك كندة ، رحمة بهم ، وتأثرا برائعة شاعرهم ، وردهم إلى بلادهم وفي أنفسهم ما فيها ، فلم يمس غير قليل حتى ركب بنو أسد كل صعب وذلول ، فما أشرق لهم الضحى ، حتى انتهوا إلى حجر ، فوجدوه نائما ، فذبجوه غيلة ! فثار الشر بينهم وبين بنى كندة وعبيدهم « امرئ القيس » وتوعدهم بقوله :

والله لا يذهب شيخي باطلا حتى أبيع (مالكا) و (كاهلا)
 فرد عليه عبيد بقصيدة منها :

ياذا المخوفنا بقة — ل أبيه إذلالا وحيننا
 أزعمت أنك قد قتلنا سراتنا !! كذبا ومينا (١)
 وكأن الأقدار أبت على عبيد إلا أن يشرب بالكأس التي جرعا
 « حجرا » ! فلقى مصرعه على يد ملك الحيرة ! ولكل جان مصرع !

على بر من طر مع عبيد ؟

لم تستكف المراجع المخلفة بذكر ما يعقل وما لا يعقل ، بالنسبة لهول عمره ، إلى درجة أقرب إلى الخيال من الحقيقة ، بل اختلقوا كذلك في ذلك البلاء الذي نزل بذلك الشاعر الزعيم النابغة ، فعصف بحياته ، وحرّم بنى أسد شاعرها الغرّيد ، وزعيمها الصنديد ، لا لذنّب جناح ، ولا لجرم اقترفه ، بل

(١) عند الدكتور طه أن قراءة هذه القصيدة توحي أنها من عمر القصاص . وبنده كذلك أن كل شعر امرئ القيس المتصل بشعر عبيد منحول كشعر عبيد (١) من ٢٢٠ في الأدب الجاهلي (٢) ٦٧

إشباعاً لشهوة صارت قانوناً ، وارتباطاً بعهد ليس هناك ما يبرره ، إلا ما كانت ترسف فيه الإنسانية من أغلال الاستبداد المطاق ، في تلك العصور المظلمة .

والأقن قال : إن يوم البؤس ويوم النعيم - اللذين جعلهما أحد ملوك الحيرة شعاراً له - قانون تخضع لرهبته الملوك فضلاً عن السوق !

إذا كان للضمير غفوة ، فإن له يقظة ، و « المنذر » كان من ملوك العرب ونبلائهم ، ومن أعرف الناس بطباع قومه ، وتقديرهم للنجدة والوفاء ، وحماية المستجير وإغاثة الملهوف .

لهذا لم يلبث أن رجع عن هذه البدعة السيئة (١) .

أما ذلك الملك الذي شاءت إرادته أن يقتل في يوم بؤسه « عبيد بن الأبرص » فلم يتفق الرواة على حقيقة ، فمنهم من جعله « المنذر الثالث بن امرئ القيس » وهو الذي تولى حكم المناذرة من ٥١٤ - ٥٨٧ م ومنهم من جعله « النعمان بن المنذر » الذي استمرت ملكيته من ٥٨٥ - ٦١٣ م .

ومن يؤيدون الرأي الأول « أبو الفرج الأصفهاني (٢) » ، و « البغدادى (٣) » ، و « الألوسى (٤) » ، و « اليعقوبى (٥) » ، ومن مؤيدى الرأي الثانى « ابن رشيق (٦) » ، انسياقاً وراء « حمزة (٧) » و « ابن قتيبة (٨) » .

ومما لا شك فيه أن القائلين بمصرعه في عهد « المنذر الثالث » أبعد نظراً ، وأدق تحقيقاً ، لأن دليل النسب ، ودليل المعاصرة ، وحقائق التاريخ تؤيدهم فوق دليل السجلات الملكية .

(١) بلوغ الأرب - ١ : ١٢٩ (٢) الأغاني - ١٩ : ٨٤

(٣) خزائن الأدب - ٢ : ٥٥ (٤) بلوغ الأرب - ١ : ١٢٩

(٥) تاريخ اليعقوبى - ١ : ١٦٨ (٦) العمدة - ١ : ٦٦

(٧) تاريخ سنى ملوك الارض ص ٧٣ (٨) الشعر والشعراء ص ٨٤

(٨) (المرقش الأكبر^(١))

ميلاده حوالى ٢١٦ قه (٤١٣ م)

من هذا الشاعر إلى عدنان ٢١ جيلا، ومتوسط أجيال قبيلته ربيعة في عصر النبوة إلى عدنان ٢٥ جيلا، فمنه إلى عصر النبوة خمسة أجيال، وعمر الجيل في ربيعة ٣٦ سنة، فمدة الأجيال الخمسة $5 \times 36 = 180$ سنة، فكان أنه ولد سنة ٢١٦ قبل الهجرة (٤١٣ م).

وإذا كان «المرقش» من شعراء القصائد بما قرره الباحثون، وبما عثرنا عليه من شعره؛ فليس ذلك بعجيب؛ لأن «أخاه حرملة» وأباه سعدا و«عمه عوف بن مالك» و«جده الأول مالكا» و«جده الثاني ضبيعة»، كانوا شعراء ولا يهمننا أكانوا من شعراء القصائد أم من شعراء المقطوعات؛ فإن هدفنا هو المرقش كشاعر قديم، ولو أن قصيدة أبيه التي بلغت خمسة عشر بيتا، تدل على أنه من شعراء القصيد كذلك، ومطلعها:

يابؤس للحرب التي وضعت أراط فاستراحوا (٢)

وقد قال هذه القصيدة في حرب البسوس، التي هاجت بين قبيلته بسكر وأخنها قبيلة تغلب، التي منها كليب ومهلل.

أقدمية المرقش وصنفته:

وقد ثبت هنا أن للمرقش أقدمية بين شعراء القصيد، وأنها تعمق في العصر الجاهلي إلى ما يقرب من قرنين ولیدا، وأن مكانته الشعرية وجهت أنظار الباحثين والأدباء في العصر العباسي الأول، فنظموه في سلك

(١) المرقش الأكبر هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة «الحصن» ابن عكابة بن صعب بن دلي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

(٢) ديوان الحماسة ج ١: ١٩٢

شعراء القصيد القدماء، وعد من الطبقة الأولى، وادعت بكر أنه وعمر بن قتيبة أشعر الشعراء .

إن تحديدي سنة ٤١٣ م لميلاده لا يعارض ما جاء في بعض الأخبار، أنه اتصل بملك الغساسنة « الحارث أبي شمر »، فإن هذا الملك تولى من ٥٠٠-٥٦٩ م على رأى « فولدكي » (١) وجعل من كتابه « المرقش »، تمتعاً بمناذمته، وشعره، لا أنه كان منقطعا للكتابة له، لأن الكتاب المختصين أتقن للكتابة منه، فهم أولى بها، ولكن إسناد هذا المنصب إليه كان للتشريف، إذ شهرته بالشعر أو المناذمة لم تكن موضع شك، فإضافة هذا اللقب إليه يضيف فخراً آخر له، ندر أن تمتع به واحد من رجال عصره، أما لو اتخذ شاعره، أو نديمه اسكان في هذا ساب لآثم ما يمتاز به المثقفون في كل عصر، وهو إحسانه القراءة والكتابة والاطلاع على المدونات المختلفة، وهذا هو السر في هذا المنصب السامي الذي خلعه عليه جلالة الملك الغساني .

عود على بدء :

وقد أثبت الدليل النسبي أن مولد المرقش كان حوالى ٤١٣ م (٢١٦ ق هـ) فلو أنه عاش ٩٠ سنة، لأدرك من حكم الملك الغساني ثلاث سنين . وبذا تكون وفاته سنة ٥٠٣ م، إذ تقدم أن ملك غسان تولى من ٥٠٠ - ٥٦٩ م وهذه السنة توافق ١٢٣ قبل الهجرة، فلا تعارض بين دليل النسب، ودليل السجلات الملكية، فكلاهما يؤيد صاحبه، وبذا يكون قد أدرك من حرب البسوس بضع سنوات، إذ تقدم أنها اندلعت سنة ٤٩٧ م . (١٢٩ ق هـ)

شعره :

من الأسباب التي جعلت شعره قليلا في أيدي الأديباء والمتأديبين، أقدميته

في الجاهلية، فهذا القدم، عصف بكثير من شعره، وكان من المؤمل ألا يضيع منه شيء، فقد كان ممن يكتبون في الجاهلية، هو وأخوه حرملة، لأنهما تخرجا على يد نصراني من أهل الحيرة (١) فمن المعقول أن يكون المرقش الأكبر أولاهما اهتماما بتدوين شعره، فكيف عبثت به الحوادث فوق عبثها بما كان له في صدر الرواة ! .

أشهر ما وصل إلى من شعره لا يجاوز سبعين بيتا في خمس قصائد، وثلاث مقطوعات، ولعل أشهر شعره البيتان المشهوران :

الذشر مسك، والوجوه دنا نير؛ وأطراف الأكف عجم
والدار وحش والرسوم كما رقص في ظهر الأديم قلم

وقد كانا بما قاله بعد عودته من لدن الغساسنة، في بنت عمه عوف (٢)، لما علم بزواجها في غيبته برجل من مراد :

(١) الأبناني ج ٦ : ١٣٠

(٢) قيل سمي المرقش عوف باسم والد أسماء التي كان يهاكها في المفضليات، وإذا ذكر المرقش الأكبر تذكرنا المرقش الأصغر بن أخيه، وأحد المتيمين كذلك وكانت محبوبته فاطمة بنت المنذر بن النعمان، وقد حقت أن للمرقش الأصغر ولد حوالي ٢٠٠ ق هـ (٤٢٨ م)، فهما ممن اشتركوا في حروب بكر وتغلب، لأنهما بكر يان .

شعراء المعسكر الثالث :

(٨) (أفوه) لألأؤدى (١)

ميلاده حوالى ٢٤٠ ق هـ (٣٩٠ م)

أعجب ماسطره باحثو سيرته ، قول البكرى : « إنه جاهلى قديم » ، وذكر بعض المؤرخين أنه أدرك المسيح !! فكأنه بهذا كان فى القرن السابع قبل الهجرة ! ، ويليهِ مارواه (ثعلب) فى أماليهِ ، عن الأصمعى فى بعض رواياته « أنه من سبقوا الإسلام بأربعائة سنة » ! وعكس هذين مارواه بعض كتب الأدب أنه كان فى عصر الملك المنذرى : عمرو بن هند الذى حكم من ٥٦٣ - ٥٧٨ م ؛ فما أى نظريتى ؟

١ - دليل الفسب

تصفحت شجرة السكهلانيين فظهر لى أن من (الأفوه) إلى (قحطان) جده الأكبر ٢١ جيلا (٢)

ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى قحطان فى السكهلانيين ٣٢ جيلا فالفرق الأول بين هذين العددين ١١ جيلا ، مدتها $11 \times 40 = 440$ سنة قبل الهجرة .

٢ - مقياس العسيرة

ودفعنا لما قد يكون من سقوط بعض حلقات نسبه ، أو زيادتها ، أو وجود بعض آبائه المعمرين ، عن قد يهبطون بعدد الأجيال ، وما أشبه

(١) المزهر ج ٢ ص ٢٩٦ والاعانى ١١ : ٤٤

(٢) لان الأفود : صلاة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود ابن الصعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب الأصغر بن عريب بن زيد ابن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان

بسبب عصف الحروب ببعضهم شيانا ، استحسننت أن أختار طائفة من الصحابة الذين يلتقون به في أحد آبائه ، فصادف اختياري عشرة منهم ، التقوا به في جد هم « أدد بن زيد » وهم :

العدد	الأجيال إلى		رقمة في كتاب الإصابة
	أدد	قحطان	
١	١٤	٢٣	قيس بن سلمة
٢	١٥	٢٤	امرؤ القيس بن عابس
٣	١٨	٢٧	إبراهيم بن قيس
٤	١٧	٢٦	زرارة بن قيس
٥	١٨	٢٧	جهيش بن يزيد
٦	١٥	٢٤	دريد بن كعب
٧	١٦	٢٥	أبو هند الداري
٨	١٦	٢٥	تميم الدراي
٩	١٥	٢٤	مروان بن مالك
١٠	١٦	٢٥	نعيم بن أوس

فجملة أجيال هؤلاء العشرة إلى « أدد » ١٦٠ جيلا ، ومتوسطها ١٦ جيلا ومن (الآفوه) إلى جده وجد هم (أدد) ١٠ أجيال ؛ فهو أقل منهم ستة أجيال هي عدد الأجيال التي بينه وبينهم إلى عصر النبوة .

موازنة :

وبالرجوع إلى نسبه هو نجد منه إلى قحطان ٢١ جيلا كما تقدم ومنهم إلى هذا الجد أيضا ٢٥ جيلا فهم يفوقونه في النسب الأعرق ٤ أجيال وقد تقدم أنه يقل عنهم في النسب إلى أدد ٦ أجيال

فمتوسط العددين الآخرين ٥ أجيال، مدتها $٥ \times ٤٠ = ٢٠٠$ سنة

تناقضهم دليل النسب ودليل العشيرة

وبموازنة هاتين النتيجةين لدليلي النسب والعشيرة، نجد تناقضا عجباً!

إذ « نتيجة دليل النسب » تفيد أن الألفوه كان في سن الأربعين سنة ٢٠ قبل الهجرة، وهو قريب من رواية ثعلب .

و « نتيجة دليل العشيرة » تفيد أن الألفوه كان في سن الأربعين سنة ٢٠ قبل الهجرة .

فالبعد بينهما ٢٤٠ سنة، وهو رقم كبير، فلا محض عن استشارة دليل ثالث وهو :

« دليل المعاصرة » وقد تناقلت كتب التاريخ القديم أن « الألفوه » و « عوف بن الأحوص » و « أبا لبيد : ربيعة بن مالك » كانوا في عصر واحد، وشرح هذا أن « بني أود » القحطانيون أغاروا على « بني عامر » الربيعيين ثاراً لقتيل لهم، وكان المغيرة بن قتيادة « الألفوه » فرض مرضاً شديداً، فتاب عنه في القيادة « يزيد بن الحارث الأودي »، ونخاف الألفوه حتى أفاق من وجعه، فلقى نائبه في أثناء المسير « بني عامر » وعليهم قائدهم « عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب » فاشتبك الفريقان، فظفرت أود، وأصابوا مغنياً

وبالبحث عن زمن (عوف قائد بني عامر) في شجره قيس، نجد منه إلى عدنان ١٨ جيلاً، فمنه إلى عصر النبوة جيلان، مدتها $٢ \times ٤٠ = ٨٠$ سنة أي كان عوف قبل الهجرة بنحو ٨٠ سنة، وبترك هذا الرقم قليلاً، للبحث عن زمن أقاربه نجد أبرزهم في سلسلة نسبه « ربيعة بن مالك بن جعفر » وهو ابن عم « عوف »، وربيعة كذلك « أبو لبيد الشاعر » المخضرم الذي

عاش نحو مائة وسبع وخمسين سنة ، نحو نصفها في الجاهلية ، فكان ليبدأ أدرك منها جيلين ، وكان أباه وعمه كانا في جيل ثالث ، ومدة هذه الأجيال الثلاثة $٣ \times ٤٠ = ١٢٠$ سنة .

وقد تقدم أن الأجيال بعد بلوغ عوف الأربعين إلى الاسلام تقدر بجيلين ، فإذا ضم إليها جيل عوف ، كانت الأجيال ثلاثة ، وكانت مدتها $٣ \times ٤٠ = ١٢٠$ سنة ، فالمدتان متحدتان ؛ ولسكن عوف إنما خاض غمرات الحرب في نحو الأربعين من عمره حوالى سنة ١٣٠ قبل الهجرة ، فكيف التوفيق بين ١٢٠ و ٢٠٠ التى أرشدنا إليها دليل العشيرة ؟ إن التوفيق سهل إذا اعتبرنا أن الأفوه إذ ذاك في سن التسعين ، وعوفا في سن الثلاثين

نتائج

وبهذا ينتج أن

١ - هذا الشاعر الأودى كان قبل الهجرة بنحو ٢٠٠ سنة في ذروة قوته الجسمية .

٢ - وأن ميلاده كان حوالى ٢٤٠ ق هـ (٣٩٠ م) ، فلو صدقنا ما يقال من أنه توفى في أيام عمرو بن هند - وقد حكم من ٥٦٣ - ٥٧٨ م - وافترضنا أنه توفى في السنة الأولى من حكمه ، لامتد عمره من ٢٤٠ قبل الهجرة (٣٩٠ م) إلى ٥٦٣ م وبذا يكون قد بلغ من العمر ١٧٣ سنة فهل هذا ممكن ؟ الشعراء يؤيدونه ، ولسكن من العلماء من ينكره ، وفي الامكان أن يكون قد عاش نحو ١٥٠ سنة ، أما الثلاثة والعشرون الزائدة على الأعوام ، فسببها أن أباه أو أحد أجداده كان من المعمرين كذلك ، وأنجب من بعده في سن متأخرة ، فطرح ٢٣ سنة من عمره على عمر والده مثلاً ممكناً ، هذا إذا لم تصدق أنه عاش ١٧٣ سنة

(٣) فليس بصحيح بعد هذا أنه أدرك سيدنا عيسى ، وليس بحق أنه كان قبل الهجرة بنحو ٤٤٠ سنة ، وهى التى أوحى بها دليل النسب ، بل

الصحيح أن ميلاده كان حوالى ٢٤٠ سنة قبل الهجرة ، (٣٩٠ م) .

شعره :

بالاطلاع على آثاره الشعرية فى ديوان شعره ، نجدها أكثر من ٢٠٠ بيت ، فى ثلاثين بين مقطوعة وقصيدة ، وهى فى جملتها ، سهولة الألفاظ ، واضحة المعانى ، لينة الأسلوب ، غنية بالحكم والأمثال والعظات ، وحسبه شهادة عبدالله بن الزبير له ، فإنه قرأ قوله :

بلوت الناس قرنا بعد قرن فلم أر غير ذى قيل وقال
ولم أر فى الخطوب أشد هولا وأصعب من معاداة الرجال
وذقت مرارة الأشياء طرا فما شئ أمر من السؤال !

فلم يكذب ينهى منها حتى قال : « هذه الأبيات الثلاثة جامعة لما قالت العرب » !

وأطول قصائده ، منها قصيدة فى ٣١ بيتا مطلعها :

أما ترى رأسى أزرى به . . .

وثانية فى ٣٠ بيتا مطلعها :

إن ترى رأسى فيه قزع وشواقى خلة فيها دوار (١)
أصبحت من بعدلون واحد وهى لونان وفى هذا اعتبار !

و (ثالثة) فى سبعة عشر بيتا منها :

فينا معاشر لم يبنوا لقومهم وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

وتعد هذه القصيدة من حكم العرب وآدابها الرائعة .

و (رابعة) فى تسعة أبيات قالها لمناسبة انتصار قوم « بنى أود » على « بنى عامر » ، وكان بوده أن يقود الجيش لولا أنه مريض مرضا شديداً ،

(١) « قزع بفتح القاف والزاي » . سحاب ويقصد أنه شاب لأن النزاع السحاب والمقصود هنا السحاب الذى اختلط أبيضه بأسوده (والشواة) جلدة الرأس ، و (دوار) دوران الرأس

فأناب عنه « يزيد بن الحارث الأودى » ،
ومن هذه القصيدة :

ألا يالهف لو شهدت قنات قبائل عامر يوم الصليب . . .

و (خامسة) في ثمانية أبيات . . . وبهذه وأمثالها يتضح أنه من شعراء
القصائد ؛ وأنه أقدم من مهمل ، وأشبه الشعراء القدامى به في شرف أسلوبه
ورقة نسجه ، وإن لفظه ، وثرى حكمه ، الشاعر المزروعى : « الأضبط بن قريع »
وفي دار السكتب المصرية ديوانه بخط مغربي رقم ١٢ ش / وشرحه

أبرهما أستاذ صاحب :

بدون نظريتي يصعب الحكم أيها السابق ، وأيهما المسبوق ، إلا إذا كان ذلك
رجما بالغيب ؛ أما بعد تأسيس قواعدهما ، فإنه يسهل علينا أن نحكم عن ثقة
واطمئنان ، أن الشاعر المزروعى أقدم بنحو قرن ، إذ أنه كان في سن
الأربعين في نحو ٣٠٠ سنة قبل الهجرة ، أما الأفوه فقد كان في هذه السن
في نحو ٢٠٠ قبل الهجرة ؛ لذا لا تريب علينا إذا حكمنا أن الأفوه أحدث ،
فهو المسبوق بكثير من معانيه في الحكمة ، ولا مزية في أن أصفى معين
منه اغترف الأفوه كان شاعر المزارعة ، بل شاعر تميم كلها في الجاهلية :
« الأضبط بن قريع » ، وليس من الضروري أن نسفشهد لما يؤيد هذا ، فالجمال
لا سعة فيه ، وليس المقام للتفاضل ، بل أيهما أقدم .

أى شعراء القصيد أقدم ؟

هؤلاء الشعراء العشرة الذين تصارعت في أقدميتهم آراء القدماء ،
لا اعتمادا على قاعدة مشهورة بينهم ، بل اعتمادا على السماع أو الترجيح ،
أصبح في مكننتنا بعد اليوم أن نعرض الجميع على نظريتي ، في تحديد الزمن
الجاهلي ، وقد انتهيت من تحقيق زمن كل منهم في موضعه ، وأعيد هنا
ترتيب هؤلاء ، وأبدأ بأقدمهم وهم :

أشهر شعراء المقطوعات والقصائد

ترتيبهم بحسب أقدميتهم

العدد	الشاعر	الميلاد		في سن العشرين	
		قبل الهجرة	بعد الميلاد	قبل الهجرة	بعد الميلاد
١	أعصر بن سعد القيسري العدناني	٥٦٠ ق	٧٩ م	٤٠٥ ق	٩٩ م
٢	ذؤيب التميمي العدناني	٤٢٥ »	٢٠ »	٤٠٥ »	٢٣٠ »
٣	الملك جذيمة الوضاح القحطاني	٤٠٠ »	٢٣٤ »	٣٨٠ »	٢٥٤ »
٤	العنبر بن عمرو بن تميم العدناني	٣٩٨ »	٢٣٦ »	٣٧٨ »	٢٥٦ »
٥	لجيم بن صعب الربعي العدناني	٣٦٠ »	٢٧٣ »	٣٤٠ »	٢٩٣ »
٦	لقيط بن يعمر الأيادي العدناني	٣٤٦ »	٢٨٧ »	٣٢٦ »	٣٠٦ »
٧	الأمير زهير بن جذاب السكبي القحطاني	٢٩٦ »	٤٢٢ »	٢٧٦ »	٣٥٥ »
٨	الأصمط بن قريم التميمي المزروعى	٢٧٦ »	٣٥٥ »	٢٥٦ »	٣٧٦ »
٩	ضمرة السكتاني العدناني	٢٧٢ »	٣٥٩ »	٢٥٢ »	٣٧٨ »
١٠	الأفوه الأودي القحطاني	٢٤٠ »	٣١٠ »	٢٢٠ »	٤٠٩ »
١١	الملك بهرام جور الفارسي	٢٢٩ »	٤٠٠ »	٢٠٩ »	٤٢٠ »
١٢	أبو ذؤاد الأيادي العدناني	٢٢٣ »	٤٠٦ »	٢٠٣ »	٤٢٦ »
١٣	المرقش الأكبر الربعي العدناني	٢١٦ »	٤١٣ »	١٩٦ »	٤٣٢ »
١٤	عبيد بن الأبرص الأسدي العدناني	٢١٢ »	٤١٨ »	١٩٢ »	٤٣٦ »
١٥	ابن حذاف القحطاني	٢٠٠ »	٤٢٨ »	١٨٠ »	٤٤٨ »
١٦	مهمل بن ربيعة الربعي العدناني	١٨٠ »	٤٤٨ »	١٦٠ »	٤٦٧ »
١٧	عمرو بن قبيصة الربعي العدناني	١٨٠ »	٤٤٨ »	١٦٠ »	٤٦٧ »
١٨	دريد بن زيد القضاي القحطاني	١٥٦ »	٤٧١ »	١٣٦ »	٤٩١ »
١٩	المستور التميمي المزروعى العدناني	١٢٠ »	٥٠٦ »	١٠٠ »	٥٢٥ »
٢٠	امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية	٩٦ »	٥٣٩ »	٧٦ »	٥٤٩ »

مناقشة رأى الدكتور طه حسين :

بسطت فيما مضى أدلنى على أقدمية عشرين شاعرا فى الجاهلية ، منهم ١٢ عدنانيون : أربعة من ربيعة أخت مضر . وثمانية من مضر ، و٦ عمنون ، وشاعر واحد فارسى من شعراء المقطعات واخترت هؤلاء دون غيرهم ، فبسطت أقدميتهم ، وظروفهم التاريخية والأدبية ، لانهم - ماعدا اثنين اخترتهما لبيان ما فات القدماء - هم الخور الذى تجمعت حوله أقوال البعثة قديما فى شعراء المقطعات وشعراء القصائد :

أما الدكتور طه حسين فلا يعترف لأحد منهم بوجود ، أو على الأقل هو يشك فى وجودهم ، وإن كان قد استثنى منهم امرأ القيس من شعراء الين ، وعبيد بن الأبرص من شعراء بنى أسد المضريين ، وعمر بن قيس ومهل بن ربيعة من شعراء ربيعة . وهذا هو الأمر الأول الذى أخالفه فيه مستنداً إلى ركن شديد من القدماء والحدثاء والتاريخ الأدب والسياسى .

وإن لا أشعر بالغبطة إذ أرائى تفردت بمخالفة الدكتور فى قوله :

(١) ، إن أعصر بن سعد بن قيس عيلان - إن عاش - فقد عاش فى

زمن متقدم جدا ، أى قبل الإسلام بعشرة قرون ، (١)

إذ قد برهنت هنا فى هذا الكتاب صفحة ١٣٦ ، ١٣٧ على أن سعدا هذا ولد حوالى ٥٦٠ قبل الهجرة ، بناء على القاعدة التى ابتكرتها ، والتى أرجو أن يشرفنى الدكتور باعترافها بها ، وخلاصتها أن عمر الجيل النسبى ٤٠ سنة ، ولو جاريت زعيم العمدة ، واتخذت من تقديره هذا رأيا له فى عمر الجيل ، لبلغ عنده نحو ٧٧ سنة ، إذ أن من أعصر إلى عدنان سبعة أجيال كما تقدم ، فمنه إلى متوسط عدد الأجيال من عصر النبوة عند المضريين ١٣ جيلا ، وبضربها فى ٤٠ - على رأى - ينتج أن سعدا فى سن الأربعين كان فى سنة ٥٢٠ قبل الهجرة ، فميلاده كان حوالى سنة ٥٦٠ ق هـ ، وعلى رأى الدكتور يسكون

(١) فى الادب الجاهلى ص ١٦٠ نقلا عن ابن سلام فى طبقاته .

زمن سعد ناتج ضرب $١٢ \times ٧٧ =$ نحو ألف سنة التي قال بها ، فيلاده
على رأيه كان حوالى سنة $١٠٠ + ٧٧ = ١٠٧٧$ ق ه أى قبل أن يخلق عدنان
الجد الحادى عشر لسعد بنحو ١٧٧ سنة . أى إن الفرع سبق أصله فى الوجود !!
وإذا كانت أقدمية سعد ستتقهقر من سنة ٥٦٠ إلى ١٠٧٧ ق ه ، فإن
أقدمية عدنان ، ستتبعها فى التقهقر بنفس النسبة ، أى من نحو ٩٠٠ سنة ق ه على
نظريتي ، إلى نحو ١٧٤٣ على نظريته .

مثال آخر يؤيد وجهة نظري : المدة الحقيقية من إبراهيم باشا إلى فاروق
الأول سنة ١٩٤٩ نحو ١٦٠ سنة ، يقابلها ٤ أجيال ، يمثلها إبراهيم ، وابنه إسماعيل
وابنه فؤاد ، وابنه فاروق .

وعلى نظريتي تكون المدة $٤ \times ٤٠ = ١٦٠$ سنة وهو عدد مطابق
للحقيقة ١٠٠ ٪ ، وعلى نظرية الدكتور $٤ \times ٧٧ = ٣٠٨$ سنة !

وبذا يتبين أن المدة التي قدرها لأقدمية سعد مبالغ فيها ، وأقرب إلى
الحقيقة أن تكون فى القرن السادس قبل الهجرة - على رأيي - بدل أن
تكون فى القرن العاشر قبلها - على رأى أستاذنا -

(٢) وأخالف الدكتور ثانيا فى تحديده زمن إسماعيل بنحو ١٥ قرنا قبل
الإسلام (١) أى نحو ٩ قرون قبل المسيح ؛ إذ قد أوضحت فى هذا الكتاب
صفحة ٤٣ أن من إسماعيل إلى عدنان ٤٠ جيلا . ومن عدنان إلى عصر
النبوة - فى المتوسط - ٢٢,٦٥ جيلا ، فالفترة ٦٢,٦٥ جيلا مدتها - على
رأيي - $٦٢,٦٥ \times ٤٠ =$ نحو ٢٥٠٦ سنة ق ه ، وهذه توافق القرن التاسع
عشر قبل ميلاد المسيح ، وبما له دلالاته فى تدعيم نظريتي أن هذا التاريخ هو الذى
حدده المحققون من مؤرخى الغرب العصريين لتاريخ إسماعيل ، وبذا يتبين أن
ربط إسماعيل بالقرن ١٥ قبل الإسلام - فى رأى الدكتور - ينقص عن تحديد

المؤرخين العصريين في الغرب أولا ، وعن تحديدي بناء على نظريتي ثانيا
بأكثر من عشرة قرون !.

فلو أردت أن أنزع لبعائثنا رأيا آخر في عمر الجيل النسبي - غير رأيه
الذي أبداه في زمن أعصر بن سعد بن قيس عبلان -

لتبين أنه أقل من ٢٤ سنة ، وذلك بقسمة ١٥ قرنا قبل الإسلام - التي
حددها - على عدد الأجيال من إسماعيل إلى عصر النبوة ، وهو ١٢٨٥ ر ١٢
جيلا ! فبأي نأخذ ؟ : أبجعل عمر الجيل ٧٧ سنة وهو الذي أبداه في تحقيق
تاريخ أعصر بن سعد ، أم بأقل من ٢٤ سنة وهو العمر الذي رآه للجيل في
تحقيقه زمن إسماعيل ؟

بما لا شك فيه أن الدكتور لم يرد وضع قاعدة لعمر الجيل في حديثه
عن زمني أعصر بن سعد وإسماعيل النبي ،

إنما هما رأيان دعت إليهما ظروف البحث ، وأكبر ظني أن أستاذ
الأدباء الدكتور طه ، لو سئل الآن بعد بضع وعشرين سنة من تأليفه
كتابه « في الأدب الجاهلي » ، لغير كثيرا من آرائه التي أبداهها هناك ، ولما كان
منها تزييف أحد العمرين اللذين قدرهما لعمر الجيل ، ولتفضل على بعد هذا
بموافقته على رأيي - وأنا الجندی المجهول - في تقدير عمر الجيل النسبي
بأربعين سنة ، وهو ما أيدته باثني عشر برهانا ، متوجة برأي التوراة أولا
والقرآن أخيرا ، وليس هذا بدعا من حضرته فهذه شيمة العلماء من قديم
لا يمتسكون برأي ، إلا ريثما يعثرون على رأي آخر ! أوضح حجة وأشرق
فكرة متابعة لنشاطهم المتجدد ، ولولا هذا ما تقدمت العلوم والفنون
والآداب ، وما رأى أدباء العالم نابغة كالدكتور طه ، هبة النيل ، وغفر الجيل .

٣ - وأخالفه ثالثا في قوله : كانت ربيعة عدفانية ، وليكنها لم تتكلم
لغة قريش قبل الإسلام (١) أو لغة القرآن لأنهما في رأيه واحد كما صرح

هذا مرارا وهو ما أخالفه فيه .

فلما كان الإسلام كان استعراها أيسر وأسرع - أى من استعرا ب أهل الدين -
ومعنى هذا أن ربيعة قبل الإسلام قضت عليها الظروف أن تستعجم ، فيكون
لسانها أعجميا لا عربيا ، ولم تصبح لهجتها عربية إلا بعد الإسلام !

وليعذر الدكتور إذا لم أستطع هضم هذا المذهب ، إذ لا معنى لأن
تفرد ربيعة عن جميع القبائل العدنانية لأن في هذا تجاهلا لصلصلة النسب ،
وصللة الدم ، وصللة الجوار ، وصللة العادات والتقاليد والثقافة العامة وصللة التاريخ
فيكون لسانها أعجميا ، ولسان القبائل العربية قاطبة عربي .

٤ - وأخالفه رابعا في إنكاره شعراء ربيعة وقحطان قبل الإسلام (١) ،
ونفيه كل شعر ينسب إليهم ، لأن هؤلاء في لسانهم من الأعاجم ، فليس
معقولا أن يقولوا شعرا باللهجة التي نسبها إلى مضر - لا إلى عدنان -

وردى على زعيم الأدباء من جهتين :

(الأولى) : أكان هناك مانع أن يقوم هؤلاء الينيون والربعيون بتعلم
اللغة التي نزل بها القرآن ، ثم يصير منهم شعراء بهذه اللغة ، فيزاحمون كل من
يقولون الشعر بها في الجاهلية ؟ ألسنا نجد مصريين ومصريات الآن يقرضون
الشعر باللغة الفرنسية مثلا وليسوا فرنسيين ! .

(الثانية) ألم يقرر الدكتور في كتابه (٢) أن في فرنسا - إلى جانب اللغة
الفرنسية لغات إقليمية لها نحوها ، ولها قوامها الخاص ، ولها شعرها ، ومع
ذلك فأهل الإقليم إذا أرادوا أن يظهروا آثارا أدبية أو علمية قيمة ،
يعدلون عن لغتهم الإقليمية إلى اللغة الفرنسية ، وقليل جدا من يذهب
مذهب « منسترال » فيكتب في لغته الإقليمية الخاصة . !!

فإذا يمنع أن يكون لأدباء ربيعة - إلى جانب لغتهم الإقليمية - لغة
أخرى يشاركون فيها سائر أدباء العرب من القبائل الأخرى ! .

(٥) وأخالفه خامسا في تعبيره بالشعر المضرى واللغة المضرية ، دون التعبير بالشعر العدنانى واللغة العدنانية ، إذ لماذا تعمد أن ينسب اللهجة إلى مضر دون ربيعة وهى أختها ؟ أليس فى هذا ترجيح بلا مرجح ؟ ولماذا لم ينسبها إلى أصل القبيلتين وهو أولى ؟ أليس أبوهما هو نزار ؟ وجدهما الثانى هو عدنان ؟ وربيعة ومضر من عرب الشمال ؟ والاختلاط بينهما لم ينقطع فترة من الفترات الجاهلية الطويلة ، فى سلم أو حرب ؟ والجزء الشمالى من جزيرة العرب فى البحرين وبين النهرين طالما ارتج تحت أقدامهم فى حروبهم ، وطالما سجل التاريخ فيها أيامهم ، مرقشة بروائع أشعارهم مفتخرين أو محرضين ؟ ولم تهاجر ربيعة إلى بقعة خارج شبه الجزيرة ؟ ولم تهجر قارة آسيا إلى قارة أخرى كإفريقية أو أوروبة ، حتى كنا نتخيل نسيانها لغتها العربية ، فنعدّها من الأعاجم ، وهو ما صرح به الدكتور !

حسبى هذا الآن حتى أبرهن لعميد الباحثين فى القسم الرابع من هذا الكتاب ، أنه ما كان يسوغ له أن ينسب طبيعته ، فيعد نفسه من المحافظين بعد عشرين سنة ، عندما جاراهم ، فقرر أن القرآن نزل باللهجة قریش ، وهو الأمر حمل الذى بعض المفكرين من الأدباء أن يشكوا فيه الآن ، ونهضت اليوم لأبرهن على أن هذه النسبة حملت على قریش حملا ، زلنى إلى خلفائها وولاتها . . . والدنيا إذا أقبلت على قوم أعطتهم محاسن غيرهم

المستشرقون والأدب الجاهلى

إذا عز على بعض رجال الأدب العربى أن يروعه زعيم الأدب العربى ، بتلك الحرب الخاطفة الشعواء ويختار لها ميدان الأدب الجاهلى ، وبشخنة جراحا ، مرة بالإنكار ، ومرة بالنشكك فى ذلك الأدب وفى رجاله ، فعليهم أن يتجلدوا ، فإن الحقيقة لا يحلو معدنها ، ولا ينشر فضلها ، كاصطكاك الآراء الحرة ، مهما تسكن متطفرة فأما الربد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكنك فى الأرض وعليهم أن يذكروا جيدا بجانب هذا أن بين المستشرقين من يقدر

الادب الجاهلى ، ويعترفون بفضله ، وصدق دلالته ، وأنهم مابرحوا يلتمسون مرآة الحياة الجاهلية فى الشعر الجاهلى ، لأنه صورة صادقة لنفوس قائله وعقولهم ، وأن مبالغة العرب فى المحافظة على دمائهم وأصولهم وأعرافهم ، وجهت أنظار العالم كله إليهم ، إعجاباً بهم ، فقرروا أنهم لم يعهدوا أمة تحافظ على سلسلة أنسابها محافظة الأمة العربية عليها ، مهما طالّت السلسلة . أو تعقدت ، وأن فى فرنسا وغيرها لغات إقليمية خاصة بكل إقليم ، ولغات عامة بين الأدباء الذين يريدون أن يسمع آثارهم أكبر عدد ممكن فى كل الأقاليم ، فليس هناك ما يمنع أن تطبق هذه القاعدة على العرب من أقدم العصور فى الجاهلية ، وليذكروا جيداً فضل كثير من أولئك المستشرقين وبحثة الغربيين أمثال : أدور براونلشر ، ورينان ، ونيلسكسون ، وثوربيك ، ونولدكه ، ورسفال .

وأن هؤلاء الأحرار المفكرين لم يفهم أن يطبقوا أحدث النظريات العلمية والأدبية على العرب ، فاقنعوا أخيراً بمنزلتهم الأدبية ، وسجلوا صدق كميات هائلة من الأدب العربى الجاهلى ، منظومه ومنشوره ، وأن تلك القصائد والمقطوعات المحفوظة من شعراء الجاهلية أوثق المصادر للغارات البدوية ، وعادات العرب وأخلاقهم وحياتهم وأيامهم .

وأن تغنى العرب بطيب أعرافهم ، ومكارم أخلاقهم ، ألزمهم أن يحفظوا كل ما أثر عن قبائلهم من شعر أو نثر ، وأن ينبثق الرواة بينهم كما انبثقت محطات الإذاعة الآن ، أو الصحف الحزبية فى العالم المتمدن ، يرددون ما سمعوا ، وينشرون ما حفظوا ، ويمثلون سماء البيد وأرضها بتلك الأغاريد العذبة ، والمفاخر الخالدة .

وأن مبلغ الذاكرة عند هؤلاء الرواة مما لا يفوقه شيء فى أخبار اليونان والرومان وغيرهم ، وأن حفظة القرآن المنتشرين فى كل بقاع البلاد الإسلامية الآن ، ولا سيما فى البلاد العربية لخير النماذج التى تذكر ، لتصدق ما يؤثر

عن رواية الجاهلية والإسلام من قوة الحافظة والذاكرة ،
وأن « سانت نيلوس » أحد حكام القسطنطينية ، لما ترهب في أواخر
القرن الرابع للمسيح ، سمع أناشيد العرب القديمة في صحراء سيناء ، فأثبت
هذا في مذكراته ، وكتب المؤرخ اليوناني « سوزومين » في القرن الخامس
الميلادي تاريخاً للكنيسة ، ومما جاء فيه أنه في القرن الرابع للمسيح تغلبت
إحدى قبائل العرب على جيوش الرومان في فلسطين ، فنظم شعراء العرب
الأناشيد والأغاني ، وتغنوا بها تسجيلاً لذلك الحادث السعيد ، والنصر المؤزر .

(٤) القسم الرابع

اللهجة التي نزل بها القرآن ليست قريشية وبراهينية الثانية على هذا

من القضايا الأدبية التي حولها السابقون عن معناها الأصلية فعرفت على الرغم
من هذا كيف تحتل نفوس المسلمين احتلال العقيدة الدينية ، تصدى علماء العصر
العباسي - عند وضع العلوم الدينية والعربية - للأثر : « نزل القرآن بلهجة
قريش » وقد تحدرت هذه القضية من العصر العباسي الأول إلى العصر العباسي
الثاني ، ومنهما إلى ما تلاهما من عصور حتى عصرنا الحاضر ، وكلما تحدرت
عصرًا زادت حصانة ! واكتسبت من مظهرها الديني قداسة ! فصار الخارج
عليها كالخارج على مقرر صريح الدلالة من أمور الدين ! ولا أحاشى من المسحورين
به جمهرة المتعلمين ، فإن العقيدة الدينية أمبق من الثقافة الأدبية ! ولم أر ذا
جراحة من المفكرين أعلن شكه في هذه القضية ، فضلاً عن نقضها ، بل محاولة
نقضها ، مع أنها ليست من الدين ، ولا من مسائله ، بل هي قضية لغوية
أو أدبية أو تاريخية لا يضير الدين مطلقاً ، ولا يؤدي عقيدة المسلمين أن
يصدق قول القدماء إن القرآن نزل بلهجة قريش ، أو قول المذهب الجديد :
إن القرآن نزل باللهجة العامة التي كان يتفاهم بها أدباء العرب وزعمائها كما

يتفاهم قادتنا الآن في مصر وفلسطين وسورية ولبنان والعراق والعربية السعودية واليمن والمغرب ، بتلك اللهجة الأدبية الخاصة بالمشققين وخدمهم ، أما عامة الشعوب العربية فلكل لهجته ، بل قد تعدد لهجات الإقليم الواحد كما أشرت إلى ذلك من قبل ، وبذا نجد للمثقفين الآن من العرب لهجتين عربيتين كما كان لأدبائهم في الجاهلية .

ومع ما في هذا البيان من الوضوح ، فإن أتوقع — من المكثرة الكثيرة — كل مَرِيش من السهام ، وليكن ذلك لن يزيدن إلا استمساكا برأي ، حتى يقوم واحد من المفكرين المختصين ، فينقض رأيي بدليل قطعي ، كما نقضت عقيدة اللهجة القريشية بأدلة كثيرة ، جعلت في ختامها دليلا قطعيا هو « نقش النمار » وحسبك دلالة على قيمته التاريخية وحدها ، أنه أقدم من ثمرات المجد القريشي بأكثر من خمسين سنة !

وإذا كانت الظروف لم تسعفني بكل ما أريد من البراهين القطعية ، فالمستقبل كفيل بإتمام الناقص ، وإقناع الجاحد ؛ والفكرة الصالحة كالبذرة الصالحة ؛ صادفت تربة خصبة ، إنها لا بد أن تشق طريقها إلى الحياة ، مسخرة كل ما يحيط بها من عناصر ، حتى تسمو فوق ما يحيط بها من التربة بأسقة نامية ناضرة .

إن رأي الذي كونه بعد طول النضال ، بين رأيي الدينية الأولى ، وحرية رأيي أخيراً ؛ أن اللهجة التي نزل بها القرآن ليست قريشية ، بل هي اللهجة القديمة التي اتخذها أدباء العرب لسانا لهم ، وبتعبير آخر هي اللهجة العامة بين خاصة العرب ؛ وهي التي كانوا يتفاخرون بها في سوق عكاظ ، ويتنافرون ، ويتعاضمون ، ويتحاضمون ويتهادنون فإذا رجعوا إلى قبائلهم تركوا تلك اللهجة الأدبية التي امتاز بها الأُدباء والخاصة ، وتفاهموا في كل أمورهم بلهجتهم القبيلية ، إذ كان لكل قبيلة لهجتها ، وكثرة القبائل مما يحتم كثرة لهجاتها فإذا ذهب خاصتهم إلى سوق عكاظ . تركوا لهجتهم الخاصة ، وشرحوها ما يريدون

باللهجة الأدبية التي يفهمها زعماء العرب وخاصتهم من كل القبائل ؛ فيسكون هذا أنشر لدعوتهم ، وأذيع لقضيتهم .

رأى الدكتور طه في الترجمة قريشون :

إن تاريخ هذه القضية كما قدمت يرجع إلى ما قبل العصر العباسي ، وقد تمكن علماء هذا العصر بمهارة عجيبة أن يسجلوها بين ماسجلوا من قضايا كثيرة ، دون تمحيص إذ لم يكن العصر عصر تنقيح ، بل كان عصر جمع وتدوين ، وما فعلوا هذا إلا زلفى إلى الخلفاء العباسيين ، وولائهم ، وأمرائهم ؛ شأنهم في كل ماله علاقة بقريش خلفاء الله في أرضه ، وعلى توالى الزمن أصبحت هذه القضية كحقيقة لا تقبل الشك ، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، حتى وصلت هدية مقدسة من الماضي إلى الحاضر .

وكنت أنتظر أن ينهض جريء عالم كالدكتور طه حسين ، لتصحيح الوضع ، وتعديل الأساس وتحرير هذه القضية التي اكتسبت من الدين قداسته ، دون أن يكون لها من الدين إلا الطلاء الخارجي ، ولسكن كانت دهشتي شديدة عندما رأيت في كتابه : في الشعر الجاهلي وفي الأدب الجاهلي يقلب كل معلوماتنا عن العصر الجاهلي رأساً على عقب ، ويأتى ببيانها من القواعد ، دون أن يجرؤ على مس هذه القضية ! بل كان عجب الجميع أشد إذ وجدوه في هذه القضية وحدها من المحافظين - وذلك خلاف طبيعته .. بل لسانهم الباسط لحججهم ، والناشر لقضيتهم !

وحسبك شاهداً لما أدعى أنه كرر نسبة اللغة إلى قريش في كتابه الأخير أكثر من ١٤ مرة من صفحة ٢٠ - ٣٥٠ ، ولا يخفف من هذا أنه في غير هذه المواضع كان ينسب اللهجة العربية العامة إلى مضر والمضريين ، وهم أقدم من قريش ، كما نسبها إلى القرآن وهذه كان يقصد بها لهجة قريش ، كما صرح بهذا في صفحة ١٠٧ .

وكانه شعر بالخرج لنسبته اللهجة إلى قریش في كل هذه المواضع دون أن يؤيده براهينه فقال : وأقدم النصوص الصحيحة التي عندنا من هذه اللهجة إنما هو القرآن .

(١) فنحن مضطرون أمام هذا الإجماع من جهة .

(٢) وأمام قرشية النبي ﷺ من جهة أخرى .

(٣) وأمام زول القرآن في قریش من جهة ثالثة .

(٤) وأمام فهم قریش للفظ القرآن في غير مشقة من جهة رابعة .

(٥) وأمام اتفاق القرآن في اللغة واللهجة ، مع ماصح من حديث النبي القرشي ، ومن الرواية عن أصحابه القرشيين من جهة خامسة ، إلى أن نسلم بأن لغة القرآن إنما هي لغة قریش ،

أدلة أخرى لغبر الركفور :

وقد يسوقك الحظ إلى بعض المدافعين عن لهجة قریش ، معتمدين على القياس المنطقي من جهة ، أو النقوش من جهة ثانية فتسمع قولهم :

(١) كل أدب يتوغل في الجاهلية أكثر من ١٥٠ سنة ، ليس بلغة قریش ، فلا يستطيع فهمه ، ولسكن هذه الآثار الأدبية التي بين أيدينا مفهومة ، فهي من لغة قریش .

(٢) وكل الآثار الفكرية التي باحت بها النقوش الأثرية إلى الآن في جزيرة العرب ، ليس فيها أثر أدبي ، فهذا دليل على أن ما بين أيدينا من آداب العرب ، لم يكن موجوا قبل قریش ، فكل هذه الآداب ثمرة غرسهم ، ونبعة خاطرم . والقرآن من نسج هذه الآداب : سدى ولحة ، فهو بلهجة قریش نزل ، وبأسلوبها أعجز !! .

وبناء على هاتين القاعدتين ، أو هذين الدليلين نجد هؤلاء الذين اتخذوا من أنفسهم مشرعين أدبيين ، لا يعترفون بقدوم أي أثر أدبي أسامة الرواية

قبل قريش ، لأن لهجتها - في رأيهم - امتصت كل لهجة مغايرة لها ! فإذا قلنا لهم : إن الرواة أجمعوا على أن « ضمرة السكناني » مثلا ، أو « أعصر ابن سعد بن قيس عيلان » ، أو « جذيمة الأبرش » ، أو « الأضبط بن قريع » . وأمثالهم ، لهم شعر مروي مسلسل ، تحدر على أفواه الرواة الأقدمين : راويا بعد راو ، وأن هؤلاء الرواة قبل « قصي » أول ملوك قريش ، وباني مجدها قالوا : إن هذا مدموس عليهم !! وياربما بالغوا في الإنكار فقالوا : إن هذا الشعر ، عليه مسحة الشعر العباسي ورواؤه ، ورقته وأناقته !! فهو شعر مصنوع ! وقد يجازفون فيدعون أن هؤلاء الشعراء وأمثالهم ؛ ليسوا إلا من تلاميذ المدرسة القريشية !

براهيني على أنه المقرآن لم ينزل بالهجر فريسه :
ومن حسن الطالع أن بين يدي براهين كثيرة تؤيد مذهبي ، بعضها قطعي ، وسأكتفي في هذه الطبعة بذكر براهين ثمانية :
البرهان المنطقي ، والقبلي ، والزمني ، وإجماع الرواة ؛ وآراء علماء اللغات ، والنصوص القديمة ، وحكام سوق عكاظ كعامر بن الظرب ، ثم أنوج كل أولئك بتسع من الآيات القرآنية ، ثم أختتم الأدلة بنموذج من النقوش الأثرية ، فهي من البراهين اليقينية :
وسأحاول فيما يأتي بسطها سافرة كالصبح ، مسترسلة كالنسيم ، في ثقة المؤمنين ، وثبات الأطواد :

(١) البراهين المنطقية :

لهجة قريش لهجة لالغة مستقلة عن لغة العرب ، وفرق بين الأمرين . فاللهجة بن اللهجات فرع من فروع شجرة واحدة ، وهذه الفروع اشتركت في الاستفادة - قبل كل شيء - من التربة ، وما فيها من أغذية ومياه وأملاح ، وما تحيط بها من أهواء وأضواء ، وكل فرع له من الخصائص ما للفروع

الأخرى ، غاية الأمر أن من الفروع السابق ، ومنها اللاحق ، وعدد الفريعات التي يغنيها هذا الفرع أكثر من التي يغنيها المسبوق .

وليس من الباحثين من ينكر أن اللهجات العربية ورثت عن أمها كثيراً من مقوماتها ، وخصائصها في الأصوات ، وأصول المفردات ، بل التعابير ، والحكم ، والأمثال ، بل الخطب ، والأشعار ، والمصطلحات القديمة : اقتصادية ، أو دينية ، أو حربية ، أو اجتماعية .

ومن هذه اللهجات لهجة قریش فما قال باحث إنها مستقلة استقلالاً تاماً عن أخواتها أو أمها ، وهذا يقتضي أنها ورثت عن أمها ، وعن أخواتها السابقات ، واقترضت من عشائرها القربى ، واستعارت من كل مراقها من لهجات القبائل من ألسنة شعرائها وخطبائها وحكامها وتجارها وعامتها وخصتها فهل هي مع هذا مستقلة عن أخواتها ، منكرة لما ورثته عن الآباء والأجداد !!

(١) الدليل القلبي :

أشهر قبائل العرب التي كان لها نصيب واضح في الوضع اللغوي هي : « تميم ، و « قيس ، و « أسد ، و « هذيل ، و « سعد بن بكر ، و « جشم بن بكر ، و « نصر بن معاوية » و « ثقيف ، و « بعض كنانة — أصول قریش — و « بعض الطائيين ، فهذه القبائل العشر هي التي كان لها أكبر الفضل في وضع تلك المفردات العربية ، والصيغ والعبارات والحكم والأمثال والأساليب . وإن كان للثلاث الأولى نصيب الأسد

وقصى أول ملوك قریش لم يبن مجدها الديني والسياسي والاجتماعي إلا بعد أن فرغت تلك القبائل من أهم ما تحتاج إليه اللغة جملة وتفصيلاً وكل قبيلة من هذه القبائل لم يفتأ أن تضع لبنات ذهبية في ذلك الصرح اللغوي الشامخ فإذا جاءت قریش في أعقاب هذه القبائل ، فراقها الروض وقد أزهى وأثمر ، وملاً الأرجاء بشذاه العطر ، فعن لها أن تسير في ظلال تلك القبائل

التي سبقتها ، وتستعير منها أرق أساليبها ، وأخف ألفاظها ، وأحسن تعابيرها
فنتعمله في محادثات تلك القبائل وغيرها فنعلم شهرته ، ويكثر استعماله
أذا كان هذا كل ما أثر عنها من العمل ، تعطى نصيب الأسد ، ويتجاهل
أساتذتها من القبائل والبطون والعمائر والأحياء !

إن هذه لقسمة ضيزى ، تأبأها نفوس الأحرار ، ولا سيما في عصرنا
الذي كان أكثر توفيقاً للنقمة الحقائق من شوائب الأوهام ؛ والآراء
المتعمدة ، تعصباً للحاكمين ، كما قسم بميسم الحرية ، وأهمها حرية البحث والرأى

نصيب قريش في نظر الانصاف :

إن أقرب مظاهر الإنصاف ، أن نضم قريشا إلى القبائل العشر الماضية
ثم ندعها تتقاسم شرف ذلك المجد ، وحينئذ لا نرى لها إلا جزءاً من الفضل ،
الذي شاء المتعصبون ، أيام الأمويين والعباسيين . أن تستأثر به قريش
وحدها ، وهذا لا يزيد على ٩,٥ ٪ نتيجة لقسمة ١٠٠ ÷ ١١

(٣) الرليل الزمني

أما الدليل الزمني فيدل عليه ، أن المدة من عصر النبوة ، إلى عدنان ،
نحو ٩٠٠ سنة ، إذ من سيدنا رسول الله ﷺ إلى جده هذا اثنان
وعشرون جيلاً ، و $22 \times 40 = 880$ سنة ، ومتوسط أجيال العدنانيين
 $22,65$ جيلاً ، فمدتها $22,65 \times 40 = 906$ سنة ، ومتوسط المديتين ٨٩٨
سنة أى تسعة قرون .

وقد أجمع المؤرخون على أن قريشا لم تتجمع ، ويصبح لها كيان واضح
المعالم ، وشخصية لها احترامها ونفوذها وأمرها ، إلا من عهد قصي ، أول
ملوكها ، فهو الذي مهد لجأها الديني ، ونفوذها الاجتماعي ، ثم استعمارها
الاقتصادي .

بعد أن جمع فلولها ، وأكثر عديدها ، وأعز ذليلها ، ولذا سمي « مجمعا »
لتجميعها تحت راية واحدة ، بعد أن كانت مشتتة تحت راية كنانة وغيرها .
وقد برهنت على أن من قصى إلى عصر النبوة نحو ٢٠٠ سنة ، وقرش
بل كل أمة إذا أصبح لها كيان مستقل ، وحدود معروفة ، لا يمكن أن تظهر
آثارها ، أو تجنى ثمرات ما غرست إلا بعد مرور حقبة ، تطول أو تقصر
بحسب قوتها ، ومتوسط تلك الحقبة في كل حال لا يقل عن خمسين سنة أى
ابتداء من الجيل الثانى لتأسيسها .

فلو أن لقرش آثارا لغوية بالقدر الذى طنطن به المتعصبون لها ، فى
جاهليتها وإسلامها ، ما كان لهذه الآثار أن تظهر إلا بعد خمسين سنة من
قصى ، وهذا يوافق سنة ١٥٠ قبل الهجرة ، وهى التى جعلها الباحثون حدا
لاقدمية الأدب الجاهلى ، المبسوط بين أيدينا الآن .

ونسبة ١٥٠ : ٩٠٠ = ١ : ٦ ، وتعبير آخر = ١٦,٦ ٪
وبمواز تقنا هذه النتيجة وهى ١٦,٦ ٪ ، بالنتيجة السابقة التى دل عليها الدليل
القبلى وهى ٩,٥ ٪ نجد الفرق كبيرا ، وليكن عدد القبائل التى أسهمت فى الوضع
اللغوى والتنسيق الأدبى مما أجمع عليه العلماء ، أمارقم ٩٠٠ سنة الذى جعلته للمدة
من عصر النبوة إلى عدنان ، فهو الرأى الذى استنبطته من نظريتى ، ورأى واحد
أقل من آرم ، وبناء عليه كان يجب أن لا نعلم إلا على أن نصيب قرش ٩,٥ ٪
ولسكن ثقتى فى نظريتى من ناحية ، ومرضاة للقرشيين قديما وحديثا من ناحية
أخرى تذكرنى بأن خير الأمور أوسطها ، وأن قرشا يحسن أن يكون
نصيبها متوسط هاتين النسبتين أى ٩,٥ + ١٦,٦ = ٢٦ ÷ ٢ = ١٣ ٪
والكل بنا مستقر ، وستبوح النقوش الاثرية بما يؤيد مذهبي .

(٤) اصماع الرواة

(١) وأما الدليل الرابع على أن غير قرش أولى بالفخر فى هذا الميدان

فإجماع الرواة فقد نقل إلينا السيوطي (١) أن قريشا كانت مع فصاحتها ، ورقة ألسنتها ، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصنى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب ، ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم « عننة تميم » ، ولا « عجرفة قيس » ، ولا « كشكشة أسد » ، ولا « كسكسة ربيعة » (٢)

واختار الرواة هذه القبائل ، لأنها كانت أفصح ، ولها جهاد غير منكور في الوضع اللغوي ، والتنسيق الأدبي ، فلو أنهم مع تعصبهم لم يصموا هذه القبائل بتلك الهنات لكانوا خطرا محققا يهدد قريشا في فصاحتها ، ورقة ألسنتها ، أما بعد أن وصموها بما تلقطوه من سقطاتها فإن استعلاء قريش يجد له موصفا من الفخر ، ومتكئا من البرهان وقد نسي الرواة أو تناسوا أن فضل هذه القبائل على اللغة — مع تلك الهنات — أعمق من فضل قريش ، لأن تلك العيوب التي طفت فوق لهجاتهم أشبه بالزبد فوق لجج البحر المصطخب ، أو غبار المعارك الحربية يعلو هام الأبطال ، وغبار العمل خير من زعفران العطلة كما في المثل أما قريش فلم يسجل لها التاريخ نصلا في الوضع اللغوي ، لالعييب فيها ، بل لأنها جاءت بعد أن بلغت اللغة كمالها ولسكن سجله تميم ، وربيعة ، وأسد ، وهوازن . . ويؤيد هذا :

(١) مارواه (أبو عبيدة) أن ابن عباس قال : « نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن ، وغير خاف أن من هؤلاء (بنو سعد بن بكر) الذين استرضع النبي ﷺ فيهم ، ونشأ التنشئة الأولى بينهم ، ولقن منهم أول دروس في اللغة ، ولذا كان يفتخر ، متحدثا بنعمة ربه قائلا : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، وأنى نشأت في بني سعد بن بكر »

وبنو سعد هؤلاء ممن قال فيهم (أبو عمرو بن العلاء) : « أفصح العرب عليا هو وزن وسفلى تميم » ،

(ح) وقال (سيدنا عثمان) عند نسخ المصحف : اجعلوا المولى من (هذيل) والكاتب من (ثقيف) (١)

(د) وقال السيوطى أيضا : « الذين نقلت عنهم اللفظة العربية ، وهم اقتدى ، وعندهم أخذ اللسان للعربى من بين قبائل العرب هم (قيس) و (تميم) و (أسد) فإن هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ، وعليهم اتكل فى « الغريب » ، وفى « الإعراب » ، و « التصريف » ، ثم « هذيل » ، و « وبعض كنانة » ، و « وبعض الطائيين » ، — مع أنهم من عرب اليمن فهم قحطانيون لا عدنانيون — ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

فأين قریش بين هؤلاء !!

ما مثلها إلا مثل الطبعة الحادية عشرة من كتاب ، فالفضل فى تنقيح هذه الطبعة وامتيازها مرده إلى أنها استفادت من التجارب التى مرت بها ، وقریش بنت مجدها فى الأدب العربى على جهاد القبائل العدنانية : مضرية وربيعة ، بل كذلك على جهاد بعض عرب القحطانيين .

فهو مع هذا ينسب إليها كل الفضل ، وينسب بناء المجد وأولو الفضل !!

فضل الرواة :

وكيف ينكر أحد فضل الرواة وهم الذين حفظوا كل شاردة وواردة لأيام العرب ووقائعهم وما قيل فيها من شعر أو خطب ، وما جرى من

المفاخرات بين قبائلهم ، وكيف ضبطوا أنسابهم ، بل أنساب أفراسهم التي خاضوا بها غمرات حروبهم ، يستوى في هذا صغراء الرواة وكبرائهم ، وإذا كان في أحدهم أو فريق منهم مطعن ، فليس من الانصاف أن نطعنهم جميعا ، لأن كل أمة ، بل كل طائفة ، فيها الخبيث والطيب ، والقوى والضعيف والتفاوت سنة من سنن الوجود ، فلم يكون محظورا بين الرواة ومارووا !!

بين الروايات والنقوش :

أيشك منصف أنه لولا رواة العرب وفضلهم على التاريخ والأدب ، لكانت العربية من اللغات الميتة ، التي لا تعرف حقيقتها إلا من النقوش والأحجار !! إن مصدرين خبر من مصدر ، ومصدر الرواية العربية قد يكون أصدق من مصدر النقوش .

ولهذا تعليل بسيط هو أن الرواة لكثرتهم كثيرا ما يختلفون باختلاف ظروفهم ، وبغربة مارووا يتبين الحق من الباطل ، وتنجلى الرغوة عن الصريح ، (أما النقوش) فإن مصدرها الحكومات غالبا وهي مصدر واحد ، فضلا عن أنها لا تنقش إلا ما فيه مجدها ، أو ما هو عزيز عليها ، أو ما له علاقة بشعبها والأهم الأجنبية ، وقد يشتمل على ما يخالف الحق تمام المخالفة ، وكم وزارة في أيامنا نسبت لنفسها كل نحر ، وياربما وضعت أسسه في عهد وزارة سابقة من حزب غير حزبها ، وكل ما لها فيه أنها احتفلت بإتمامه !!

مع النقوش ما هو زائف

وكم حدثنا التاريخ وهو يُطرق حياء عن بعض الملوك قديما ، ومحوهم بعض آثار السابقين ، ثم نسبتها إلى أنفسهم !! ولولا توافر الأدلة على هذا المحو والاثبات ، لضاعت الحقيقة في طيات الأكاذيب .

ومن ساوره الشك في هذا فليقرأ ما قرره (الأستاذ جيمس هنري برستد)

في كتابه (١)

(١) أن [سيتى الأول] كسا نقوش [أمنحيب الثالث] الحربية التي حفرها على قصره بالأحجار من الخارج .

(٢) وقرر بعد صفحتين أن [رمسيس الثانى] اغتصب الملك من أخيه وكان حكم من ١٢٩٢ - ١٢٢٥ ق م . وفى أثناء حكمه محا اسم أخيه ولقبه ورسمه ، ورسم نفسه مكانه ووضع اسمه بدل اسمه ، ملقبا نفسه بولى عهد المملكة كذبا !

(٣) وقرر مرة ثالثة أن - رمسيس - أظهر جرأة غريبة محابها كل أثر لمجهود أخيه المعزول ، وفعل مثل هذا بكثرة فى آثار أخرى كثيرة !

(٤) وبعد ١٧ صفحة قرر أيضا أنه وسع (معبد الأقصر) بأحجار (المعبد الجرانيتى) البديع الذى شيده [تحتمس الثالث] من الأسرة ١٨ جاعلا وجه الأحجار المختومة بختمه من الداخل حتى لا ترى وكتب اسمه على كثير من آثار سلفه ، ونخلها نفسه زورا وبهتانا وليس معقولا أن ينفرد بعض ملوك مصر القديمة بهذا المحو والإثبات ، بل لابد أن يكون لهم نظائر بين ملوك الأمم القديمة .

ومع هذا لم يتجرد واحد من المؤرخين لينمى عليهم صنيعهم ولو بعد أيامهم إلا بعبارات عابرة ، وجل مقتضبة ، وما ذلك إلا أن للحكومات رهبتها ، وللبلوك قداستها ، لهذا السبب وحده كانت النقوش فى حرز حريز من القداسة ، أما الأخبار المروية مشافهة ففى الغالب تكون مختصة بغير الحكومات والملوك ، فتروى بحرية كاملة ، والعبرة بمصدر الرواية ، فظهور أوجه الحق فيها أوضح من ظهوره فى النقوش وأخبارها .

رواة العرب :

فرواة العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام كانوا أكثر من رواة الأمم الأخرى ، وأوعى حافظة لآثمتهم ، واحترام العرب لذكرياتهم أوجب عليها احترام رواتها ، فتنافس الرواة فى هذا المجال ، لا بكثرة ما حفظوا ، بل كذلك بصدق ما نقلوا .

نموذج من ربيع الرواة

وأكرر مرة أخرى أن الرواة كغيرهم من جميع الطوائف : فيهم الخبيث والطيب ، والثقة والمحترم والجريء المنبوذ ، فليس وجود واحد من الوضاعين دليلاً على أن الرواة كلهم هكذا كما أن العثور على الراوية الثابت لا يصح أن يتخذ دليلاً على أن كل الرواة عدول أثبات والحق بين ، والباطل بين ، وبينهما أمور مشتبهاة ، وقد أخبرنا التاريخ الأذنى أن المشتبهات عند الرواة كان يفصل فيها (الأعراب الخالص) عند التحاكم إليهم أو الاستئناس برأيهم كما حدث في اختلاف « سيديويه » و « الكسائي » بحضرة الرشيد في قصة « العقرب والزنبور » . وربما كان في هؤلاء أيضاً من يتحيزون .

١ — الكسائي :

ومن يفتخر بهم الرواة (الكسائي) قال الغراء : دخلت عليه يوماً وهو يبكي ، فقلت له : ما يبكيك ؟ قال : هذا الملك « يحيى بن خالد » يوجه إلى ليحضرنى ؛ فيسألنى عن الشيء ، فإن أبطأت في الجواب لحقنى منه عتب !! وإن بادرت لم آمن الزلل !! فقلت له : يا أبا الحسن ، من يعترض عليك ! قل ماشئت فأنت الكسائي ! فأخذ لسانه وقال : قطعه الله إذن !! إذا قلت ما لا أعلم !! وكثير من الرواة كانوا كالـكسائي في صدق لهجته ، وأمانته ، وتحري وجه الصواب .

٢ — الأصمعى :

ومن مفاخرهم « أبو سعيد الأصمعى » المتوفى ٢١٥ هـ (٨٣٠ م) فقد كان مضرب المثل في الرواية ، وشدة التحري ، والامعان في الاحتراز عند تفسير ماله علاقة بالكتاب والسنة .

وبما يدل على منزلته أنه كان يحفظ ١٦٠٠٠ أرجوزة غير الشعر والأخبار، وكان في علمه نظريا عمليا ، وشاهد هذا أنه حضر يوما ، و « أبو عبيدة : معمر بن المثنى » عند (الفضل بن الربيع) وزير الرشيد بعد جعفر البرمكي ، فسأل الفضل « الأصمعي » :

كم كتابك في الخليل ؟ فقال : مجلد واحد .

فسأل « أبو عبيدة » عن كتابه فقال : خمسون مجلدا .

فقال له : قم إلى هذا الفرس وأمسك كل عضو منه وسمه ، فقال لست بيطارا !! وإنما هذا شيء أخذته عن العرب . :

فقال للأصمعي : قم يا أبا سعيد وافعل أنت ذلك ، فقام وأمسك ناصية الفرس وشرع يمسك عضوا عضوا وينشد ما قالته العرب فيه إلى أن فرغ منه ، فأهدى إليه الفرس فكان إذا أراد أن يغيظ « أبا عبيدة » ركبه إليه .

٣ - أبو محلم الشيباني :

ويقرب من هذين « أبو محلم الشيباني » المتوفى سنة ٢٤٨ هـ (٨٦٢ م) . وكان نادرة في النقل الصادق ، وبما وصل إلينا من هذا أن « الخليفة : الواثق بالله العباسي » سأل يوما عن شاهد من الشعر فيه كلمة « المـرت » - وهي الصحراء لانبث فيها ، والأرض لا يحف ثراها ، ولا يذبت مرعاها - فما فكر طويلا حتى أنشد بعض الحاضرين بيتا فيه هذه الكلمة ! فضحك « أبو محلم » ثم قال للذي أنشده : ربما بعد الشيء عن الإنسان وهو أقرب إليه مما في كفه ! لا تبرح حتى أنشدك ؛ فأنشده للعرب ١٠٠ بيت معروف لشاعر معروف في كل بيت فيها ذكر « المـرت » ،

٤ - بنو عير الحمير :

وكان بنو عير يحفظ ٧٠٠ قصيدة في أول كل منها « بانث سعاد » غير ألوف القصائد الأخرى ، وهو ، و « أبو عبيدة » و « أبو زيد » و « الأصمعي » كانوا أعلم الناس في عصرهم باللغة والشعر وعلوم العرب ، لم يرقبهم ولا بعدهم مثلهم .

كيفية المواضيع :

وإن رزى علم الرواية بمن كادوا يعضون من شأنه، لخلطهم السم بالدم،
ترقباً لكسب مادي أو أدبي لسيقطة العلماء والأدباء كانت لا تلبث أن
تكشف أمرهم فينبذهم الخاصة ويقاطعهم العامة ، فيصبحون أخسر صفقة
من أبي عيشان .

١ - حماد الراوية :

وأول من افترض أمره من هؤلاء « حماد الراوية » المتوفى سنة ١٥٥ هـ
(٧٧٢ م) قال « المفضل الضبي : سلب على الشعر من حماد الراوية ما أفسده !
فقل له : كيف ذلك ؟ أخطىء في روايته ؟ أم يلحن ؟ قال : ليته كان ذلك !
فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ولكنه رجل عالم بلغات العرب ،
وأشعارها ، ومذهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب
رجل ، ويدخله في شعره ، ويحمل عنه ذلك في الآفاق ، فتختلط أشعار
القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وقليل ما هم !!

وكان من تلاميذه في هذا « خلف الأحمر » ثم « قطرب » ثم أبو العلاء
ابن صاعد البغدادى .

وهكذا نجد في كل عصر مئات من الرواة الذين لا تخفى منزلتهم كالأخفى
منزلة الجرائد السياسية في نفوس القراء واختلاف تقديرهم في أيامنا ، وإن
كان بإزاء الرواة إذ ذاك من يقيم معوجهم من فطاحل النقدة الذين جعلوا
للواية علماً ثابت الأركان ؛ واضح النهج ، بين الحدود يدل عليه أنهم جعلوا
من الرواية « متواترة » و « مسندة » و « منقطعة » الخ كما فعل علماء الحديث

مصادر الرواية :

(١) قبل أن يختلط العرب بالعجم كان علماء البصرة والكوفة مصدر الرواية في القرن الأول للهجرة، وكان بن هؤلاء (أدباء الموالي)، وهؤلاء كانوا يتلقون اللغة عن أعراب البوادي عند حضورهم إلى المدن .

(٢) وبعد اختلاط العرب بالأعاجم، صارت البعوث ترسل إلى البوادي، كما ترسل البعوث العلمية الآن من إلى البلاد العربية إلى بلاد الغرب، فكانت تمسك سنين، ثم تعود إلى الأمصار الإسلامية لتنتشر ما سمعت، وقد استمرت تلك البعوث إلى (أواخر القرن الرابع الهجري) (والعاشر الميلادي) في العصر العباسي الثاني .

(٣) ومن القرن الخامس الهجري (والحادى عشر الميلادي) صارت الأمصار الإسلامية أحفل المصادر وأوثقها وأنظمها .

مراكز الثقافة العربية :

وقد ازدهرت المدن الإسلامية بحلقات الدروس، فلم تكن تخلو واحدة منها من حلقة أو أكثر لأنواع من الفنون العربية والإسلامية، وأسانذتها من أعظم الرواة، الذين يتمتعون بأكبر قسط من حرية القول وكانت «البصرة»، و«الكوفة»، أحفلها بالحلقات والأسانذة والطلبة وأكثرها افتتاناً، وأخطرها شأنًا، وكان الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه في البصرة لأن أكثره مصنوع، أما في البصرة فكان رواتها أدق وأحرص، فلا يقبلون إلا ما صح لديهم، وذلك واضح في دواوين الشعراء وأمهات النحو . .

فلم يزل أهل المصرين على هذا المنوال حتى انتقل العلم إلى «بغداد»، بانفقال السكوفيين إليها، وخدمتهم خلفاءها، وقبلهم كانت مدينة الموك، وحشو عساكر الخلفاء .

أما في « المدينة » فقد قص علينا الأصمعي أنه أقام بها زمانا ، فراحه أن « ابن دأب » يصنع الشعر وأحاديث السمر ، وكلاما ينسبه إلى العرب كذبا ، فسقط وزهب عليه وخفيت روايته على الرغم من شعره وعلمه بالأخبار .

ومن جرى مجراه « الشرقي : ابن القطامي » وقد تتبعه الأصمعي أيضا ، فحدث عنه أن بعض الرواة حكى أنه سأل ابن القطامي : ماذا كانت العرب تقول في صلاتها ؟ فقال : لا أدري ، قلت : فاكذب له ، فقال : كانوا يقولون : « رويدك حتى تبعث الخلق باعثة ! »

فإذا أنا به يوم الجمعة بعدها يحدث به في المقصورة !
وأما « مكة » فكان بهار جال من الموالى ، أشهرهم « ابن قسطنطين الرومي » وقد شدا شيئا من النحو ووضع كتابا لا يساوى شيئا .

أصولهم في الوضع

(١) تقدم آنفا أن حمادا للراوية « كان بلاء على الشعر ، لا لأنه يخطئ أوليحن فأمر ذينك يسهل كشفه ولكنه لعلبه بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء وأساليبهم يعمد إلى اختيار شاعر من الشعراء ، فيقلده تقليدا عجبا ، ثم يدخل ما نظمه في شعره وينسبه إليه متصلا ببيت أو أكثر من شعره الحقيقي ، ويرويه منسوباً كله إلى ذلك الشاعر المفترى عليه ، فيحمل عنه مارواه إلى الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد .

(٢) ومن تلاميذه « خلف الأحمر » وكان كأستاذة من أعلم الناس بمذاهب الشعر والشعراء فإذا أراد أن يقلد شاعرا فيما يريد اختلاقه فعل ما فعله أستاذة حماد .

ومن افترى عليهم في رأى بعض النقاد « الشنفرى » في قصيدته المشهورة

بلامية العرب ، ومطلعها :

أقيموا بنى أمى ظهور مطيكم فإنى إلى قوم سواكم لأميل

وقد قرر الجاحظ أنه هو الذى أورد على الناس نسيب الأعراب ، وهو من أرق الشعر قاطبة .

ومثل هذين غيرهما من الوضاعين ، إلا أنهم لم يكونوا فى قوتهم ، لذا كانوا يقتصرون على البيت والبيتين ، ومنهم من طال باعه فى (الحكم والأمثال) خلال القصص التاريخية التى لها روعة ، ليزيدها جمالا فوق ما بها .

فى قصة مصرع الزباء

ومن أمثلة هذا النوع (قصة مصرع الزباء) ، فقد حشد الوضاع فيها نحو ١٧ مثلا ، ومن يتصفح كتب الأدب والتاريخ القديم يجد صدق هذا ، كأن مصرعها لم يدبر إلا لتقال هذه الأمثال عند كل موقف من المواقف ، وفى ذلك جناية على الأدب ، إذ قد يؤهم أن القطعة كلها من أساسها خيال فى خيال ، وأنها لم تخترع إلا لتسكون حقا لبذر تلك الأمثال الكثيرة المتكلفة . !!

غرضهم من الاختلاق

ومادعا الوضاع إلى هذا الاختلاق ، وخلط السم بالدسم ، إلا تحقيق كسب مady ، أو رخ أدبى نخاب أملهم ، ولم يكن حظهم منه إلا أن ينبذهم العلماء ، ويقاطهم الطلبة ، فكانوا « أحق من أب غبشان » و « أندم من المكسعى » ، ولم يكن تجار هذه « السوق السوداء » فى الأدب من الأعاجم ، وحدهم بل كان بعضهم من جهلة العرب ، إلا أن جمهورهم كانت من الأعاجم ، بمن لم يتشربوا الإسلام فى قلوبهم ، وكم أثاروا بما وضعوا شبهات الناس فى تاريخ العرب وآدابهم ومآثرهم !! ومدنياتهم !! وكم أدى هذا من بعدهم إلى

إنكار كثير منها ، فإذا رأى العصريون أسلوبا جاهليا واضحا قالوا : إنه عباسي !! كذلك الحال لو رأوا شيئا من الاستقصاء ، وكل حججهم أن هذا النوع من سمات العصر العباسي !! كأن كل الأدب الجاهلي يجب أن يكون مستغلقا مبهما مبتورا : مقدمات بدون نتائج ، أو نتائج بدون مقدمات ونتيجة هذا أن ينفذ أكثر الأدب الجاهلي ، وكل الأدب الإسلامي !! وكل الأدب الأموي !

(الخطايا الشعبية)

وزاد من ضرر هذه الخطايا الشعبية التي لا هم لها إلا الغرض من شأن العرب ، والنيل من آدابهم ومآثرهم ومدنياتهم ، أن بعض متعصب المستشرقين ، وعلماء اللغات في عصرنا يستندون في هذا إلى بعض ما قرره قديما بعض علماء العرب بحسن نية ، وإلى أن تعاليمهم تلقى أرضا خصبة وتربة صالحة لدى بعض الخريجين المبعوثين من الدول الإسلامية ، وقد يؤثر هذا في عقيدة المسلمين من تلاميذهم ، ويشير الشك في النصوص القرآنية (والله من ورائهم محيط ، بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)

٦ - الرليل الخامس : رأى علماء اللغات

لم أستمع قول القائلين بذوبان اللهجات العربية جميعها في لهجة قریش ، فعمدت إلى استشارة طائفة من علماء اللغات العصريين ، فهم أدرى بصناعتهم ، وأعلم بصناعتهم ، فرأيتهم يقولون :

« من عوامل الصراع اللغوي تجاوز شعبين مختلفي اللغة . وفي هذه الحالة لا بد أن يتغلب الشعب القوي على الضعيف ، سواء في هذا قوة العدد ، أو قوة الحضارة ، أو قوة النفوذ والجاه ، أو القوة الحربية ، ولا يتم النصر - غالبا - إلا بعد أمد طويل ، يصل أحيانا إلى أربعة

د قرون في الفتوح الحربية، أما في غيرها فيمتد إلى أكثر - وقد يتناول
د إلى عشرة قرون -

د وعلى هذا الأساس نفسه تتغلب في المملكة الواحدة لغة المقاطعة
د التي بها العاصمة ، أو يكون لأهلها السلطان (١) .

تلك نظرياتهم ، وهذه قوانينهم ؛ وإذا أردنا أن نطبقها على اللهجات
العربية - ولغة قريش منها - فلا بد أن نلجأ إلى التاريخ ، وقد خبرنا أن
قريش لم تسكن لها هذه المنزلة في الجزيرة العربية ، لقوتها الحربية ، أو لكثرة
عددها ، أو لحضارتها ، فإن أكثر القبائل الأخرى تشبهها في ثقافتها بل
كثير من هذه القبائل تمتاز بقوتها الحربية ، وكثرة العدد ، فوق الماضي
السحيق في خدمة اللغة ؛ فلنكن تغلب لهجة قريش على لهجات القبائل العربية
لابد من مرور زمن ينوف على ٤٠٠ سنة ، وهي التي حددت لتغلب شعب
على آخر حربيا ، أو تغلب قبيلة على أخرى . أو مدينة على ما جاورها .

والزمن اللائق بالعلبة السلبية لابد أن يكون أطول عمرا ، ولا بد أن
يمتد إلى نحو ٧٠٠ سنة في المتوسط ، وقريش من فهر - قريش - إلى سيدنا

محمد ﷺ - مرت في طورين مختلفين :

(فالطور الأول) من فهر إلى قصي ؛ وعدد الأجيال هذه خمسة مدتها
نحو ٢٠٠ سنة ، كانت قريش فيها قبيلة متواضعة ، عادية ، قانعة ، منضوية
تحت نفوذ القبائل المضرية الأخرى ، التي امتازت بقوتها الحربية . ونفوذها
الأدبي . فهي لم تتمتع بأية قوة من القوى ، فضلا عن أن تسعى للابتكار
اللغوي . أو الجاه الأدبي . فلا يسعنا إذن إلا أن نسقط هذا الزمن من
تاريخها ، ولا سيما أن أقوال المؤرخين - كاليقوني (٢) - تؤيدنا . وقد قرر
أنها كانت متفرقة الدار . قليلة العز ذليلة البقاع . حتى جمع الله إلفتها .
وأكرم دارها . وأعز مشاها .

(١) علم اللغة ص ٨٤

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ١٩٨

(والطور الثاني) يبدأ من (قصى) أول ملوكها إلى عصر النبوة . وعدد الأجيال في هذه الفترة خمسة أجيال . مدتها نحو ٢٠٠ سنة . بدأت قريش فيها تنفض عن نفسها غبار الخنول . وتعمل لتنبؤا مكانتها بين القبائل العربية . وساعد على هذا أن « زعيمها : قصيا » ، كان ذا طموح وآمال طوال عراض . فأخذ يعمل في صمت وفي خفاء حتى صاهر المشرفين على مفتاح السكبة . فهاهي حتى آل إليه أمرها نهائيا .

النفوذ الاقتصادي لقريش :

أما النفوذ الاقتصادي لقريش فلم يعيش « قصى » حتى يتمتع به إلا في مكة !! وهذا بعض ما نقله القائل (١) :

كانت قريش تجاراً وكانت تجارتهم لا تعدو مكة . إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع . فيشترونها منهم . ثم يتبايعونها بينهم على من حولهم من العرب ، فكانوا كذلك حتى ركب « هاشم » بن عبد مناف إلى الشام . فنزل بقيصر . فكان يذبح كل يوم شاة . ويصنع جفنة ثريد . ويتجمع من حوله فيأكلون . فذكر ذلك لقيصر . فقبل له : ها هنا رجل من قريش يشتم الخبز ثم يصب عليه المرق . ويفرغ عليه اللحم . وإنما كانت العجم تصب المرق في الصحاف . ثم تأتدم بالخبز . فدعا به قيصره فلما رآه وكله أعجب به ، فكان يبعث إليه في كل يوم . فيدخل عليه ويحادثه . فلما رأى نفسه تمكن عنده قال له :

« أيها الملك . إن قومي تجار . فإن رأيت أن تسكتب لي كتابا تؤمن تجارتهم . فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه فتباع عندهم فهو أرخص عليكم » .

إيلاف قريش :

فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم . فأقبل « هاشم » بذلك الكتاب فجعل كلما مر بجى من العرب بطريق الشام . أخذ من أشrafهم إيلافا (١) فصارت قريش تحمل إليهم بضائع . ويؤدون إليهم رءوس أموالهم . ورجعهم فأصلح هاشم ذلك الإيلاف بينهم وبين أهل الشام . فخرجوا بتجارة عظيمة . وخرج هاشم معهم يجوزهم . ويوفيههم إيلافهم . الذى أخذ لهم من العرب حتى أوردتهم الشام . ومات فى ذلك السفر فى « غزة » وكان هذا قبل الهجرة بنحو مائة سنة .

وخرج « المطلب بن عبد مناف إلى اليمن ، فأخذ من ملوكهم عهدا ، وأخذ الإيلاف كما فعل هاشم .

وخرج « عبد شمس بن عبد مناف » إلى الحبشة ففعل فعلهما ، وخرج « نوفل بن عبد مناف » ، فأخذ عهدا من كسرى : وإيلافا بمن مر به من العرب ، فاتسعت قريش فى التجارة فى الجاهلية ، فبنو عبد مناف أعظم قريش على قريش منه فى الجاهلية والإسلام . فالجد الاقتصادى لقريش لا يعدو ١٠٠ سنة قبل الإسلام فأين هى من ٤٠٠ سنة للعلبة الحربية ، و ٧٠٠ سنة للعلبة السلمية على الأقل .

٦ - الدليل السادس : النصوص الأدبية

أشرت فيما سبق إلى عشرات من النصوص الأدبية القديمة التى قالها أدباء العرب فى جاهليهم ، قبل أن تتنسم قريش نسيم الحياة الحرة المستقلة ، وقبل أن ينهض أول ملوكها « قصى » ، فيجمع شملها ، وينظم أمورها ، ويستولى

(١) الإيلاف أن يأمنوا عندهم فى أرضهم . غير محالفة فهو مقصور على أمان الطريق .
(٢) مجمع الأمثال ١٠ ونهاية الأرب ، والأغانى ، والقاموس المحيط ، وبلوغ الأرب .

على مفاتيح السكينة ، وقد تمكن بهذا من إتمام أروع أعماله لتأسيس ذلك الملك المروم ، والجاه العريض ، والاستقلال المنشود في الجاهلية .

وقد صرحت من قبل - اعتماداً على نظرية الأجيال ، وعمر الجيل - أن قصياً بدأ تجمعه يتأق في سماء الجزيرة العربية قبل الهجرة بنحو قرن ، كما صرحت بأن بين الغرس والحصاد فترة طبيعية ، وأن الدول لا تصمد ما غرست إلا بعد مرور أكثر من جيل على الأقل من تأسيسها فاللهجة المنسوبة لقريش لا يمكن أن تسبق الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة .

فكيف يتفق هذا مع ما كاد يجمع عليه رواة العرب ، من صحة كثير من الآثار الأدبية التي تنسب لمثل « ابن خدام » و « عبید بن الأبرص » و « المرقش » ...

وكيف يسوغ لدى الأفهام هذا بعد أن برهنت على أن المرقش الأكبر من شعراء القرن الثالث قبل الهجرة ، وأن أقدم منه في هذا القرن أبو دؤاد الإيادي ، والأفوه الأودي القحطاني ، وضمرة السكتاني العدناني ، والأضبط بن قريع نحر المزارعة وبن تميم ، بل العرب قاطبة في الجاهلية والامير زهير بن جناب السكبي القحطاني ، إلى آخر ما أثرت إليه في جدول الشعراء صفحة ٢٠٣ من هذا الكتاب .

وليس لي فضل في نسبة الآثار الأدبية إلى هؤلاء ، بل الفضل لرواة العرب ، إذ كل مالى من عمل هنا هو أنى حققت أقدميتهم قبل الهجرة ، وبعد الميلاد المسيحي ، بل بانيا على ما أسسه رواد الأدب ، ورواته من أقدم العصور .

وإذا حلل بعض حضرات الأدباء أن يبحث عن مغز فيما سجلت هنا ، إما لنقصان . أو لأنى لم أستشهد فى أكثر مامر إلا بالشعر ، أو لأن فيمن ذكرتهم بعض النكرات الذين لا يعد ذكرهم ربها ولا إهمالهم خسارة . فإلى هؤلاء أسوق

الحديث . راجيا أن يرهفوا السمع . فاني سأذكر شخصية بارزة . كانت -
 حقبة طويلة في الجاهلية ملء السمع والبصر والفؤاد . $٨٨ \times ٠٣ = ٢٦٤$.
 وحسبنا بالحكيم الخالد « عامر بن الظرب » ، توثيقا لما أردنا .

حكيم العرب : عامر بن الظرب

ولد حوالي ٤٠٠ ق هـ (٢٣٤ م)

وليبيان دقة هذا التاريخ أرجو أن يتابعني القارئ الكريم ليقنع بصدق
 الخطرات التي اتبعتها فيما يأتي :

١ - أفاد دليل النسب « أن منه إلى عدنان ١٢ جيلا (١) فنه إلى عصر
 النبوة ٩ أجيال .

٢ - وأرشد « دليل المعاصرة » أنه كان يعاصر « ثقيف بن منبه » رأس
 القبيلة : وصعصعة بن معاوية بن بكر من قيس وسعد بن زيد مناة من تميم ،
 وكل واحد من هؤلاء الأربعة - منه إلى عدنان ١٢ جيلا . فنه إلى عصر النبوة
 ٩ أجيال . مدتها $٩ \times ٤٠ = ٣٦٠$ سنة . وذلك عندما كانوا في سن
 الأربعين فكان ميلادهم كان حوالي ٤٠٠ ق هـ (٢٣٤ م) .

فلو أن عامرا لم يبدأ الرواة يحفظون آثاره الأدبية في الحكم والاحكام
 وانوصايا إلا في سن الأربعين ، لكان هذا قبل الهجرة بنحو ٣٥٠ سنة ق هـ
 (٢٨٣ م) .

أدلة تملأ أضي على أقدمية عامر بن الظرب :

(الدليل الأول) أن « ذا الإصبع العدوانى » هو الحفيد السابع لأخيه

(١) لانه عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس
 عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان كما في جمهرة ابن حزم ٢٣٢ و ٣١٣

« ثعلبة بن الظرب، أى إن ذا الإصبع أحدث عهداً من أبيه، ومن عمه، بنحو ٤٠ × ٢٢٠ سنة. أى أكثر من ثلاثة قرون، ومع هذا نقرأ لأبى الفرج الاصفهاني (١) أن ذا الإصبع شاعر من قدماء الشعراء فى الجاهلية ! فإذا كان من قدماء الشعراء فى الجاهلية، مع أنه بعد عمه عامر بأكثر من ثلاثة قرون فما نصيب عامر من هذه الأقدمية ؟

و (الدليل الثانى) اشتراك عامر بن الظرب فى « يوم البداء » بل قيادته معداً كلها فى هذا اليوم، وإليك مارواه « المنذر : هشام بن محمد السائب (٢) » لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب : « عامر بن الظرب، قائم معد يوم البداء، حين تمذحجت « مذحج » وسارت إلى تهامة، و « ربيعة بن الحارث، وهو أبو كليب ومهلل، و « كليب بن ربيعة »، ويقول « جورجى زيدان، (٣) نقلاً عن الغربيين :

إن أقدم ما حفظه التاريخ من أخبار تلك الحروب، حرب وقعت بين (العدنانية) و (مذحج) فى أواسط القرن الرابع الميلادى وكانت مذحج قادمة من اليمن طالبة للتوسع فزلوا بها، وفيها من بنى معد قبائل متفرقة منها (عدوان) وكان أمير عدوان يومئذ (عامر بن الظرب) .

وبموازنة التاريخ الذى ذكره الغربيون ليوم البداء، بالتاريخ الذى حددته لميلاد ابن الظرب، يتبين أنه قاد معداً فى هذا اليوم، وعمره حوالى ١١٦ سنة، فهل كان من المعمرين ؟ رجعت إلى السجستانى (٤) فوجدته يقول إنه عاش ٢٠٠ سنة، وبعض الرواة زادها إلى ٣٠٠ سنة ! ولا تهنأ هذه المبالغة بمقدار ما نصوا عليه أنه كان من المعمرين . وليس من الضروري أن يقاتل

(١) للاغانى ٣ (٢) خزائن الادب ٢ ص ٢٤ نقلاً عن العقيد الفريد والاغانى

(٣) العرب قبل الاسلام ١ ص ٢٢٤ لاعتقاد جورجى زيدان على المراجع الغربية

ترجم كلمة « البداء » بالبيضاء والصواب بالبدال المهمة كما أجمع عليه الرواة

(٤) كتاب للمعمرين ص ٤٤

القائد مع جنوده ، بل يكفي أن يشير عليهم وبوجههم يشير حماسهم ، فهي أشبه بالاستشارية أو بقيادة الشرف من القيادة الفعلية .

(الدليل الثالث) ولعله أصرحها ، مارواه « أبو الفرج الأصفهاني » (١) أن « قيس عيلان » رغبت في البيت ، و « خزاعة » يومئذ تليه ، فساروا ومعهم قبائل من العرب ، ورأسوا عليهم « عامر بن الظرب العدواني » فساروا إلى مكة في جمع لُهام ، فخرجت إليهم خزاعة ، فاقتتلوا ، فهزمت قيس ، ونجا عامر على فرس له جواد .

وخزاعة كانت تدير البيت الحرام قبل قريش . ثم تولت بعدها قريش نحو ٢٠٠ سنة قبل الهجرة ، فإذا صرفنا النظر عن كل رواية أخرى يتبين لنا أن عامرا عاصر خزاعة مدة طويلة قبل أن يخلق قصي أول ملوك قريش ، فأى أثر له في تلك الفترة لا يمكن أن ينسب إلى عهد قريش ، بل لا بد أن ينسب إلى العصر السابق .

وإذا أردنا أن نشير إلى الزمن الذي اشتبك فيه عامر مع قبيلة قيس وأحلافهم من القبائل الأخرى ، كان على أقل تقدير في أواخر أيامه على اعتباره عاش نحو ١٥٠ سنة أى قبل أن يتألق نجم قريش بنحو نصف قرن وأقرب منه إلى الدقة أن يكون هذا الاشتباك وعامر في نحو الخمسين من عمره أى قبل قريش ومجدها بنحو ١٥٠ سنة . فأى أثر من آثاره الأدبية يكون حتما باللغة العربية التي تواطأ عليها أدباء العرب فنزل بها القرآن ، باللغة قريش . وبذا يتبين ما في هذه النسبة من تساهل واضح ، أو مبالغة شديدة !

فإذا راعينا أن هذه المدة أكثر من ضعف المدة الأخرى التي بدأت فيها قريش تحصد ما غرست كان لنا أن نسأل :

هل كان لعامر آثار في ذلك الزمن ، نستطيع فهمها جملة وتفصيلا ؟

وخير ما أجيب به هنا أن أذكر ثلاثة آثار له ، والحكم للقراء بعد تصفحها ، والنظر في مشتملاتها :

(١) الآثار الأول أبيات قالها ، يسجل فيها إجلاء قضاء عن ديارها في سيف البحر الأحمر ، بعد أن قاتلتها مضر وربيعة وكندة ، وفي هذه الأبيات تراه ملتسما عذر فومه ، ناعيا عقوق القضاة وخيانتهم :

قصاعة أجلىنا عن الغور كله إلى فلجات الشام تزجي المواشيا (١)
لعمرى لئن صارت شطيرا ديارها لقد تأصر الأرحام من كان نائيا
وما عن تقال كان إخراجنا لهم ولكن عقوقا منهم كان باديا
بما قدم النهدي لادر دره غداة تمنى بالحرار الأمانيا
(٢) أما الآثار الثاني من شعر عامر ، فقوله وقد بدأ الشيب يشتعل في حاجبيه :

أرى شعرات على حاجبي بيضا نبتن جميعا تؤولا
أظلم أها هي (٢) بهن الكلاب أحسبهن صوارا قياما
وأحسب أنفى إذا ما عشت شخصاً أمامي رآني فقاما

(٣) والآثر الأدبي الثالث (نثرى) قاله ناصحا في أواخر أيامه :
« من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له ، وكان الباطل أولى به ، وإن
« الحق لم يزل ينفر من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفر من الحق ،
« لا تفرحوا بالعلق (٣) ولا تشمتوا بالذلة . وكل عيش يعيش الفقير ،
« ومن ير به . وأعدوا لكل أمر عدة ،

(١) لم تقتصر هجرة قضاء على مجدها خلافا للبحاث جورجي زيدان في كتابه العرب قبل الإسلام - ص ١٧٠ ، بل هاجر فريق منها إلى أطراف الحيرة ، وفريق ثان إلى اليمن ، ونالت إلى مجده وأكثرهم إلى الشام ؛ ويستفاد هذا من شعر عامر في الأبيات الأربعة ، ومن معجم البكري - ص ٢٦ وما بعدها .

(٢) أهاهي : أقول هاهنا ، والاصل في هاتين الكلمتين أن تزجر بها الابل .

(٣) العلق بكسر العين النفيس من كل شيء .

رأى في الآثاء الثلاثة :

في رأى أن هذه الآثار الثلاثة مختلفة الزمن :

١ - فأقدمها الاثر الأول ؛ لأن الفخر بإجلال الخصوم ، والشهادة بهم الخ من صفات الشبان الذين تسترعى أنظارهم ، وتستهوى أفئدتهم أعمال البطولة والقوة الجسمية

٢ - ورؤيته الشعرات البيض على حاجبيه تدل على أنه كان بعد السبعين

٣ - وأما الاثر الأخير فيدل على أنه صدر منه وهو حكيم العرب ، ومن أولى بالحكمة من الحكم . وإزجاء النصائح . وتبصير أقوامهم بمسافة الخلاف بين الحق والباطل ، واستشعارهم الوقار في نعمائهم وبأسائهم ، والنأهب لحادثات الليالي !

فهل بلغت ما أريد بتلك الأدلة الخمسة على قدم عامر بن الظرب وبتلك الآثار الثلاثة على أن اللغة التي نزل بها القرآن كانت قبل مجد قريش بقرن ونصف على الأقل !

عظة كعب بن لؤى الجد السابع للنبي

تقدم أن من قصى إلى النبي ﷺ نحو ٢٠٠ سنة ، فأفيد هنا أن كعب ابن لؤى كان قبل قصى بنحو ١٢٠ سنة فيسكون بين النبي وبين جده كعب نحو ٣٥٠ سنة . فهو من معاصري عامر بن الظرب العدواني ، وهذه العظة التي سنسجلها هنا قالها كعب في إحدى الجمع ، يعظ بها بنيه وأهله ، من قبيلة قريش . وقريش لم تكن لها لهجة منسوبة لها إلا من بعد قصى ، فهذه العظة ليست من لهجة قريش لأنها قبل أن تخلق هذه القبيلة بأكثر من ١٥٠ سنة . وهذا نصها نقلا عن « الزبير بن بكار » (١) :

« أما بعد فاسمعوا وافهموا . وتعلموا واعلموا ليل داج . ونهار ساج ، والأرض مهاد . والسماء بناء . والجمال أوتاد . والنجوم أعلام . والأولون ،

كالآخرين فصلوا أرحامكم . واحفظوا أصهاركم وثمروا أديابكم . فهل رأيتم من هالك رجع ؟ أو ميت انتشر ؟ . والدار أمامكم . والظن غير ما تقولون .

النتيجة

وبترديد النظر في هذه الآثار . نجدها من اللهجة التي ورد بها القرآن : سدى وملحمة . وجملة وتفصيلا ، ولا نجد تناكرا بينها وبين لهجة القرآن . وهو الذي نزل بلسان عربي مبين . فهما من نبع واحد : في اللفاظ والأسلوب والنسج . والمذهب الكلامي : والجزالة تارة . والرقعة تارة أخرى ومراعاة المقام لإصابة الهدف . وأى أديب الآن . وأى عربي في العصر العباسي . أو الأموي أو النبوي . إذا سمعها لأول مرة لا يشعر بابهام أو حيرة . ولا يحتاج إلى مفسر أو معجم مع أن بين الآثار الثلاثة في جملتها وبين الهجرة نحو ٣٥٠ سنة ، وبينها وبين الآثار القرشية نحو ٢٠٠ سنة فبالاشك فيه بعد هذا أن اللهجة العربية التي وردت بها هذه الآثار الأدبية القديمة ، والتي نزل بها القرآن بعد هذا . والتي يكتب ويقرأ ويؤلف بها الأدباء الآن في الأقطار العربية . كلها متشابهة . مما يدل على أن الأصل واحد . وأنه قديم ، وأن شعراء العرب وحكامهم ومن تبعهم كانوا يتفاهمون بها في سوق عكاظ في منافراتهم ومفاخراتهم بهذه اللهجة .

فاذا تشكك واحد في صحة ما ذهب إليه ، متأثرا بما قرأه في بعض الكتب الدينية المحترمة . فارجو أن لا يسرع بالإنكار أو الخصومة . وعليه أن لا يضيق صدره حرجا مادام باب التأويل فسيحا . وما أجهلنا إلى التأويل إلا استحالة المعنى القريب الذي قد تفيد هذه النصوص . وإلا لو أصر على رأيه لاصطدم بعقبة لا بد أن تفقده توازنه الفكري ، وقد يسرى هذا إلى عقيدته الدينية . فيكون في هذا البوار . وإن كان في شك من هذا فليدلي على معنى حديث ورد في البخاري أو ثني كتب الحديث

أصمى سهم في كنانة المعارضين:

ولعل أصمى سهم في كنانة القائلين بنزول القرآن بلغة قريش ما روى (١) منسوباً إلى سيدنا عثمان . عند جمعه المصحف ، أنه أرسل إلى زيد بن ثابت . وإلى عبد الله بن الزبير . وسعيد بن العاص . وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . فأمرهم أن ينسخوها - أى الصحف التى سجل فيها القرآن أمام عمر - ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة : ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه نزل بلسانهم .

دواعى :

١ - هذه الرواية التى يعتمدون عليها إحدى روايات أربع :

الرواية الثانية عن زيد بن ثابت أن عثمان أمره أن يكتب له مصحفاً بعد أن رفع إليه أمر الاختلاف - اختلاف المسلمين الذين يقرئون الصبية . ثم قال له : إنى مدخل معك رجلاً لبيناً فصيحاً . فاكتباه وما اختلفتما فيه فارفعاه إلى ، فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص .

والرواية الثالثة أن عثمان خطب فى الناس يومئذ . وعزم على كل رجل عنده شيء من كتاب الله لما جاء به . ثم دعاهم رجلاً رجلاً فناشدتهم : أسمعتم رسول الله ﷺ ؟ وهو أملاه عليكم ؟ فيقول نعم . فلما فرغ من ذلك عثمان قال : من أكتب الناس ؟ قالوا كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت . قال : أى الناس أعرب ؟ قالوا : سعيد بن العاص . قال : فليمل سعيد . وليكتب زيد (٢) .

والرواية الرابعة سجلها السيوطى (٣) أن عثمان أمر أن يكون المملى من هذيل والكاتب من ثقف

(١) البخارى فى كتاب المناقب باب نزل القرآن . . . والترمذى فى كتاب التفسير : تفسير

سورة التوبة (٣) المزهر ج ١ ص

(٢) إعجاز القرآن ص ٤٠

سورة التوبة

فيا حضرات السادة لم ترجحون الرواية الأولى التي تنسب لعثمان أنه صرح بنزول القرآن بلغة قريش؟ أليس في هذا ترجيح بلا مرجح؟

٢ - أنتم تؤمنون معي أن الأساليب البيانية لا تعتمد على الحقيقة وحدها، بل في كثير من الظروف يلجأ الأدباء إلى المجاز العقلي أو المجاز اللغوي: مرسلًا أو استعارة أو تشبيهًا؛ وقد يعبرون عما يريدون بالسكناية، فالمدح الواحد كثيرا ما يعبرون عنه بطرق مختلفة. والذوق الفني، وحده هو الذي له حق التوجيه. وحق اختيار الأسلوب.

بل إن الحقيقة نفسها أنواع - كما هو معلوم - فقد تكون حقيقة لغوية. أو شرعية. أو فنية. فمن أوحى إليكم أن القول المنسوب لعثمان في لغة قريش حقيقة لا مجاز فيها؟ ثم من أنبأكم بأن هذه الحقيقة شرعية لا لغوية؟

إذا كنتم تحملون مثل هذا الحديث على الحقيقة الشرعية حتمًا. فماذا تقولون فيما رواه البخاري في حديث الإسراء؟

لقد كان فيما رواه النبي ﷺ عن عجائب هذه الليلة قوله: «... ثم رفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان السفيلة، قال هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: ما هذه يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات...»

إن هذا الحديث صادر من النبي نفسه لا من عثمان.

فإذا حملتموه على الحقيقة فهل تختارونها الحقيقة الشرعية؟ وما المرجح للحقيقة على المجاز؟ أو للحقيقة الشرعية على الحقيقة اللغوية مثلاً؟

أليس في تصميمكم على توجيه المعنى هذه الوجهة، إخراج لما كرم، أمام علماء الجغرافية، ورجال الإدارة. ورجال الطيران، ورجال الحرب، ورجال المساحة، وألوف الرواد والكاشفين، الذين انتهوا من زمن بعيد من تحديد

منابع النيل وعلاقتها بخط الاستواء . وبالبحيرات الاستوائية ؛ وتسميتها ومساحتها . ومقدار ما ينال النيل منها . وبيان كل ما يمدد من كميات المياه من أية جهة على مدار السنة . وفي أيام الصيف؟ ثم أليس ما ينطبق على النيل ينطبق على الفرات؟ فإذا رجعتم إلى رفض الحقيقة بأى أنواعها لأنها تخالف الواقع الملموس . وما أجمع عليه العلماء المختصون . فإذا يمنعكم أن ترفضوا المعنى الظاهر فى الكلام المنسوب لعثمان فى إحدى رواياته وأن تحملوا الأثر على المعنى المجازى ، مع ملاحظة أن ما ينسب إلى رسول الله ﷺ أقوى مما ينسب إلى عثمان ، وما أجمعت عليه الروايات فى حديث النبي ﷺ أمتن مما اختلفت فيه الروايات فى كلام عثمان وإذا ساغ لنا أن نتجعه بحديث النبي المعصوم من الحقيقة إلى المجاز ولنا فى الأساليب البيانية . وفى الحقائق الملموسة أقوى سند فأسوغ منه لنا أن نتجعه هذا الاتجاه نفسه ، فى بعض ما نسب إلى عثمان ولنا سند قوى كل القوة . متين كل المتانة . فى الدليل المنطقى والدليل القبلى والدليل الزمنى ، ودليل الرواية ، وأرى علماء اللغات ، ودليل النصوص الأدبية ومنها الأمثال المنسوبة

ولنا عصب شديد من إجماع المؤرخين على أن قریشا لم تشرف على إدارة السكبة إلا أقل من قرنين من الزمان . وإلى أن الحصاد لابد أن يتأخر عن الغرس لدى نهضات الأمم نحو خمسين سنة فهل ١٥٠ سنة كافية لخلق لغة . وإبتكار أساليبها ، والسمو بها إلى هذا السكال ، الذى ليس له نظير ، فيما حدثنا به علماء اللغات؟

وهل ١٥٠ سنة كافية لأن تخرج شعرا كاملا ناضجا ساميا على هذا النمط البديع والاكتمال العجيب!! وكافية لخلق عدة بحور بلغت ستة عشر بيتا . وعدة أغاريض بلغت ٣٦ عروضا!!

الحق أن هذا نوع من المبالغة أو ضلال الفهم وأن القرآن لم ينزل بلهجة قریش ومن كان فى شك من مذهبي بعد ما قدمت وفى حاجة إلى أدلة جديدة فليرفه السمع لدليلين لهما أثرهما وآخر سهمين فى كنانتي

الدليل الأول - وهو السابع - أن الله وصف القرآن في تضاعيف آياته تسع مرات بأنه عربي . ولو ذكره مرة واحدة بما نسب لسيدنا عثمان بما يتمسك به بعض الناس لكان لهم بعض العذر، أما وهو لم يذكر قريشا في هذه الآيات، بل ذكر أنه قرآن عربي . وكررها . ووصل بالتكرار إلى مرات تسع فكيف يظنون مسحورين بالقول الأول !!

وهذه هي الآيات التسع بترتيب سورها :

(١) قال تعالى في سورة يوسف آية « ٢ » : « إنا أنزلناه (قرآناً عربياً) لعلكم تعقلون .

(٢) وقال في سورة الرعد آية ٣٧ وكذلك أنزلناه (حكماً عربياً) .

(٣) وقال في سورة النحل آية « ١٠٣ » : « ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا (لسان عربي) مبين .

(٤) وقال في آية رابعة في سورة طه آية « ١١٣ » : « وكذلك أنزلناه (قرآناً عربياً) وصرفنا فيه من الوعيد ،

(٥) وقال في آية خامسة في سورة الزمر آية « ٢٨ » : « (قرآناً عربياً) غير ذي عوج لعلهم يتقون » .

(٦) وقال في آية سادسة في سورة فصلت آية « ٣ » : « كتاب فصلت آياته (قرآناً عربياً) لقوم يعلمون .

(٧) وفي آية سابعة في سورة الشورى آية « ٧ » « وكذلك أوحينا إليك (قرآناً عربياً) لتنذر أم القرى ومن حولها » .

(٨) وفي آية ثامنة سورة الزخرف آية « ٣ » : « إنا جعلناه (قرآناً عربياً) لعلكم تعقلون » .

(٩) وفي آية تاسعة في سورة الأحقاف آية « ١٢ » : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة . وهذا كتاب مصدق (لساناً عربياً) . . . »

فهذه هي تقارير الله في محكم كتابه . وشهادته بأن القرآن عربي لا قريشي فإذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ومن أصدق من الله حديثاً ؟

الدليل الثامن شهادة النقوش : نقش النمارة (١) .

(١) النمارة المنسوب لها هذا النقش : قصر صغير للروم قرب دمشق .

١ - الدليل الخامس : (دليل النقوش)

يرى القارى فيما يأتى شكلين لنقشين أثريين : النقش الاول كتابة عربية نبطية على أنقاض الحجر : والنقش الثانى كتابة عربية بخط نبطى ويعرف بنقش النارة ، وتاريخه ٣٢٨ م (٣٠٣ ق هـ) . وليتدبر جيداً قبل أن نجوس خلال النقشين أنه تقدم فى صفحة ١٠ من هذا الكتاب ، لدى إزجاء فكرة عامة عن الأنباط ، أن نقشهم آثارهم باللغة الآرامية ليس فيه دليل على أنهم غير عرب ، إذ أن الآرامية كانت لغة الكتابة والنقوش فى أيامهم .

فأزيد هنا أن لغة المحادثة عندهم لم تكن كذلك . بل كانت عربية ، تبعاً لجنسهم . والآرامية والعربية مرتبطتان بأهمها القديمة : لغة بدو الآراميين أو اللغة البابلية القديمة .

وهذا مثال من نقوش الأنباط على آثارهم ، وهو عهد كتبه رجل اسمه « عائد بن كهيل » على قبره فى « الحجر » وهى مدائن صالح شمال الحجاز ، فى السنة الأولى قبل الميلاد ، فى زمن أحدهم لوكمهم : « الحارث الرابع ، الملقب « فيلو باتر » .

١. 𐤀𐤓𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕
٢. 𐤀𐤓𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕
٣. 𐤀𐤓𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕
٤. 𐤀𐤓𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕
٥. 𐤀𐤓𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕
٦. 𐤀𐤓𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕
٧. 𐤀𐤓𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕
٨. 𐤀𐤓𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕
٩. 𐤀𐤓𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕 𐤕𐤕𐤕

شكل (١) كتابة نبطية على أطلال الحجر (مدائن صالح) وفيما يأتى نطقها بالاحرف العربية كل سطر . ن اليسار يقابل سطر ا فى النقش عن اليمين :

النص الاصلی

بالحروف العربية

ترجمتها إلى اللغة العربية (١)

سطراً بسطراً

- ١ - هذا هو القبر الذى بناه عائد
ابن كهيل بن .
- ٢ - القسى لنفسه وولده (٢) وأعقابيه
ولمن يكون في يده .
- ٣ - كتاب من يد عائد يبيح له ولأبى
واحد يحوله .
- ٤ - عائد في حياته في شهر نيسان
(أبريل) السنة التاسعة للحارث ملك .
- ٥ - النبط يحب شبيهه ولعن ذو الشرى
ومناة وقيس .
- ٦ - كل من يبيع هذا القبر أو يشتريه
أو يرهنه أو يهبه أو .
- ٧ - يؤجره أو ينقش عليه شيئاً آخر
أو يدفن فيه أحداً .
- ٨ - إلا الذين كتبت أسمائهم أعلاه .
إن القبر وما كتبت عليه حرم مقدس .
- ٩ - بحسب القاءة التى يقدها النبط
والاسلاميون إلى أبد الآبدين .

- ١ - دته قبرادى عبد عيدو بر
كهيلو بر .
- ٢ - السكى لنفسه وبلده واحره ولمن
دى يتفق بيده .
- ٣ - كتب نقب من يد عيدو قيم له
ولمن دى ينتن ويقبر به .
- ٤ - عيدو بحيوهى بمرح نيسان شنه
تشع لحرث ملك .
- ٥ - نبطو رحم عمه ولعنو ذو شرا
ومنوتو وقيشه .
- ٦ - كل من دى يز بن كعفرا دته أو
يز بن أو يرهن أو ينتن أو .
- ٧ - بوجر أو يتالف علوهى كتب كاه
أو يقبر به أنوش .
- ٨ - لمن دى علا كتيب وكفرا
وكتبه دته حرم .
- ٩ - كجلىقت حرم نبطو وشلمو
لعلم علين .

(١) العرب قبل الاسلام ج ١ ص ٨٢ مع بعض تعديل حتى في الترجمة .

(٢) في أصل الترجمة وأولاده وقد استحسنتم الجمع الآخر « ولده » انقرب من نص
النقش ، ومثلها النبط : السطر الخامس والسطر ٩

مرمضانى على هذا التفسير :

١ - ألاحظ عليه أن كلماته نحو ٦٧ كلمة . غير واو العطف التى تكررت ١١ مرة ، وأو التى تكررت ٦ مرات والباقي نحو ٦٦ كلمة . منها ٤٦ كلمة عربية . أى إن لغة الكتابة عند النبط - وهم عرب - مع كونها آرامية فإن نسبة ما فيها من الكلمات العربية السليمة أو المحرفة قليلا ٦٨,٧ ٪ والافاظ الآرامية وغيرها - وهى قليلة - ٣١,٣ ٪ .

٢ - وأن « من » الموصولة فى النقش تليها كلمة « دى » وكأنها بدل منها ثم تلوها الصلة وهى جملة يتفق فى السطر الثانى . جملة ينتن فى الثالث . ويزن فى السادس الخ . وأنها تكررت فى النقش . وفى كل مرة تلتها « دى » فى الأسطر ٣ و ٦ و ٨ وهى ذو الموصولة عند طى أم اسم إشارة ؟ إن كان الأمر الأول فيكفى يجمع بين موصولين لاسم واحد ؟ وإن كان لاسم إشارة فقد تقدمت على الموصول فى لهجتنا . طواعية لعوامل التعرية . التى لا يقتصر نفوذها على الماديات وحدها . كالجبال والوهاد ، فلم أثر العرب فى الجاهلية المتأخرة أن يجعلوا الاتصال مباشراً بين الموصول وصلته ؟ ولم استحسنوا أخيراً أن يقدموا اسم الإشارة على المشار إليه ؟ إذا ثبت أن دى اسم إشارة . وهل فى لغتنا الآن من اللهجة القديمة روايت تؤيد أنها كانت تقدم المشار إليه على اسم الإشارة . عكس ما فى لهجتنا الآن ؟ .

(أ) أما أنهم من قديم الأحقاب جعلوا الاتصال مباشراً بين الموصول وصلته ، فسببه أن صلة الموصول تابعة له ، ويجب أن يكون التابع متأخراً عن المتبوع ، واحتياج الصلة إلى الموصول . يجعلهما كالشئ الواحد . لا يصح أن يفصل بينهما فاصل أجنبي ، كأسماء الإشارة .

(ب) وسبب تقديمنا اسم الإشارة على المشار إليه . خلافاً للهجة القديمة ، أن اسم الإشارة بمثابة تنبيه لامر مهم - هو المشار اليه - وقد يدعمون ذلك

التنبيه الأدب بحرف «ها» التي جعلت وضعا للتنبيه الرسمي . فنجد في كثير من التعابير : هذا وهذه وما تفرع منها . أكثر من ذا وذه وفروعهما .

(ج) وأما وجود رواسب في لهجتنا الحالية ، واللهجة القديمة ، وبتعبير آخر تأخير اسم الإشارة عن المشار إليه . خلافا لما استقرت عليه اللهجة العربية الأدبية التي نزل بها القرآن ، فالمتبع لألفاظ لهجتنا العامية . لا يجدنا نستعمل اسم الإشارة والمشار إليه إلا على طريقة هذا النقش الذي بين أيدينا ، أي تقديم المشار إليه على اسم الإشارة . فإذا أردنا أن نشير إلى شجرة أو كتاب وما أشبههما . فإننا لا نقول إلا :

الشجرة دى . والكتاب دا . أي هذه الشجرة . وهذا الكتاب

قيمة اللغات العامية :

وفي هذا دليل على أن اللغات العامية أشبه بقمعان البحور . فيها ما تريد من اللؤلؤ والمرجان وآثار الحروب والمدنيات ؛ وفيها ما لا تريد من لذا أرى أنها أدل على اللهجات البائدة ، من اللهجات الأدبية ، التي ينطق بها الخاصة ، في كل زمان ومكان ، وفي هذا ما يكفي لبيان قيمة اللهجات العامية . ولاعد إلى ملاحظاتي على هذا النقش : نقش عائد بن كهيل .

٣ - ومن ألفاظ النقش كلمات عربية سليمة ، لكنها مهجورة في استعمالنا الأدب ، وإن كانت حية في المعاجم اللغوية مثل : « يقبر » و « زين » والفعل الأخير يحتمل البيع والشراء ، لذا تكرر في النقش ، ليدل على هذين المعنيين ، ومعنى زين يدفع ، والدفع إذا كان المدفوع ثمنافهو شراء ، وإن كانت السلعة فهو بيع .

٤ - ويلاحظ أن « عيدو » و « كهيلو » و « نبطو » و « منوتو » و « شلهو » كلها منتهية براو ، شأن اللغة الآرامية ؛ فأغلب الكلمات هنا موضوعة في قالب آرامي .

٥ - والملاحظة الخامسة أن من كلماته اثنتي عشرة بالسين هما « الكسي » و « نيسان » لكننا في الوقت ذاته نجد خمس كلمات وردت بالشين المعجمة ، أو السين المهملة ؟

يخيل إلى أنهم في ذلك للعصر ، كانوا في بدء محاولة ، يريدون بها أن يستثنوا من الشين المعجمة بعض الأسماء التي تدخل في حماها ، فبدءوا بالأعلام ، ويظهر أن هذا التجديد راق جمهرة الكتاب والقادة وقتذاك ، فأخذ يتسع ، حتى صارت القاعدة استثناء ، والاستثناء قاعدة ، في الجاهلية الثانية ، وابتلعت لغة الكلام لغة النقوش والكتابة عند عرب الأنباط .

النقش الثاني : نقش النمارة (١)

تتابعت أبحاث الأثرين بعد كشف القبر المنسوب لعائذ بن كهيل ، حتى عثر « دوسو » المستشرق الفرنسي ، في خرائب النارة بين ، آثار الغسانيين في « حوران » حاضرتهم ، على حجر من البازلت ، مساحته ٤٠ و ٤٠ أمتار في ٣٣ و ٣٠ أمتار (٢) أصله من أنقاض قبر قديم ، هو العتبة العليا من ذلك القبر ، وعليه خمسة أسطر منقوشة بالحرف النبطي الحديث ، واللسان العربي الشمالي ،

قيمة النقش :

والذي يجعل لهذا النقش قيمة خاصة ، أن هذه الكتابة أقدم كتابة عربية شمالية عثروا عليها ، بعد نقش عائذ بن كهيل

(١) النمارة المنسوب لها هذا النقش قصر صغير للروم قرب دمشق في الحرة الشرقية من

جبل الدروز

(٢) العرب قبل الإسلام ج ١ ص ١١١

وهذه صورة مصغرة لها مأخوذة بطريقة التصوير الشمسي :

١
٢
٣
٤
٥

شكل (٢) كتابة عربية بخط نبطي على قبر امرئ القيس بن عمرو الذي تولى مرض
الحيرة من ٢٨٨ — ٣٢٨ م (٢٤٥ — ٣٠٣ ق . هـ)

وهذا نصها بالحرف العربي الحاضر (١) :

- (١) تى نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج
- (٢) وملك الاسدين ونزرو وهرب مذحجو عكدي وجاء
- (٣) يزجو فى حبسج نجران مدينة شمرو وملك معدو ونزل بنيه
- (٤) الشعوب ووكاه لفرس ولروم [فلم يبلغ ملك مبلغه]
- (٥) عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكساول بلسعد ذو ولده

وهذا تفسير الأسطر مرتبة باللغة العربية الفصحى :

- (١) هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى حاز التاج
- (٢) وملك الاسدين ونزارا وملوكمهم وهزم مذحج بقوته وجاء
- (٣) بالظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر وتملك معدا ونزل - قسم - بنيه
- (٤) على الشعوب وأناهم عنه لدى الفرس والروم (فلم يبلغ ملك مبلغه)
- (٥) إلى اليوم توفي سنة ٢٢٣ فى اليوم السابع من أيلول (سبتمبر)
وفق للسعادة بنوه

(١) تاريخ العرب لحنفي بك ناصف ١ : ٧٥ ، والعرب قبل الاسلام ١ : ٢٠٢

التاريخ البصري والميلادي والهجري

وقد حقق الأثريون أن التاريخ المذكور في السطر الخامس تاريخ بصري، نسبة إلى « بصري » في حوران، والتاريخ البصري يبدأ بدخولها في حوزة الروم سنة ١٠٥ م فإذا أضيفت إلى سنة ٢٢٣ التي في النقش كان المجموع ٣٢٨ م ويوافق هذا السنة التي توفي فيها هذا الملك وذلك قبل الهجرة بنحو ٣٠٣ ق هـ (١) فأقدم هذه النوااريخ التاريخ الميلادي، فهو قبل البصري بنحو ١٠٥ سنة، وقبل الهجري بنحو ٦٢٢ م.

(ب) وأوسطها التاريخ البصري فهو بعد التاريخ الميلادي بنحو ١٠٥ سنة وقبل التاريخ الهجري بنحو ٥٣٣ سنة.

(ج) وأحدثها التاريخ الهجري، فالسنة الأولى من الهجرة توافق ٦٢٢ م

من نتائج النفس الناقية

(١) إن أولى النتائج لهذا النقش أننا أطلنا عمر النثر الجاهلي فجعلناه أكثر من ثلاثة قرون، بعد أن كان لا يتجاوز قرنا ونصفا، فكان عمره زاد أكثر من ١٠٠ ٪ على ما حدده له أكثر الباحثين حديثا وقديما.

(٢) والنتيجة الثانية أن المناذرة كانت لهم لغتان على الأقل : لغة رسمية ولغة أدبية، وفي النقش الثاني برهاناهما.

(٣) والنتيجة الثالثة أن العبارة التي توج بها النقش كانت في أعلى طبقات البلاغة العربية في عالم النثر، والنثر والشعر للأدباء كالجنّاحين للطائر، فكما لا تتصوره، طائرا إلا بهمامعا، فكذلك الأدب، فإذا كنت قد استنتجت أن ذلك النموذج كان مظهرا من مظاهر قوة النثر في عنفوان شبابه، فلا بد أن

تكون قد مضت حقبة طويلة وهو في تلك القوة ، ولا تقل هذه الحقبة عن ثلاثة قرون قبل ذلك التاريخ ، وهذا الزمن يوافق الميلاد المسيحى على الأقل فإذا لم يكن عند ميلاد المسيح أثر قوى ، قوة الجملة الأدبية الرائعة ، التى دسها ذلك الأديب الذى كلف نقش ذلك الأثر الرسمى أو النبأ الحسومى فلا أقل من أن يكون فيه إزداك نثر عربى يقرب من تلك الجملة البليغة ، ولعل الفرق بين القوتين كالفرق بين صياغة النقشين السابقين ، ولا يخفى أن الزمن بينهما نحو ثلاثة قرون وهى التى قدرتها أولا ، وأن النقش الأول كان فى القرن الأول قبل المسيح . ولا يمكن أن نتصور نثرأ هكذا فى تلك الحقبة ، دون أن يسايره شعر فى قوته ، ومن معدنه ،

(٤) والنتيجة الرابعة تختص بعدم تضمن النقوش أشعارا غالبا أن النقوش كبلغات رسمية لا يصح أن تتضمن قصيدة لشاعر ، أو أجوزة لراجز ، لأن هذه خيال وعواطف ، والحكومات لا تعنى بالخيال والعواطف ولا بالاستعارات والسكتاتيات ، ولا ينفون البديع والمعانى والبيان ، بل أساس همها منصرف فى منشوراتها وبلاغات الرسمية إلى الحقائق التى تربط الحاكمين بالمحكومين ، والملوك بالسوقة ، وتبصير شعوبها بالقوانين السلبية والإيجابية (فالأولى) للتحذير مما تكرهه الحكومة حتى لا يكون ذلك من عوامل الهدم (والثانية) لتقوم الشعوب بنصيبها فى تشييد دعائم المصلحة العامة لتكون من عوامل البناء ومحال للشعب أن ينفذ القوانين إلا إذا كانت (جامعة مانعة) كما يقول المناطقة ، وكانت ألفاظها مشهورة ، ومراميا واضحة ، وحدودها كأنها حدود هندسية . وفوق هذا فإن البلاغات الرسمية من شأن الحكومة ، والصور الفنية الأدبية كالشعر من شأن الشعب أو خاصته فى الأدب ، فإذا كانت فروع الحكومة كالسلطة التنفيذية والسلطة القضائية مثلا لا يصح أن نطغى واحدة منهما على الأخرى ، أو أن تتداخل فيما ليس من اختصاصها والكل هيئات حاكمة رسمية ، فما بالك بأعمال الحاكمين وأعمال المحكومين والبون شاسع ، والهدف مختلف ! !

(من نتائج التفسير الأول)

سبقنا ملاحظتان في ص ٢٤٥ ن كلمات النقش الأول غير الأعلام وحروف العطف ٦٧ كلمة منها نحو ٤٦ كلمة عربية كعريتينا أو منحرفة عنها قليلا ، وأن كلمات النقش الثاني من غير الأعلام ٢٣ كلمة منها ٢٨ عربية

فنسبة المفردات اللغوية العربية في النقش الثاني نحو ٨,٨ ٪ .

ونسبة المفردات العربية في النقش الأول نحو ٦٨,٧ ٪ فيتضح من

هذا أن نسبه ما نقصه النقش الأول عن الثاني نحو ١٦ ٪ في أكثر من ٣٠٠

سنة . فروعة النثر الأدنى في أيام النقش الأول ، لا بد أن تقل عنها في أيام

النقش الثاني بهذه النسبة ، أي ١٦ ٪ فلو أردنا أن نحدد طفولة الأدب

العربي الحالي لكان ذلك في رأي قبل النقش الأول بأكثر من ثلاثة قرون

أخرى ، فهل فيما يكشف من الآثار ما يدل على ذلك ؟

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالآخبار من لم تزود

وذلك هو ما أرجحه . ونتيجة هذا أن طفولة الأدب العربي . أو طفولة

اللهجة التي نزل بها القرآن بدأت في عهد الإسماعيليين ، وقبل عدنان نفسه ،

وهو الذي حققت في صفحة ٤١ من هذا الكتاب ، أن زمنه كان قبل الميلاد

المسيحي بنحو ثلاثة قرون .

نقش النمارة

مقابلة بين ثلاث تراجم لسطر بالترتيب

(١) الأولى لتاريخ اللغات السامية للدكتور إسرائيل ولفنسون ص ١٩٠

(٢) الثانية » الأدب لحفي بك ناصف » ٧٥

(٣) الثالثة » العرب قبل الإسلام لجورجي زيدان » ٢٠٢

رقم السطر	رقم الترجمة	الكلمة ١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١
(١) ر	١	هذا	قبر	امرى القيس	بن عمرو	ملك	العرب	كلهم	الذي	حاز	التاج	
	٢	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	
	٣	»	»	»	»	»	»	»	»	تقلد	»	
(٢) ر	١	ومك	الاسدين	ونزارا	وملوكم	وهزم	مذحج	بقوته				
	٢	ونملك	الاسدين	»	»	»	مذحجا	اليوم				
	٣	وأخضع	قبيلتي أسد	»	»	»	»	إلى اليوم وقاد				
(٣) ر	١	وجاه	إلى نزجي أو (نزجي)		في حبيج	نجران	مدينة	شمر	وملك	معدا		
	٢	»	بغنائم		في مجتمع	»	»	»	ونملك	»	وأزل	
	٣	الظفر	إلى أسوار			»	»	»	وأخضع	»	استعمل	
(٤) ر	١	ارض	الشعوب	ووكله	الفرس	والروم	فلم	يبليغ	ملك	مبلغة		
	٢	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	
	٣	ارض	على القبائل	وأنابهم عنه	لدى الدرس	»	»	»	»	»	»	
(٥) ر	١	في الحول	هلك	سنة ٢٢٣	يوم ٧ الول	(كانون	ليسعد	الذي	ولده	الذين خلفهم		
	٢	اليوم	»	»	»	الأول)	فليسعد	الذين	ولدهم			
	٣	إلى اليوم	توفي	»	»	(سبتمبر)	وفق بنوه لا مادة					

رأى فى لغة النقوش

المشاهد فى زمننا ولا سيما قبل الحرب العالمية الكبرى، التى اشتعلت نارها فى سنة ١٩١٤م، أن لغة الوثائق الرسمية لدول العالم، كانت هى اللغة الفرنسية، وبعد انطفاء جهرتها بدأ الوعى القومى يتيقظ لدى الشعوب والدول، فأخذت بعض الدول الكبرى كروسيا وألمانيا، تسجل آراءها فى المؤتمرات الدولية وخطتها ببلغتها القومية، وأخذت دائرة اللغة الفرنسية تضيق رويدا رويدا.

ومع ما بلغته هذه اللغة من الانكماش بعد الحرب العالمية الثانية تجدها لاتزال لغة الوثائق الرسمية الدولية وهذه مصر مع ما بلغته من درجات الاستقلال، يثير عجبك أن كل ماله علاقة بالأجانب يترجم إلى هذه اللغة، وفى وزارة الخارجية عندنا ما يؤيد هذا، فلو أن شاديا عثر على هذه الوثائق بعد بضعة آلاف من السنين لارتبك فى معرفة اللغة الرسمية لمصر، هى العربية أم الفرنسية، وفى الحكم على المصريين: أهم من نسل العرب أم نسل الفرنسيين أما أن يطرأ على ذهنه جنس ثالث وهو الفراعنة فهو مستحيل إذ لا دليل عليه فى تلك الوثائق، ولو أراد أن يهتدى إلى لغة العامة فى مصر ولغة الخاصة لكان أكثر حيرة وأكثر ارتباكاً إذ لا دليل عليها فيما بين يديه من تلك الوثائق الرسمية مع كثرتها وتنوعها.

هكذا الحال فى هذين النقشين: نقش «عائذ بن كهيل» على قبره فى الحجر «مدائن صالح»، ونقش النماره لقبر «امرى القيس بن عمرو» من ملوك اللخميين.

فلوساغ لشخص أن يطلع على وثائق وزارة الخارجية المصرية مثلاً بعد بضعة آلاف من السنين، وأن يحكم بناء على ما شاهد أن لغة العامة هى لغة الخاصة، وهما اللغة الرسمية لتلك الدولة، لساغ لنا أن نحكم الآن بأن ذينك النقشين المتقدمين وبقية النقوش الأثرية القديمة، نموذج للغة التى كانت متفشية

إذ ذاك في مدائن صالح . وفي حوران بين الغساسنة ، وأن لسان العامة هو لسان الخاصة ، وهما صورة طبق الأصل من تلك النقوش !! .

ولسكن معرفتنا نحن الآن بأن لغة مصر في القرن العشرين للبلاد وهي اللغة العربية ، وأن اللغة الفرنسية ما هي إلا اللغة الدولية ، التي تترجم إليها الوثائق التي تهتم الأجانب ، وأن اللغة العربية ثلاثة أنواع : نوع للعامة ، وثان لخاصة الأدباء ، وثالث للمنشورات الرسمية الحكومية وأن هذا النوع الأخير وسط بين النوعين السابقين ، إن معرفتنا هذه بتلك الأنواع الأربعة ، تقرب إلينا صحة الحكم بأن لغة النقوش قديما كانت هي اللغة الرسمية ، وأنها غير اللغة الأدبية على الأقل - وما علينا من لغة العامة - أو اللغة الرسمية الدولية إذ ذاك ! ،

بناء عليه لا يصح لباحث مدقق بعد الآن أن يحكم بأن لغة النقوش عند الأمم القديمة هي اللغة الوحيدة التي كان يستعملها (العامة) و (الخاصة) (والحكومة) في وقت واحد .

كما لا يسوغ له أن يحكم بأن أدباء العرب لم تسكن لهم لغة خاصة بهم قبل المملكة القریشية أو أن العشور على آثار أدبية للعرب من شعر أو خطب قبل مجد قریش نوع من الأكاذيب وحجة هؤلاء المنكرين أن الآثار النقشـية لم تذكر لنا بيتا واحدا من الشعر ، فضلا عن قصيدة أو مقطوعة ولم تسجل لنا جملة من آثار اللغة الأدبية في تلك العصور الخوالي فضلا عن خطبة أو عظة .

ولو تابعنا هؤلاء بدفع من جنس دفعهم لقلنا إن كل ما وصلنا من آثار العرب الأدبية قبل الإسلام نوع من الأكاذيب ، إذ لا دليل عليه من النقوش التي يتمسكون بها ، ويشيدون بذكرها ويرفضون ما عداها ! .

فإذا قالوا لنا : إن المعلقات السبع وما أشبهها وإن لم تصل إلينا على صفحات الأحجار منقوشة ، فقد وردت إلينا على أسنة الرواة محفوظة ،

قلنا لهم : كيف تحلونه عاما وتحرمونه عاما ! . وكيف تصدقون علم الرواية ونقل الرواية في قرن ونصف قبل الإسلام ، وتسكذبون ما قبله ! ، إن ذلك ترجيح بلا مرجح كما يقول المناطقة وهو باطل ! . ولم اخترتم الا ١٥٠ دون ما عداها ، ولم ينزل عليكم بها وحى ! فإذا ألقوا سلاحهم - وما أظنهم إلا ملقنين - قلنا لهم : إليكم دليلا ثانيا على لسان النقوش :

نص أدبي في نفسه أثرى :

نظرة إلى اللهجات التي تضمنها نقش النجارة على قبر الملك اللخمي : « امرئ القيس بن عمرو ، المتوفى سنة ٣٢٨ م (٣٠٣ ق هـ) ترينا أن منه ألفاظا آرامية ونبطية وعربية

فكلمة (ن) يقابلها في العربية هذا ، و « نفس » تقابلها ألفاظ كثيرة اختار لها المترجمون كلمة قبر ، بل إن هذا اللفظ دخل في لهجة إحدى القبائل العربية ، فأطلقوه على أمور منها الجسم ، كما في القاموس المحيط مثلا في مادة « نفس » .

و (بر) يقابلها ابن ، و (هكدي) يقابلها اليوم . وهذا فوق الكلمات العربية المتداولة الآن بين العامة والخاصة من العرب مثل :

(ملك العرب) و (ملوكهم)

كانجد به بعض الأساليب العربية ، وإن تسكن أشبه بأساليب العامة في زماننا مثل : (نزل بنيه الشعوب) بتشديد الزاى ، فهي تقابل في أساليبنا الأدبية : توج بنيه ملوكا على الشعوب مثلا .

(بيت القصيد)

وفي هذا النقش أيضا - وهو بيت القصيد - جملة رائعة كأنها أثر من آثار

الأدب العربي في عصره الذهبي أيام الرشيد والمأمون ! هذه الجملة الرائعة هي : (فلم يبلغ ملك مبلغه)

لكنني بمجرد هذا النص الكريم أوجس خيفة ، أن يأتي من يتشكك في وجود الأدب العربي في عصره ، أو في عربية دولة المماليك ، فتتج هذا النقش البليغ بهذا التعبير الرائع الخالد !! ليقطع الشك باليقين !! والباطل بالحق ! ولأنني به يرسل صوته رهيبا مجازلا في دنيا الأدب ، هاتفا في آذان الشعوب المتحالفين ، وكسالى العرب المثقفين :

ألا أيها النوام ويحكمو هبوا !!

ماذا جنى الأجداد حتى ينكر قدم آدابهم الحفدة ! وما جريرتهم حتى يمالئ أسباطهم أعداءهم !! وماذا يضر الثقافة الانسانية ، أو الآداب العالمية ، أن تكون آداب العرب سبقت الهجرة بسبعة قرون ، بل بأكثر !

قومي استولوا على الدهر فتي ومشوا فوق رموس الحقب !

إن كنتم لا تؤمنون بما قدمت من الأمثال التي برهنت على أن بعضها يسبق الهجرة بنحو ثمانية قرون — (صفحة ١٠٤) ولا بالآثار الشعرية التي برهنت على أنها قيلت في القرن السادس قبل الهجرة على لسان أعصر بن سعد بن قيس عيلان — وغيره كثير — فماذا يحول دون إيمانكم بهذا النقش وما تضمنه من ذلك الأثر الأدبي الرائع ، وقد سبق الهجرة بنحو ٣٠٣ سنة أي قبل المدة التي سورها بها الآداب العربية بنحو ١٥٣ سنة ، وأكثر من ضعف المدة التي أصدرها أمرهم الكريم بها ! ألم تتحدونا من قبل أن تأتي بمثل هذا النقش ! لقد لزمتمكم الحجة !! فتي تستسلمون !!

تركيز

الآن وقد وصلت إلى الغاية مما أريد ، وحلقت بالمثقفين في سماء الجزيرة العربية وجست بهم خلال آثارها ، وبين محافدها ، ومخالفاتها يحسن أن أذكر أهم ما حققته بنظرة خاطفة ، بجميعها لما انتثر في هذا السكتاب ، وتركيزا

لفسركه الجديدة في الأذهان ، فالإجمال بعد التفصيل من وسائل المربين ،
ومن وصايا الطرق التربوية الحديثة :

١ - بسطت في هذا الكتاب لأول مرة في التاريخ كيف نعرف أقدمية
من نشاء - في عصور الجاهلية - من شعراء العرب ، وحوادثهم ، وأيامهم ،
إلى درجة لا تتجاوز العشرين سنة صعودا أو هبوطا (بنظريتي) التي أرسيت
بنيانها على قواعد الخمس .

٢ - وحددت (الجيل النسبي) بأربعين سنة ، مبرهنا على ما ذهبنا إليه
بأدلة تاريخية قديمة وحديثة ، وتوجت هذه البراهين بالقرآن والتوراة .

٣ - وابتكرت ما أسميته « الجيل الملوكي » لأول مرة في دنيا المباحث
التاريخية ، بعد أن كان كثير من الباحثين يخلطون بين (أجيال الملوك)
و (أجيال الأنساب) حتى الباحث الألماني العظيم « غلازر » ، فقد رأى أن
(الجيل النسبي) يمتد أجله ، في الوقت الذي يرى أن (الجيل النسبي) يتقلص
ظله ، فزج الجيلين ، وخرج بنتيجة عامة يرغمها بها على أن يكون كل منهما
٢٥ سنة وبذلك ظللهم ! أما نظريتي فقد جعلت ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ،
فصيرت عمر الجيل النسبي ٤٠ سنة ، ومتوسط عمر الجيل الملوكي ١٥,٣ سنة .

٤ - وحققت أقدمية طائفة من الشعراء الذين تردد العلماء قديما في أيهم
أقدم ، سواء أكانوا من شعراء المقطعات أم من شعراء القصائد ، ثم
رتبتهم جميعا في ثلاثة جداول تعرف منها بالنظرة العاجلة أقدمية كل
بالنسبة لغيره .

٥ - وأثبت أن أقدم قصيدة عربية في الجاهلية ، وأطولها كانت قبل
الهجرة بالتحديد بـ ٣٠٦ سنة ، وأن هذه القصيدة الخالدة كانت قصيدة شعبية
خلافا لما درج عليه شعراء العرب ، الذين كانت الانانية مراحمهم ومغداهم .

٦ - وأن « مهلهلا » ليس أول من قصدوا القصائد ، وأن « ابن خدام »
ليس أول من بكى الديار . وأن « زهير بن جناب » أقدم منه في هذا ، وأن

«لقيط بن يعمر الإيادي» استأذلك من أتوا بعده في هذا النوع من كل من نعرفهم .

٧ - وأن مصدر «الوزن والقافية» في الشعر العربي ليس بأجنبي ، ورجحت أن يكون امتدادا لما سبقه من الشعر العربي عند الأمم العاربة .

٨ - وأوضحت بقدر ما وسعني من البراهين أن النثر عند العرب أقدم من شعرهم ، وأنه عند غيرهم كذلك ، أو على الأقل نشأ مع شعرهم ، وسار معه ؛ إذ أن الكتابة التي يشترطها الأدباء الحداء للنثر الفني متقدمة على هذا النثر ، ولكنها متأخرة في تطور الأمم ، فهل من المعقول أن تظل الأمم بكاء حتى تخترع الكتابة فتسجل نثرها !

٩ - وأهم من كل ما تقدم أني أثبت بـ «أدلة» بعضها مما لا يقبل الشك أو المناقشة ؛ لأنه مسجل بالنقوش الأثرية - وترى صورتها في خلال الكتاب - ؛ أن اللهجة التي نزل بها القرآن ليست لهجة قريش كما زعم متزلفه العلماء في العصر العباسي ، فاحتطب في جبلهم من جاء وابعدهم إلى اليوم ، بل هي لغة الخاصة من أدباء العدنانيين ، ومن هاجر إليهم ، ونزل بينهم من الأمم الجنوبية القحطانية ، أما اللهجة العامية لهم فقد تضمنتها لهجاتهم الخاصة ، فاستقلوا بها في محادثاتهم القبلية ، كما استقلت لهجات الأقاليم المصرية - مثلاً - بعضها عن بعض ، ولا سيما الوجه القبلي ، وأسفل الأرض - الوجه البحري - فإن لم أك وصلت إلى درجة الإقناع التام فيما قدمت ، فحسبي أني زلزلت بعض المعارف المتوارثة التي رسخت في أذهان الأدباء ؛ رسوخ العقائد الدينية ، فاكتمست قداستها ، واتشحت بوشاحها ، والشك أول اليقين كما يقول «ديكارت» وكفان أن مهدت السبيل بهذه المحاولة ، التي أرجو أن تكون فاتحة عهد جديد لأدب العرب في جاهليتهم والسلام .

عبد العزيز مزروع الأزهرى

١٤/١٢/١٣٦٩ هـ

٢٦/٩/١٩٥٠ م

(١) فهرس موضوعات

« الأسس المتكثرة لدراسة الأدب الجاهلي »

الموضوع	العدد	الصفحة	الموضوع	العدد	الصفحة
دولة كنفدة	٢١	٣٠	الإهداء	(١)	
مصرع حجر أبي امرئ القيس	٢٢	٣٤	شكر وتقدير	(د)	
الشك في قحطانية دول الشمال	٢٣	٣٤	تمهيد للمؤلف	١	١
رأى في قحطانياتهم	٣٤	٣٥	لماذا لانهم يتراث أجدادنا؟	٥	٢
طسم وجديس	٢٥	٣٨	العرب	٦	٣
ما ينسب إليهم من الشعر	٢٦	٣٩	دول العرب العاربة	٧	٤
العرب المستعربة	٢٧	٤٠	أشهر سدود اليمن	٨	٥
ردى على الأستاذ بهم	٢٨	٤٠	تاريخ سد مأرب	٩	٦
زمن إسماعيل النبي	٢٩	٤٣	الدولة البابلية الأولى	٩	٧
زمن يختصر	٢٩	٤٤	العاقبة	١٠	٨
القحطانيون ومؤرخو العرب	٣٠	٤٥	الانباط ولغتهم	١٠	٩
فوضى تاريخهم	٣١	٤٧	الدولة المعينية	١١	١٠
بين العاربة والمستعربة	٣٢	٤٨	دولة سبأ	١١	١١
نماذج من تحمل العلماء	٣٣	٤٩	بني وبين جرجي زيدان	١٣	١٢
فضل الملوك على التاريخ	٣٤	٥٠	دولة حمير	١٤	١٣
خلود الأدباء	٣٥	٥١	دول اليمن الصغرى	١٦	١٤
كيف نبعت مجدنا المظهور؟	٣٦	٥٢	الزباء أو زينوبيا	١٧	١٥
نصيب المتواضع	٣٧	٥٤	دولة الغساسنة	٢١	١٦
قيمة تشجير الأنساب	٣٨	٥٦	تصحيح مدتهم	٢١	١٧
عمر الجيل	٢٩	٥٧	حيرة جرجي زيدان فيها	٢٣	١٨
تاريخ عمر الجيل	٤٠	٥٨	كيف ابتكرت عمر الجيل للملكي	٢٤	١٩
نظريتي لتعيين الزمن الجاهلي	٤١	٦٠	الغساسنة وتشجيعهم الأدب	٢٩	٢٠

فهرس الموضوعات

الموضوع	العدد	الصفحة	الموضوع	العدد	الصفحة
البذرة الأولى للشعر	٦٥	١١٧	تحقيق زمن تحطان وعدنان	٤٢	٦٢
رأى نظري في هذه الرواية	٦٦	١١٧	بني وبين بحاثه	٤٣	٦٧
أقدم القصائد الطوال	٦٧	١١٨	تحقيق زمن سيل العرم	٤٤	٦٨
أقدم الدواوين الشعرية	٦٨	١١٩	عمر اخيل في الكتب المقدسة	٤٥	٧٥
قصيدة لقيط وتحليلها	٦٩	١٢١	نماذج من اختلاف المؤرخين	٤٦	٧٦
(٢) القسم الثاني	٧٠	١٢٣	الاختلاف حتى في الكتاب المقدس	٤٧	٧٩
شعراء المتطوعات في الحاهلية	٧١	١٢٤	كيف حددت زمن امرئ القيس	٤٨	٨٢
أقدم المقطوعات لـ	٧١	١٢٤	أسس نظري في بحثة	٤٩	٨٥
ابن أد	٧١	١٢٤	ما جدوى هذه الأسس ؟	٥٠	٨٩
مبدأ ذوبان اللغة الفصحائية	٧٢	١٢٦	تدرج الأدب نثراً وشعراً	٥١	٩١
في العدنانية	٧٢	١٢٦	أيها أبق : النثر أم الشعر	٥٢	٩٢
ثمانية من شعراء المقطوعات	٧٣	١٢٨	النثر أسبق	٥٣	٩٤
دويد بن زيد الفضاعي	٧٤	١٢٩	درجات الشعر	٥٤	٩٧
نهد جددويد	٧٥	١٣٢	تدرج بحور الشعر	٥٥	٩٧
أعصر بن سعد	٧٦	١٣٦	أقدم البحور الشعرية	٥٦	٩٨
شاعر المزارعة : المستوغر	٧٧	١٣٨	مصدر الوزن والقافية	٥٧	٩٩
الأمير الشاعر زهير	٧٨	١٤١	أقسام الكتاب :		
ابن جناب	٧٩	١٤٣	(١) القسم الأول	٥٨	١٠١
سهو الأب لويس شيخو	٨٠	١٤٣	الأمثال المنسوبة	٥٩	١٠١
الآثار الأدبية لزهير	٨٠	١٤٣	نموذج للغة المحادثة قديماً	٦٠	١٠٩
ابن جناب	٨١	١٤٧	حجة المنكرين لقدم الآثار الأدبية	٦١	١٠٩
الملك الشاعر : جذيمة	٨١	١٤٧	دفاعي	٦٢	١١١
الوضاح	٨١	١٤٧	التهجمات المنبوذة وأصحابها	٦٣	١١٥
			الشعر العربي وتمهيد	٦٤	١١٥

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة	العدد	الموضوع	الصفحة	العدد
يوم خزازى	١٧٤	١٠٣	آثاره الشعرية	١٤٨	٨٣
حرب البسوس	١٧٥	١٠٤	الجيم بن صعب	١٥٠	٨٤
عمرو بن قيس	١٧٨	١٩٥	حفدته من الخالدين	١٥١	٨٥
أبو دواد الإيادى	١٨٠	١٠٦	دلالة شعره	١٥٢	٨٦
الأضبط بن قريع	١٨٤	١٧٠	العنبر بن عمرو	١٥٣	٨٧
امرؤ القيس وأقدميته	٨٦	١٠٨	شعره	١٥٥	٨٨
عبيد بن الأبرص	١٨٧	١٠٩	ابن خذام	١٥٦	٨٩
على يد من كان مصرعه؟	١٩٠	١١٠	إشارة امرئ القيس إليه	١٥٧	٩٠
المرقش الأكبر وميلاده	١٩٣	١١١	لم ادعاه بنو كلب	١٥٩	٩١
الافوه الأودى وأقدميته	١٩٦	١١٢	زمنه	١٦٠	٩٢
مناقشة رأى الدكتور طه	٢٠٤	١١٣	أول من بكى الديار	١٦١	٩٣
المشرفون والادب الجاهلى	٢٠٨	١١٤	بهرام جور ملك الفرس	١٦٣	٩٤
(٤) القسم الرابع			من شعراء المقطعات		
هجة القرآن ليست قريشية	٢١٠	١١٥	منهج تربيته	١٦٤	٩٥
رأى الدكتور طه	٢١٢	١١٦	نموذجان من شعره	١٦٥	٩٦
براهينى :	٢١٤	١١٧	صحة شعره	١٦٦	٩٧
الدليل المنطقى		١١٨	(٣) القسم الثالث		٩٨
القبلى	٢١٥	١١٩	شعراء القصائد فى الجاهلية	١٦٧	٩٩
الزمنى	٢١٦	١٢٠	أول شعراء القصصيد فى	١٦٨	١٠٠
إجماع الرواة الخ	٢١٧	١٢١	نظر الرواة		
فضل الرواة	٢١٩	١٢٢	مهمل بن ربيعة وميلاده	١٧١	١٠١
موازنة بين الروايات والنقوش	٢٢٠	١٢٣	بين مهمل وزهير بن جناب	١٧٣	١٠٢

فهرس الموضوعات

الموضوع	العدد	الصفحة	الموضوع	العدد	الصفحة
ترجمته باللغة العربية الحالية	١٤٤	٢٤٤	من النقوش ماهو زائف	١٢٤	٢٢٠
ملاحظات على هذا النقش	١٤٥	٢٤٥	رواة العرب :	١٢٥	٢٢١
قيمة اللغات العامية	١٤٦	٢٤٦	السكسائي والأصمعي	١٢٦	٢٢٢
النقش الثاني : نقش الفمارة	١٤٧	٢٤٧	أبو علم الشيباني ، وبندار	١٢٧	٢٢٣
قيمة هذا النقش	١٤٨	٢٤٧	كتيبة الوضعاين :	١٢٨	٢٢٤
صورة النقش	١٤٩	٢٤٨	حماد الراوية وأمثاله	١٢٩	•
تفسير أسطره بلهجتنا الحالية	١٥٠	٢٤٨	مصادر الرواية	١٣٠	٢٢٥
التاريخ البصري والميلادي	١٥١	٢٤٩	مراكر الثقافة العربية العباسية	١٣١	•
والهجري	١٥٢	٢٤٩	صنيع الوضعاين في مصرع الزباء	١٣٢	٢٢٧
من نتائج النقش الثاني	١٥٣	٢٥٢	غرضهم من الاختلاف	١٣٣	•
ثلاث تراجم له	١٥٤	٢٥٣	الحلايا الشعوبية	١٣٤	٢١٨
رأى في لغة النقوش	١٥٥	٢٥٦	رأى علماء اللغات في لهجة قریش	١٣٥	•
تركيز الختام	١٥٦	٢٥٦	النفوذ الاقتصادي لقریش	١٣٦	٢٣٠
الفهارس :	١٥٧	٢٥٩	النصوص الادبية قبل قریش	١٣٧	٢٣١
(١) فهرس الموضوعات	١٥٨	٢٦٢	عالم مر بن الطرب قبل قریش	١٣٧	٢٣٣
(٢) فهرس الأعلام	١٥٩	٢٧٢	خمس أدلة على قدمه .	١٣٨	•
(٣) فهرس الشعراء	١٦٠	٢٧٤	عظة كعب بن لؤى قبل	١٣٩	٢٣٧
(٤) فهرس الصحابة	١٦١	٢٧٨	قصي	١٤٠	٢٢٩
(٥) فهرس الجداول	١٦٢	٢٧٩	أصمى سهم في كثافة المعارضين	١٤٢	٢٤٢
(٦) فهرس الأمثال	١٦٣	٢٨٠	القرآن يعترف بعربيته	١٤٢	٢٤٣
(٧) فهرس الاستدراك	١٦٤	٢٨٢	لا بقريشيه ٩ مرات	١٤٣	٢٤٣
(٨) فهرس المراجع			دليل النقوش ينفى لهجة قریش		
			نقش عائذ بن كهيل		

(٢) فهرس الأعلام

الألف

آدم - الشعر المنسوب له ٢٢ : ٣
إبراهيم بن سيدنا محمد - تاريخ
وفاته ٩ : ١

إبراهيم بك مصطفى - رأيه في عمر
الجيل ٦٧ : ٧ و صفحة ٦٨

ابن حزم الأندلس - إشارته إلى
عمر الجيل ٥٨ : ١٢ ، روايته في

نسب ابن خدام ١٥٦ : ١٦
ابن خلدون - رأيه في البدو والحضر

١٣٧ : ١ ، له الفضل في عثور
المؤلف على عمر الجيل ٥٨ : ٢

ابن دأب - جرأته في اصطناع
الشعر ٢٢٦ : ٢

ابن دريد - تمحله في الاشتقاق
٤٩ : ٢٣

ابن سلام الجحى - رأيه في أول من
قال الشعر ٩١ : ١١ ، روايته

في زمن ظهور القصائد ١٢١ : ٥
مما اختاره من الشعر القديم

١٢٨ : ١ ، روايته عن أعصر
ابن سعد ١٣٦ : ١٤ ، توثيقه

بعض أشعار الخنبر التميمي
١٥٥ : ٨

ابن عبد ربه - روايته في المستوغر
ومعاوية ١٤٠ : ١٥

ابن قتيبة - سخريته من المتعصبين
للقديم ١٧١ : ١٦ ، نقله أن

المستوغر عاش ٣٢٠ سنة
١٣٨ : ٢٠ ، روايته عن المستوغر

وحفيده ١٢٩ : ١٧ ، وعن
زهير بن جناب عند غزو الحبشة

١٤٣ : ١٠ ، مارواه في نسب
ابن خدام ١٥٦ : ١٨

ابن قسطنطين الرومي - غرامه
بالوضع ٢٢٦ : ١٠

ابن السكبي - روايته في المعبد : رضا
١٢٩ : ٩

ابن نباته - استشهاده بشعر عمرو
ابن عدى ١٤٩ : ٩

أبو العباس السلمي - سجل بشعره
سدود يحصب ٨ : ١٠

أبو العلاء بن صاعد - كان من
الوضاعين ٢٢٤ : ١٤

أبو عمرو بن العلاء - استهانت به بشعر
المعاصرين ٧٧ : ١ ، تعليقه

لإيثار العرب ٩٦ : ٢٤
أبو غبشان - أسكره قصي واشترى

منه مفاتيح المكعبة ٦٣ : ٢٥
أبو الفرج الأصفهاني - إشارته إلى

عمر الجيل ٥٩ : ١ ، يروى امتناع
الرواة عن شعر ابن دواد ١٨٣ : ١

فهرس الأعلام

البرت جام - تنقيبه عن آثار الين
١٨ : ٥٣
السكندر هونمان - عضو البعثة
الأمريكية في الين ٥٣ : ١٨
إلياس بن مضر - لهجة العربية
٧ : ١٠٥
امرؤ القيس بن عمرو - صاحب نقش
المنارة ١٤ : ١٠ ، تعليقاتي على
نقشه ٢٤٨ : ١١
امرؤ القيس بن النعمان - صاحب
الغريين ١٩ : ١٠
المنحجب الثالث - سمي الأول يطمس
نقوشه ٢٢١ : ١
أندرية مالو - استعانت به بئيس باشا
المصري ٥٤ : ٥
أنستانس السكرملي - عثرته في تحديد
سبل العرم ٦٩ : ٤
أنوشروان - عاصره امرؤ القيس
الشاعر ٧٨ : ٦

(ب)

البخاري - يروي ما كان عند جمع
القرآن ٢٣٩ : ٢٢ ، روايته
عن منبع النيل ٢٤٠ : ١٣
بختنصر - دعوى معاصرتة عدنان
١٢ : ٤
برة بنت مر أخت تميم - تزوجها

أبو قابوس = النعمان بن المنذر
أبو حلم الشيباني - كان نادرة في
صدق النقل ٢٢٣ : ١٢
أبو الموش - جوابه لمن سأل : لم
لا تطيل الهجاء ؟ ١٩٧ : ١
أحمد باشا كمال - يحدثنا عن اختلاف
المؤرخين ٧٨ : ٦
الأخفش - كشفه بحر المتدارك
٨ : ٩٩
ادور براونلشر - إنصافه العرب في
جاهليتهم ٢٠٩ : ١٠
استرابون - تسجيله أخبار سبأ ١٢ : ١٠
أسد بن خزيمه - زمنه ١٢٣ : ١٧
إسرائيل ولفنسون - كتابه من
مراجع المؤلف ٢٥١ : ١٩
إسماعيل باشا - رغبته في نشر اللغة
التركية ٣٦ : ١٠
إسماعيل النبي - كان في القرن ١٩ ق م
٧٤ : ١٠ ، المدة منه إلى الإسلام
٧٤ : ١٩

الأصفهاني = أبو الفرج

الأصمعي - في بعض رواياته أن
تاريخ القصائد سبق الهجرة
بأربعائة سنة ٢ : ٨ ، كان من
مؤلفي الأمثال ١٠٢ : ١
الافعي الجرمي - معاصرتة نزار
ابن معد ١٠٤ : ٦

فهرس الأعلام

خزيمة بن مدركة ثم ابنه كنانة
١٠ : ١٣٣
برسفال - أبحائه في أنساب العرب
١٠ : ٦٧ عمر الجليل عنده ٦٨ : ٤
البغدادى - روى قصة خروج مزيقيا
١٧ : ٦٥

بكر بن عوف - من أجداد زهير
ابن جناب ١٤٢ : ١
بندار الراوية - كان عجيب الحافظة
٢١ : ٢٢٣

(ت)

تحتس الثالث - اعتداء رمسيس
الثانى على نقوشه ٢٢١ : ٩
الترمذى - روايته عن جمع القرآن
٢٢ : ٢٣٩

(ث)

ثعلبة بن حنظلة الوائلى - صاحب
القبة يوم ذى قار ١٥١ : ١٧
ثعلبة بن الظرب - أخو حكيم العرب
١ : ٢٣٤

ثمامة - جد أصحاب مدينة المعافر
١ : ١٥

ثوربيكة - اعترافه بأدب العرب في
جاهليتهم ٢٠٩ : ١٠

(ج)

الجاحظ - اعترافه بوضعه نسيب

الأعراب ٢٢٧ : ٣
جبل الغسان - أول من ذكره اليونان
من أمراءهم ٢٧ : ٢
جذع بن سنان - صاحب المثل
٢٤ : ٢٣ ، مهد السبيل لقيام
دولة الغساسنة ٢٥ : ٣

جذيمة الوضاح - أشهر ملوك المناذرة
١٩ : ٨ ، تحقيق زمنه ٧٢ : ١
من معاصرى عامر بن الظرب
١٠٧ : ١٤ ، ترجمته وأقدميته
١٤٧ : ٣ ، أخته رقاش وغرامها
١٤٨ : ١٥ ، من شعره ١٤٨ : ٢٠

جندب بن العنبر - محادثة له باللمحة
القرآنية ١٠٩ : ٧

جرجى زيدان ورأيه فى زمن سيل
العم ٢٣ : ٢ ، حيرته فى تاريخ
الغسانين ٢٣ : ٩ ، احتياطه عند
ذكر الحرب المزعومة بين
عدنان وبحثه ٢٣ : ١٢ ، متابعته
لغلاز فى تحديد عمر الجليل
٨٥ : ١

جوستنيان ملك الروم - زمنه
٨٤ : ١١ ، موت ابن قيس فى
طريقه إليه مع امرئ القيس
١٧٩ : ١٦ ، الأستاذ جيمس

فهرس الأعلام

١٨٩ : ١ ، قتله بعض بني أسد

١٩١ : ١٧ ، لم ذبحه بنو أسد ؟

١٩١ : ٨

حزيمة بن نهد - كان السبب في هجرة

قضاة ٧٣ : ١٥ ، ٧٤ : ٥

تحقيق زمنه ٧٤ : ١ حسان

ابن تبع - أخو حجر بن عمرو

الكندى لأمه ٣٠ : ١٣ ،

توليته حجرا على معد كلها

٣٠ : ١٨ ، إغاثته طسم ٣٩ : ١

حماد الراوية - أول من فضح أمره

من الرواة الوضاعين ٢٢٤ : ٦

كان بلاه على الشعر ٢٢٦ : ١٣

(خ)

الحضرى بك - نقله عن سيديو

زمن سيل العرم ٧١ : ١٠ خلف

الأحمر - كان من الرواة

الوضاعين ٢٢٤ : ١٤ ، وكان

في اختلافه كحماد الراوية

٢٢٦ : ٢٠

(ذ)

ذؤيب التيمى - من أشعر شعراء

القصيد ٢ : ٦

ذوالرمة - سرقة من شعر زهير

ابن جناب ١٤٦ : ٤

هنرى رستد - حديثه عن عبث

القدماء بالنقوش الأثرية

٢٢ : ٢٢٠

(ح)

الحارث الأول - أقدم من عثر عليه

من ملوك الأنباط ١٠ : ١٨

الحارث الثانى - من ملوك الغساسنة

٢٣ : ١٣

الحارث الرابع ابن جبلة - انتصاره

يوم عين أباغ ٢٧ : ١٠ ،

توسطه لامرى القيس الشاعر

عند قيصر ٢٧ : ١٤

الحارث بن أبى شمر الخامس أكبر

ملوك غسان ٢٤ : ٨ ، جعل من

كتابه المرقش الأكبر ١٩٤ : ٤

الحارث بن عباد - احتجاجه على

قتل كليب ١٧١ : ١

الحارث الكندى - مصرعه ٣٣ : ٥

الحارث بن مالك بن فهم - ابن عم

جذيمة الوضح ٧٢ : ٩

حبى الخزاعية - زوجة قصى وبسببها

استولى على الكعبة ٦٣ : ٢٤

حجر بن الحارث - أبو امرى القيس

كان يعاصر أبا دواد ١٨١ : ١٠

كان يعاصره عبيد بن الأبرص

فهرس الأعلام

ذو نواس - صاحب الأخدود

١٢ : ١٤

اشتداده في تحريق نصارى نجران

بالأخدود ١٤٣ : ٤

(ر)

ربيعة أبو كليب - قيادته الثأرين

ضد زهير بن جناب ١٤٥ : ١١٠

رقاش - من شعرها تعارض أخاها

الملك جذيمة ١٤٩ : ١٠

رهم بنت الحزرج - زوج سعد

أبي المزارعة ١٠٦ : ١٦

رمسيس الثاني - محاسن أخيه

وكتب اسمه بدله على النقوش

٢٢١ : ٣

رينان - ممن قدروا أدب العرب

في الجاهلية ٢٠٩ : ١٠

(ز)

الزباء - زنوبيا - تملكها بعد مصرع

أبيها ١٥٠ : ٩

الزبير بن بكار - روايته في سبب

وضع الشعر العربي ١١٧ : ٦

(س)

سابور ذو الأكتاف - إجلأؤه

العرب عن بلاده ١١٨ : ١٣ ،

زحفه على تميم بالبحرين ١٥٤ : ٢

شاباس - لجأ إلى عد الأرمنة

القديمة بالقرون بدل السنين

والسبب ١٠٧ : ١

سانت نيلوس - سجل أناشيد

العرب في القرن الرابع الميلادي

إعجابا بها ٢١٠ : ٢

السجستانى - أكتابه المعمرين

وميزته ١٢٤ : ٤

سعد بن زيد مناة - أبو المزارعة

وزوج رهم ١٠٩ : ٩ محادثة له

باللهجة القرآنية ١٠٧ : ٣

السفاح التغلبى - من أبطال يوم

خزازی ١٧٥ : ٦

سليمة بن الحارث الكندي - مملكته

٢٢ : ٦

سمي على ينوف بان سدمأرب ١٠٩ : ١٠

السمومل - استودعه امرؤ القيس

دروعه ٢٤ : ١٩

سوزومين - سجل غناء العرب

بأشعارهم في القرن الرابع

الميلادي ٢١٠ : ٤

سليم بن فهم - عم جذيمة الوضاح

٧٢ : ٨

سيتي الأول - طمسه نقوس المنحجب

الثالث ٢٢١ : ١

تابع فهرس الأعلام

(ط)

الدكتور طه حسين - مبلغ ثقته بآبن
سلام الجمحي ١٥٥ : ٢٣ ،
امرو القيس عنده من أقدم
الشعراء المسكثرين ١٨٧ : ٢
إنكاره شعر عبيد في جملة
١٩٠ : ١٢ ، تزييفه أكثر شعر
الجاهلية ٢٠٤ : ٨ ، شعراء
الجاهلية الفائزون باعترافهم
٢٠٤ : ٩ - ١٠ ، في رأيه أن
أعصر بن سعد كان قبل الإسلام
بألف سنة ٤ : ١٥ ، ظنه أن
إسماعيل سبق الإسلام بأكثر
من ١٥ قرناً ٢٠٥ : ١٥ ، في رأيه
أن ربيعة كانت تحمل لغة القرآن
في الجاهلية ٢٠٦ : ٢٢ ، وأن
استعراها بعده كان أيسر من
استعرا ب القحطانيين ٢٠٧ : ٢
نفيه كل شعر ينسب لربيعة في
الجاهلية ٢٠٧ : ١٠ ، رأيه في
لهجة قريش ٢١٢ : ٣
طفيل اليعوثي - كهلاني ٣٩ : ٧

(ع)

عائذ بن كميل - صاحب أقدم نقش
عربي ٢٤٣ : ١٢

سيدو - تقديره زمن سميل العرم
١٢٠ ق م ٧١ : ١١
السيوطي - نقل شهرة بعض الشعراء
بشعرهم ١٧٤ : ٦ ، روايته عن
كاتب مصحف عثمان ، وعمله
٢٣٦ : ٢٠

(ش)

شرحبيل بن الحارث السكندی -
مملكته ٣٢ : ٢
الشرقي بن القطامي - جرأته في
الوضع ٢٢٦ : ٥
شقة بن ضمرة التيمي - هو القائل
المرء بأصغريه ١٠٨ : ١٥
شمر يرعش - أول ملوك التبابعة
٩ : ١١
الشنفرى - نخله خلف الأحمر لامية
العرب ٢٢٦ : ٢٣
شيشرون - خطيب روماني دوت
شهرته قبل الميلاد ١١٢ : ٣ ،
خلد لغة اللاتين طويلاً بأدابه
١١٣ : ٥

(ض)

ضبة بن أد - أمثاله الثلاثة ١٠٦ : ٥
ضمرة السكتاني - من أوائل شعراء
القصيد ٢ : ٦

فهرس الاعلام

عمرو بن عدى اللخمي - توليه بعد
خدمته الوضحاح ١٠٧ : ٢٢ ،
أول بني نصر ملوك الحيرة
١٨٧ : ٢٢ أكثر ملوك الحيرة
من نسله ٢١ : ١

عمرو بن عمرو بن عدى - قوله ،
الصيف ضيغت اللبن ١٠٨ : ١٩
عيسى بن مريم - هل أدرك الآفوه
الآودي زمنه ؟ ١٩٦ : ٥

(غ)

غلازر - عمر الجيل عنده ٢٤ : ١ ،
٢٩ : ١ تحديده زمن سيل العرم
١٥ : ١٥ ، ٧١ : ٧ ظنه لحيان
من بقايا ثمود ١٤ : ١ رأيه في
الجبئية ١٥ : ٢ ، لم يعرف عمر
الجيل المملكي ٢٤ : ٧ ، تحديده
قيام دولة سبأ ٦٢ : ١٨

(ق)

قباذ ملك الفرس - ثورة ربيعة في
عهده ٣٢ : ٩ ، تخليه عن نصر
المنذر ٣٢ : ١٨ ، كان أبودواد
الإيادي يعاصره ١٨١ : ١٠

قصي - لم بين مجد قريش إلا بعد
نضج اللغة العربية ٢١٥ : ١٩ ،

عامر بن الظرب - من أمثاله ١٠٧ : ٧
تحقيق ميلاده ٢٣٣ : ٤ ، دلالة
ذي الإصبع العدواني على قدمه
٢٢٣ : ١٩ ، أول من اجتمعت
معد تحت قيادته ٢٣٩ : ٨ ،
زحفه على خزاعة لاستيلائه
على السكعبة ٢٣٥ : ٥
عبدالله بن الزبير - شهد لشعر الآفوه
٢٠٠ : ٦

عدى بن زيد - رئيس القلم العربي
لدى الأكسرة ٢٩ : ١٦

عفيرة - ظهرت أعراض قومها
بدمائهم ٣٩ : ١٥

علقة الفحل - من مداح الغساسنة
٢٩ : ١٩ ، عمرو بن تميم - شفاعته
لقومه عند كسرى ١٥٤ : ٦

عمرو بن الحارث الأصغر - لجأ
إليه النابغة ٣٠ : ١

عمرو بن حجر السكندى - ضعف
شأنه لسقوط الين في يد الحبشة
٣٠ : ٢١

عمرو بن الظرب أبو الزباء - مصرعه
١٥٠ : ٧

عمرو بن عبدالله - قتل المنذر بن ماء
السماء ١٥١ : ١٩

فهرس الاعلام

٤١ : ٤ زعمه وجود العدنانيين

في القرن ١٨ ق م ٤١ : ١٤ ،

ظنه أن القوراة ذكرت

العدنانيين ٤٢ : ١٩

محمد علي باشا - حرصه على نشر

التركية مع العربية ٣٦ : ٧ ،

المدة منه إلى الملك فاروق ٦٦ : ١٣

محمد عوفي سجل شعرا عربيا لبهرام

جور ملك الفرس ١٦٦ : ١٠

الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي - حجة

في الأحاديث النبوية (د)

محمود باشا الفلكي - ماحقه من

التاريخ بعلم الفلك ١ : ٧

مزرع - جد المؤلف ٣٧ : ٢١

حفيدة المستوغر الشاعر ١٣٨ : ٨

رضا كان معبدا لحفدته، زريعة

١٣٩ : ١٢ ، من حفدة مزرع

الأصغر الأضبط بن قريع

الشاعر ١٨٤ : ١٩ ، أولاده

يطلق عليهم الخدعة ١٨٦ : ٢٢

المسعودي - روايته عن زحف

ذي الأكتاف على تيم ١٥٤ : ٥

سجل شعرا للهك بهرام ١٦٥ : ٩

مسيلة الكذاب - من عشيرة الشاعر

الجيم بن صعب الوائلي ١٥١ : ٤

منه إلى عصر النبوة نحو ٢٠٠

سنة ٢١٧ : ٣ ، كان أول ملوك

قريش ٢٣٠ : ١

قطرب - كان من الرواة الوضاعين

٢٤٤ : ١٤

« ك »

الكسائي - ورعه في الرواية

٢٢٢ : ١٠

كعب بن لؤي - سبق قصبا بنحو

١٥٠ سنة ٢٣٧ : ١٥

« ل »

لبيد بن عمرو الغساني - قتل المنذر

الرابع غيلة ٢٧ : ١٤

« م »

مالا لاس المؤرخ - خبره عن الحارث

ابن جبلة ٢٧ : ٧

مالك الثالث - آخر ملوك الأنباط

٢٧ : ٢٣

مالك بن حريم - سجل بشعره

بعض محافذ الين ١١ : ٤

مالك بن فهم - أبو جذيمة الوضاح

٧٢ : ٨

الاستاذ محمد جميل بيهم - تصديقه

الحرب العدنانية البختنصرية

فهرس الاعلام

النعمان بن المنذر - أبو قابوس
فولدى - رأيه فى جملة أول ملوك

غسان ٢٧ : ٥

نونوز - مؤرخ يونانى ٨٤ : ٤
نوح - الغربيون يبحثون الآن عن

سفينة ٥ : ٤

نورفيلون - يسترشد بأنيس باشا
عن الين ٥٤ : ٦

نيلسكون - من الغربيين المنصفين
للأدب الجاهلى ٢٠٩ : ١٠

« ه »

هاشم بن عبد مناف - وضعه المجد
التجارى لقريش ٢٣٠ : ١٢ ،

اتصاله بقيصر لهذا ص ١٣ ،
طلبه منه أن يؤمن قريشا فى

تجارتها ص ١٩

هبل - جدق هير بن جناب ١٤٢ : ١٧
هتلر - حرية الناس فى التسمية باسمه

١ : ٣٨

الهمدانى - روايته عن سدود يحصب
١٤ : ٢٢ ، يذكر من محافدا الين

براقش ومعين ١١ : ٢

« و »

وليم البرايت - من علماء أمريكا
الذين يبحثون عن آثار عدن

١٥٣ : ١٦

الأستاذ مصطفى السقا - أديب
نقاده (د)

معديكرب الكندى - مملكتته ٣٢ : ٨
المنذر الثالث - آخر ملوك الانباط

٢٧ : ٢٣

المنذر الرابع - حملته على الحارث
الغسانى يوم عين أباغ ٢٧ : ١٣

المنذر بن امرى القيس - ابن ماء
السماء - مصرعه يوم عين أباغ

٢٧ : ٨ ، كان أبو دواد جاره

١٨١ : ٩

المنذر بن قباذ - توليه العرش ٣٢ : ١٢
المنذر بن النعمان الأعور - كان

أبو دواد على خيله ١٨١ : ٧
ميسون بنت بحدل - زوج معادية

١٤٢ : ٣

« ن »

نافع بن الأزرق - مؤسس الأزارقة
١٥١ : ٢٠

نزار بن معد - بعض الأمثال العربية
فى عهده ١٠٤ : ٦

النضر بن كنانة - زمنه ١٣٣ : ١٤
النعمان بن امرى القيس ملك الحيرة -

أشرف على تعليم العربية وآدابها
لولى عهد الفرس ١٦٤ : ٨

فهرس الاعلام

« د »

يزدجرد الاول — مظهر عنایت —
بالعربية وآدابها ١٦٤ : ٧
اليعقوب — روايته عن هوان قریش
قبل قصی ٢٢٩ : ٢١

يوسف النبي — قصته في التوراة
٤١ : ٧ ، قصته إخوته في
الإصحاح ٣٧ : ٤٢ : ١٣ ،
العرب في عهده إسماعيليون
٤٢ : ٢٥ ، اسم أخيه ٥٠ : ١٩

(٣) فهرس الشعراء

الألف

الاضبط بن قريع — أقدميته في
في القصائد ١٨٤ : ١٥ ، تحقيق
أقدميته ١٨٥ : ٤ ، آثاره الأدبية
١٨٦ : ١
الافوه الأودي — شعره في تقلبات
الزمن ١٣١ : ١٩ ، قدمه ١٩٦ : ٢
شعره وأغراضه ٢٠٠ : ٢ ، تلمذته
للأضبط المزروعى ٢٠١ : ٨
ابن خذام — ميلاده وحيرة الرواة في
أمره ١٥٦ : ١٥ ، إشارة امرى القيس
إليه ١٥٧ : ١٥ ، ما يحفظه أعراب
بنى كلب من شعره ١٥٧ : ١٨ ،
لم ادعوه ؟ ١٥٩ : ٣ ، ليس أول
من بكوا الديار ١٦١ : ١٤
أبو دواد الإيادى — تحقيق أقدميته
١٨٠ : ١١ منزله الشعرية

١٨٢ : ١٦ ، أغراضه التي نبغ
فيها ١٨٢ : ٧
أعصر بن سعد — ترجمته ١٣٦ : ١٢ ،
ما وصلنا من شعره وتحليله ١٣٧ : ١٢
أمرؤ القيس الشاعر — تحقيق زمنه
٨٢ : ١٦ ، والاستدلال بعشيرته
الأقربين ٨٣ : ٣ ، زمن وفاته
٨٤ : ٧ ، رأى الدكتور طه في
قدمه وكثرة شعره ١٨٧ : ٢

« ب »

بهرام جور ملك الفرس — من شعراء
المقطوعات العربية ١٦٣ : ١٣ ،
منهج تربيته عند العرب ١٦٤ : ١٢
مقطوعتان من شعره ١٦٥ : ١٢ -
١٩ ، صحة شعره ١٦٦ : ١ ، سبب
إعراضه أخيراً عن الشعر ١٦٧ : ٢

فهرس الشعراء

طى بن أدد — له بيتان من بحر
السريع ١٠: ١٢٦ ٢

«ع»

عبيد بن الأبرص — تحقيق زمنه
١٨٧: ٤ ديوان شعره ١٠: ١٩٠
من شعره «ص ١٣» الملاحاة
بينه وبين امرئ القيس
١٩١: ١٢ على يد من كان
مصرعه ١٩١: ١٦، تضارب
الرواة فى قاتله ١٩٢: ١٤

«ل»

لجيم بن صعب الوائلى — ميلاده
ونسبه ١٥٠: ١٤
حفدته من الخالدين ١٥١: ١٤
ما عثر عليه من شعره ١٥٢: ٥
دلالة شعره ص ١٤

لقيط بن يعمر الإيادى — أقدم
قصائد الجاهلية كانت له ١١٨: ٧
سا بوريسجنه ١١٨: ١٢ قصيدته
الدالية وزمنها ١١٨: ١٩ قصيدته
العينية ١٢١: ١٦، قرضه أول
شعر شعبي عربى ١٢٣: ٧ سبقه
فى بكاء الديار ١٦١: ١٩ ديوانه أقدم
ديوان ١٦٣: ١٩

«م»

المتنبى — بيته فى شكوى الزمن ١٣١: ٢٣

«ج»

جذيمة الواضاح — ترجمته ١٤٧: ٣
آثاره الشعرية ١٤٨: ١٠، من
شعره ١٤٩: ٨، استدلالى
بآثاره على نفي اللمجة القرشية
١٤٩: ١٨

«د»

دويد بن زيد القضاعى — أنشد
وقد حضرته الوفاة ١٢٨: ٢-٤،
وصاته لبنيه ١٣٢: ٩ ترجمته
١٢٩: ١

«ز»

زهير بن جناب الكلبي — ترجمته
وتحقيق زمنه ١٤١: ١٠ آثاره
الأدبية ١٤٣: ١٦، خصاله
العشر ١٤٤: ٣، ما قاله من الشعر
وقد أطفأ ثورة بكر وتغلب
١٤٥: ١، ذو الرمة يسطو على
شعره ١٤٦: ٤

«س»

سعد بن زيد مناه أبو المزارعة —
شعره فى السيادة ١٠٩: ١٨

«ط»

طفيل اليفوئى — من شعراء كهلان
٢٩: ٧

فهرس الشعراء

٢٠-٢٢ شعره ١٩٤ : ٢٠ أشهر
ماوصلنى من شعره ١٩٥ : ٦

المرقش الأكبر - ميلاده ١٩٣ : ١
أقدميته ومنزلته «ص ١٦»، نسبه

(٤) فهرس الصحابة ١٤٥ صحابيا

أم حبيبة زوج النبي - قریشیة

١٧ : ٦

أمية بن خويلد - كنانى ٢٨ : ٦١

أنيس بن إياس - كنانى ٢٨ : ٦١

أوس بن خالد الأنصاري - أوسى

١ : ١٦

« ب »

بشير بن الخصاصة - ربعى

٢٤ : ٦٢

« ت »

تميم الدارى - أودى ١٩٧ : ١٣

« ث »

ثابت بن جابر - قيسى ١٩ : ٦١

ثعلبة بن الحكم - كنانى ٢٥ : ٦١

ثعلبة بن صعير - قضاعى ٩ : ١٢٩

ثمارة بن أثال - قيسى ١٩ : ٦١

« ج »

جابر بن سلمة - قيسى ١٨ : ٦١

الألف

إبراهيم بن قيس - أودى ١٩٧ : ٨

الأنسود بن ربيعة - ربعى ٢٥ : ٦٢

الأنشج العبدى ربعى ٢٢ : ٦٢

الأنغلب الراجز - ربعى ٢٤ : ٦٢

سیدنا أبو بكر - قریشى ١٦ : ٦٠

أبورهم - كنانى ٢٥ : ٦١

أبو عبدة بن الجراح - قریشى

١٧ : ٦٠

أبو العشاء - تمیمی ٢٥ : ٦٠

أبو نورة بن شيطان - كنانى

٢٣ : ٦١

أبو هريرة - لحنى ٧٢ : ١٠

أبو هند الدارى - أودى ١٢ : ١٩٧

أسماء بنت سلمة - تمیمی ٢٥ : ٦٠

« مخربة » « ٢٥ : ٦٠ »

أسيد بن إياس - كنانى ٢٥ : ٦١

الأنقرع بن حابس - تمیمی ٢٦ : ٦٠

امرؤ القيس بن عانس - كندی ٧ : ١٩٧

فهرس الصحابة

حصين بن مشمت - تيمى ٢٢:٦٠
حلحلة بن قيس - تيمى ١٩:٦١
حنظلة بن الربيع - تيمى ١٦:٦١
الحويرث بن عبد الله - كنانى

٢٧:٦١

حيدة بن مخرم - تيمى ١٦:٦١

« خ »

خالد بن ميار - كنانى ٢٨:٦١
خالد بن عرفطة - قضاعى ٩:١٢٩
خالد بن مالك - كنانى ٢٧:٦١
خالد بن المعمر - ربعى ٢٥:٦٢
خالد بن الوليد - قريشى ١٧:٦٠
خباب بن الارت - مزروعى تيمى

٢٢:٦٠

خداش العجلي - ربعى ٢٤:٦٢
الخنساء بنت عمرو - قيسية ٢٧:٦١

« د »

دحية - كنانى ٨:١٤٢
دريد بن كعب - أودى ١١:١٩٧

« ر »

رافع بن عمرو - كنانى ٢٤:٦١
رباح بن ربيعة - تيمى ١٦:٦١
الربيع بن ربيعة - قيسى ١٧:٦١
ربيع بن مالك المزروعى - تيمى

١١:١٨٥

الجارود بن حنشل - ربعى ٢٢:٦٢
جارية بن قدامة - تيمى ٢٢:٦٠
جمرة بن النعمان - قضاعى ١٠:١٢٩
جنادة بن عوف (القلس) - كنانى

٢٥:٦١

جندب بن جنادة - كنانى ٢٧:٦١

جهم بن قيس - قريشى ٢٠:٦٠

جهيش بن يزيد - أودى ١٠:١٩٧

« ح »

الحارث بن جميل - تيمى ٢٠:٦١
الحارث بن عبد العزيز - تيمى

٢٢:٦١

الحارث بن عوف - كنانى ٢٨:٦١

الحارث بن مالك - كنانى ٢٦:٦١

« هـ » وهب - تيمى ١٦:٦١

حبيب بن خراش - تيمى ٢٤:٦٠

« ز » مسلمة - قريشى ٢٤:٦٠

الحثات بن زيد - تيمى ٢٤:٦٠

الحجاج بن علاط - تيمى ١٨:٦١

حجر بن عدى - كندى ١٩:٨٢

حذيفة بن أمية - كنانى ٢٨:٦١

الحريش بن هلال - مزروعى تيمى

١١:١٨٥

حسان بن محدوج - ربعى ٢٤:٦٢

الحصين بن الحر - تيمى ١٠:١٥٢

فهرس الصحابة

صفوان بن صفوان - تميمي ١٥:٦١
صفوان بن المعطل - قيسي ٢١:٦١
صهيب الرومي - ربعي ٢٢:٦٢
« ض »

الضحاك بن - يمان - قيسي ٢١:٦١
« ط »

طلحة بن عبيد الله - قرشي ١٨:٦٠
طلق بن علي الحنفي - ربعي ٢٣:٦٢
« ع »

عامر بن ربيعة العنزي - ربعي ٢٦:٦٢
عامر بن سلمة الحنفي - ربعي ٢٦:٦٢
عامر بن وائلة - كناني ٢٦:٦١
عبد الرحمن بن عوف - قيسي ١٩:٦٠
عبد الله بن خباب المزروعى - تميمي
٢٢:٦٠

عبد الله بن عامر - قيسي ٢٠:٦٠
عامر بن مظعون - قيسي ١٨:٦٠
عبد المطلب بن ربيعة - قيسي ٢٠:٦٠
عميد بن الحشخاش - تميمي ١٠:١٥٣
عتاب بن أميد - قيسي ١٨:٦٠
عتبة بن أبي لهب - قرشي ١٨:٦٠
عتبة بن غزوان - قيسي ٢١:٦١
سيدنا عثمان - قرشي ١٦:٦٠
عروة بن أسماء - قيسي ١٧:٦٠

ربيعة بن رفيع - تميمي ٩:١٥٣
رفيع بن سمرة - تميمي ٩:١٥٣
« ز »

الزبرقان بن بدر المزروعى - تميمي
٢١:٦٠

الزبير بن العوام - قرشي ١٧:٦٠
زرارة بن قيس - أودي ٩:١٩٧
زمل بن عمر - قضاعي ١٠:١٢٩
زهرة بن حوية - تميمي ٢٣:٦٠
زياد بن هوذة المزروعى - تميمي
١١:١٨٥

زيد بن حارثة - ربعي ٢٥:٦٢
« س »

سارية بن زعيم - كناني ٢٦:٦١
سمرة (أبو غاضرة) - تميمي ١٦:٦١
سمرة بن جندب - قيسي ٢٠:٦١
سعد بن أبي وقاص - قرشي ١٦:٦٠
« ش »

شبيب بن حرام - كناني ٢٤:٦١
شراحيل بن معبد - ربعي ٢٦:٦٢
شرح بن مرة - كندى ٧:٨٣
الشمخ بن مسعود - قيسي ١٩:٦١
شيبان بن محرز الحنفي - ربعي ٢٦:٦٢
« ص »

صعصعة بن معاوية المزروعى - تميمي
١٠:١٨٥

فهرس الصحابة

٢٦:٦٠	متمم بن نويرة - تميمي	٢٤:٦٠	عطارد بن حاجب - تميمي
٢٥:٦٢	المثنى بن حارثة - ربعي	١٧:٦٠	عقبة بن نافع - قيسي
٢٥:٦١	محلم بن جثامة - كناني	٢٠:٦١	عقبة بن وهب - قيسي
٢٥:٦١	محلم بن يزيد - كناني	١٦:٦٠	سيدنا علي - قرشي
١٧:٦١	مرصد بن كنان - قيسي	١٦:٦٠	سيدنا عمر - قرشي
١٤:١٩٧	مروان بن مالك - أودي		عمرو بن الاهتم المزروعى - تميمي
١٩:٦٠	مسطح بن أثاثة - قرشي	٢١:٦٠	
٢٠:٦١	معقل بن سنان - قيسي	٢٤:٦١	عمرو بن أمية - قيسي
		١٦:٦٠	عمرو بن العاص - قرشي
		٢٤:٦٠	عياض الدارمي - تميمي

« ن »

١٠:١٢٩	نبيه بن زيد - قضاعي
١٥:١٩٧	نعيم بن أوس - أودي
٢٣:٦٢	النمر بن تولب - ربعي

« ه »

٢٤:٦١	هشام بن صباية - كناني
١٥:٦١	هند بن زرارة - تميمي

« و »

٢١:٦١	الورد بن خالد - قيسي
٩:١٥٣	ورد بن مخرم - تميمي
١٨:٦١	وهب بن عبد الله - قيسي

« ي »

٢٠:٦١	يزيد بن الأخنس - قيسي
٢٥:٦٢	يسر بن خوط - ربعي

« ق »

١٩:٦١	قيصه بن المذارق - قيسي
٦:١٩٧	قيس بن سلمة - أودي
	قيس بن عاصم المزروعى - تميمي
٢٣:٦٠	

١٩:٦١	قيس بن عاصم النري - قيسي
-------	--------------------------

« ك »

٨:٦٥	كرز بن علقمة - خزاعي
١٢:٧٢	كعب بن سور - لخمى
٢٧:٦١	كلاب بن أمية - كناني
٢٨:٦١	كلثوم بن الحصين - كناني

« م »

٩:١٥٣	مالك بن الحشخشاش - تميمي
٢٥:٦٠	مالك بن نويرة - تميمي

(٥) فهرس الخرائط والجداول وصور النقوش

العدد	الصفحة	الموضوع
١	١	خريطة القبائل العربية
٢	١٥	جدول ملوك حمير
٣	٢٠	» » اللخمين
٤	٢٢	» » الساسانيين
٥	٢٢	» الملوك لاستنباط عمر الجيل الملكي
٦	٢٦	» ملوك الغساسنة
٧	٣١	» » كندة
٨	٥٦	» أهم شجرات الأذئاب العربية
٩	٦٨	» تطبيق على ما قبل في عمر الجيل
١٠	٧٨	» بنماذج اختلاف المؤرخين لتأسيس مصر الفرعونية
١١	٨٠	» باختلاف الاحصاء حتى في التوراة
١٢	٨١	» باختلاف المؤرخين لزمن امرى القيس
١٣	١١٥	» اللهجات العربية المنبوذة وسبب نبذها
١٤	١٦٢	» ترتيب شعراء المقطعات بحسب أزمانهم
١٥	٢٠٢	» ترتيب شعراء القصائد بحسب أزمانهم
١٦	٢٠٣	» ترتيب كل هؤلاء بحسب أزمانهم
١٨	٢٤٤	نقش عائد بن كهيل قبل الميلاد المسيحي
١٨	٢٤٨	نقش النمارة في القرن الرابع ق هـ
١٩	٢٥٢	جدول بثلاث قراجم لنقش النمارة

(٦) فهرس الأمثال

العدد	الصفحة	المثل	قائله
١	١٠٤	إن العصا من العصية	الأنفعي الجرهمي
٢	١١٠	إن المرء من نوكه يشرب من سقاء لم يوكه	جارية تميمية
٣	٢٢٧	أخسر صفقة من أبي غبشان	بعض العرب
٤	١٠٦	أسعد أم سعيد	ضبة بن أد
٥	١٠٨	أعز من حليلة	بعض العرب
٦	٢٢٧	أندم من السكسعي	" "
٧	١٠٩	أنصر أخاك ظالما أو مظلوما	جندب بن العنبر
٨	٢٣٦	بكل عيش يعيش الفقير	عامر بن الظرب
٩	١٠٦	الحديث ذو شئون	ضبة بن أد
١٠	٢٥	خذ من جذع ما أعطاك	جذع الغساني
١١	٢١٧	خير الأمور أوسطها	الحسن البصري
١٢		دعوا دما ضيعه أهله	رهم الحزرجية
١٣	١٠٧	رمتي بدائها وانسلت	جذيمة الوضاح
١٤	١٠٦	سبق السيف العذل	ضبة بن أد
١٥	١٠٥	السليم لا ينام ولا يذم	إلياس بن مضر
١٦	١٠٧	شب عمرو عن الطوق	جذيمة الوضاح
١٧	١٠٨	الصيف ضيعت اللبن	عمرو بن عمرو بن عدس
١٨	٢١٨	غبار العمل خير من زعفران العطلة	بعض العرب
١٩	١٠٨	ما يوم حليلة بسر	" "
٢٠	١٠٨	المرء بأصغريه : قلبه ولسانه	شقة بن ضمرة التميمي
٢١	٢٣٦	من ير يربه	عامر بن الظرب
٢٢	١٠٧	ويل أمه حزما على متن العصا	جذيمة الوضاح

(٧) فهرس مواضع الاستدراك

شاء فشاط الايدى العاملة لدى طبع هذا الكتاب ، أن تند

بعض كلمات مخالفة للأصل :

وسأذكر هنا بعض ماقد يخفى على بعض القراء فيما يأتي :

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
٧	١٩	المدنيات	٦١	١٨	الحجاج بن علاط
٨	١١	أرض - يحصب	٦١	٢٧	حذيفة ابن أمية
٨	١٣	سد لحج وسد شحر	٦٤	٨	المختشر
٩	١٣	واحدة	٦٥	١٠	٢٠٠
٩	١٥	العرم	٦٦	١٦	محمد على يكون
١١	٥	عرودا	٧٢	٧	استفتيتهم
١١	١٥	شبه	٨٠	٥	يهودا
١٣	١٢	عبطة	٨٢	٣	لأن امرأ القيس
١٤	١١	٢٨٨ - ٣٢٨ م	٨٨	٣	أبودوداد، وفي الصفحات ،
١٤	٨	التبابعة	١٢٧ ، ١٧٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣		
٢١	٢	أقواس من	٢٣٢		
٢٢	٧	وعدد	٨٩	١٨	يحتضن
٢٤	٣	الدهاء	٩٧	١	أبو المهوش
٣٩	٧	طفيل اليعوث	١٠٥	٨	٣٠٠
٦٠	١٨	طلحة بن عبيد الله	١١٢	١٧	سورية وص ٢١١
٤٠	٤	القرية	١١٥	٢١	وأغار يضا الست
٤٠	١٦	التوراة	١٢٩	١٦	ومتوسط الفرقين
٤١	١٤	الثامن عشر قم	١٣٣	١٢	فالفرق الأول
٤٣	٢	الثامن عشر قم	١٣٤	٢١	شزرا
٤٩	٢١	تمحل	١٣٥	١٧	صعدها
٥٠	١٢	ملوكمهم	١٣٨	١٧	أنه
٥٦	٦	الفرزدق	١٤٣	٢	وجه الحوادث

(تابع) فهرس مواضع الاستدراك

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
١٤٣	٨	فحق عليها	١٦٩	١٥	٤٩١ ق ٥ (١٤٦ م)
١٤٧	٢٢	أكثر مؤرخي العرب	١٧٩	١٦	عمر الضائع
١٤٨	٤	٣٦٥ ق ٥	١٨٨	٢١	٣٦٦ ق ٥ (٣٦٤ م)
١٤٨	٥	توافق سنة ٢٦٨ م	١٩٤	٤	الحارث بن أبي شمر
١٤٩	٥	علي عمرو بن عدى بن نصر	١٩٦	٢٢	يعرب
١٤٩	٢١	كان زعماء العرب عامة	٢٠٢	٣	بعد الميلاد
١٥٠	١١	أرجاءه	٢٠٧	٦	تجاهلا لصلة النسب
١٥٢	٥	إلا التحية	٢٠٨	١٣	من المحافظين قبل
١٥٦	٨	ابن خدام	٢٢٤	٣	ليقظة العلماء
١٥٦	١٧	ابن الحمد	٢٢٧	١٨	ويقاطعهم
١٥٧	١٢	ولم يذكر واحد	٢٤١	٩	الروايات
١٦١	١٤	فإن خدام	٢٤١	١٣	ورأى علماء اللغات

(٨) فهرس المراجع (بحسب ترتيب الاستشاد بها)

العدد	المراجع	العدد	المراجع
١	تاريخ سني ملوك الارض لحمة الاصفهانى - برلين ١٣٤٠ هـ	١٦	مقدمة ابن خلدون المطبعة الخيرية ١٣٢٢
٢	بلوغ الأرب للألوسى - مصر ١٩٢٤	١٧	قوافل العربوة ومواكبها للأستاذ محمد جميل بيهم ١٩٤٨
٣	الاكلیل للهمدانی	١٨	التوراة : سفر إرميا
٤	العرب قبل الاسلام لجورجى زيدان - مصر ١٩٠٨	١٩	السكامل لابن الاثير مطبعة بولاق ١٢٩٠ هـ
٥	القصيدۃ الحمیریة	٢٠	البداية والنهاية لابن كثير مطبعة السعادة ١٩٣٢
٦	القماموس المحيط للفيروزابادى - مصر ١٣٤٤	٢١	طبقات الشعراء للجمحى مطبعة السعادة
٧	صفة جزيرة العرب للهمدانی - ليدن ١٨٨٤	٢٢	جمهرة ابن حزم الاندلسى دار المعارف بمصر ١٩٤٨
٨	العبر وديوان المتبدا واخبر لابن خلدون - مطبعة بولاق	٢٣	مروج الذهب للمسعودى - المطبعة البهية ١٣٤٦
٩	ثمار العاوب للشعالى - مصر ١٣٢٦ هـ	٢٤	خزانة الأدب الصغرى للبيغدادى دارالعصور ١٩٢٩
١٠	المختصر فى أخبار البشر لابن الفدا	٢٥	تاريخ الدول الاسلامیة للخضرى بك مصر ١٩٢٦
١١	مجمع الامثال للبيدانی	٢٦	أسد الغابة لابن الاثير
١٢	الانغانى لآبى الفرج الاصفهانى - مصر ١٩٢٧ / ١٨٦٠	٢٧	الشعر والشعراء لابن قتيبة مطبعة المعاهد
١٣	تاريخ اليعقوبى مطبعة العزى بالنجف ١٣٥٨ هـ	٢٨	المزهر للسيوطى بمطبعة السعادة ١٣٢٥
١٤	الإصابة لابن حجر مطبعة السعادة ١٣٢٣	٢٩	العمدة لابن رشيق بمطبعة السعادة ١٩٠٧
١٥	قصة الأدب فى العالم لآحمد أمين بك والاستاذ ذكى نجيب		

(تابع) فهرس المراجع

العدد	المراجع	العدد	المراجع
٣٠	تاريخ اوردية الحديثة لاسكندري وسليم حسن ١٩٢٠	٤٦	مختارات ابن الشجرى مطبعة الاعتماد ١٩٢٥
٣١	كتاب المعمرين للسجستانى مطبعة السعادة ١٣٢٣	٤٧	الاشتقاق لابن دريد - غوتنجن ١٨٥٤
٣٢	معجم ما استعجم للبكرى لجنة التأليف ١٩٤٥	٤٨	علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي
٣٣	العقد الفريد لابن عبد ربه	٤٩	ذيل الأمالى للقالى مطبعة بولاق ١٣٢٤
٣٤	معجم الأدباء لياقوب مطبعة الحلى ١٩٣٨	٥٠	نهاية الأرب للنورى
٣٥	عيون الأخبار لابن قتيبة	٥١	صحيح البخارى
٣٦	شعراء النصرانية للويس شيخو طبع بيروت ١٨٩٠	٥٢	أحاديث الترمذى
٣٧	سرح العيون لابن زيدون	٥٣	إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعى
٣٨	ديوان الحماسة لاثنى تمام مطبعة السعادة ١٩١٣	٥٤	القرآن الكريم
٣٩	المؤلف والمختلف للآمدى	٥٥	تاريخ الأدب لحفى بك ناصف مطبعة الجريدة ١٩٠٩
٤٠	مجالس ثعلب مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٤٨	٥٦	تاريخ اللغات السامية للدكتور إسرائيل ولفنسون
٤١	فى الأدب الجاهلى للدكتور طه حسين مطبعة فاروق ١٩٣٣		
٤٢	بغية الطالبين لآحمد باشا كمال		
٤٣	تاريخ مصر لجيمس هنرى برستد		
٤٤	الأمالى للقالى ١٣٢٤		
٤٥	ديوان الأفوه الأودى مطبعة لجنة التأليف ١٩٣٧		

المراجع الغريبة

وقد اعتمد المؤلف على
كثير من هذه المراجع ترى فى
ذيل الصفحات لم يذكرها
لضيق المقام .



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

